جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
بالمنصورة

الوافى

فى البحث اللغوى

أ.د/ صلاح عبدالعزيز على السيد
وكيل كلية اللغة العربية
بالمنصورة

١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠م

ولتعرف جهد أسلاف أمتك ، لتسير على طريقهم في مستقبل أيامك ، وتنهج نهجهم القويم . وعرضنا لبعض القضايا اللغوية وبعض التراكيب ليمرن الطالب على الإعراب ويعرف قضاياه .

والله نسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه ، وأن ييسر النفع به وهو حسبنا ونعم الوكيل .

المؤلف
أ.د / صلاح عبد العزيز علي السيد
وكيل كلية اللغة العربية بالمنصورة
وأستاذ اللغويات بالكلية

١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠

باقي المقدمة سا... من اصل المصدر /

" نشأة النحو العربى "

عاش العرب فى الجاهلية فى جزيرتهم فى عزلة ، وبعد عن الاختلاط بالأمم المجاورة ، واحتفظوا بلغتهم نقية ، سليمة من الشوائب التى تسرى عادة من الاحتكاك باللغات الأخرى ، وإذا حكى القرآن الكريم وغيره من المصادر القوية الموثوق بها أن لقريش رحلتين : رحلة الصيف الى الشام ، ورحلة الشتاء الى اليمن للتجارة ، وتبادل المنافع الضرورية للحياة ، الا أنها صلة موسمية قليلة الأثر ، فلم تمس جوهر اللغة ، ولم تؤثر فى أبرز سماتها ، وهو خاصية الإعراب ، الذى يميز المعانى للمفردات فى تراكيبها المتعددة ، وفى نسيجها اللغوى الفصيح وكان تأثير هذا الاتصال محدودا ، حيث أخذت مفردات أعجمية التقطتها الألسنة العربية ، ثم صقلتها وهذبتها وأدخلت فى بنيان صيغها وأبنيتها المختلفة خفيفة على اللسان العربى تجرى على نمط العربية ، وسمتها ، فلما جاء القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ضم بين جنبيه هذه الكلمات ، ورسمها القرآن بفصاحة وبلاغته ، وحسبها شرفا أنها بين دفتى القرآن الذى نزل بلسان عربى مبين - كما كان لأسواقهم المختلفة فى جزيرتهم أثر كبير فى تثبيت هذه اللغة ، وصقلها على الألسنة ، وأحكام رسوخها نتيجة مباراة الخطباء المفوهين ، والشعراء المبدعين ، من القبائل المختلفة ،

فانتشر أجمل ما فيها وأروع ، وابتعدت الألسنة عن الثقيل والمتنافر ، وشاعت لغة عامة ذات جرس عذب بين قبائل العرب ينشدها الشعراء بها في عكاظ ، ومجنة ، وذى المجاز وغيرها .

ثم شرف الله أمة العرب بمحمد العربى رسولا إليهم ، والى الناس كافة ، فدعا الناس جميعا الى هذا الدين الخالد ونشر مبادئ الخير والحق والعدل والمساواة ، وأنشأ مجتمع الطهارة والمثالية ، مما جعل أرض الجزيرة العربية ملتقى الأنظار ، ومهوى الأفئدة ، ومشرق النور ، ومنزل الوحى ، تتلى آياته بالقول الطيب ، وبالتشريع المحكم ورفع الظلم عن الانسان في كل مكان ، فخرج العرب من عزلتهم وانداحوا في أرض الله ينشرون دينه ، ويعلون تعاليمه ، ودخل الأعاجم في دين الله أفواجا ، واقتضت ضرورة الحياة الجديدة أن يتحدثوا معهم في أحكام الدين ، وأن ينتقل هؤلاء الى المدينة المنورة حاضرة الدولة ، ومقر الراشدين من الخلفاء والفقهاء والقراء ، والى مكة المكرمة للحج وأداء مناسكه ، كما اقتضت الظروف الجديدة من الجهاد في سبيل الله الى أن يسيحوا في الأرض ، ويهبطوا الى الأمصار التى فتحوها شرقا الى الهند والصين ، وشمالا الى سيبريا وغربا الى ماوراء جبال البرانس بالأندلس ، وجنوبا الى السودان ووصلت الى جزائر

البحر المتوسط وأن يعيشوا مع أهلها ويتزوجوا منهم ، ويصاهروهم تجمعهم جميعا أخوة هذا الدين ، وتظلهم راية التوحيد ، ويؤلف بين قلوبهم شعور إسلامى بعيد عن العصبية والعرق وأنهم لبنات فى بناء كريم من صنع الرحمن ، يباركه رب العباد ويشد بعضه بعضا .

ومع هذه البيئة الطيبة المباركة ، وامتداد الاختلاط بين العرب وغيرهم من أبناء الأمم الجديدة التى فاءت إلى الاسلام فى حب وتعطش تكون منهم أمة واحدة ، تتفاهم بلغة واحدة ، وتتخاطب معا لضرورات الحياة زالت الحصانة وضعفت الملكة اللسانية ووجد اللحن فى النطق بالعربية ، وبدأت اللغة تقاوم أسباب العدوى ، ولكن المقاومة ضعفت شيئا فشيئا ، أمام تيار اللحن المتضاعف أثره ، المشتد خطره فارتضخت الألسنة ، لكنة أعجمية وعم اللحن حصون العامة والخاصة .

ولو أن العربية لسان أمة فى زمن أو أزمان واعتزت أمتها بها وأبقتها على نمط خاص ، لا تتركه ، ولو أن حرمة العربية نابعة من صلة قوم بأعيانهم بها ، ما كان للناس أن يسرفوا فى الجزع أو يرفعوا علم الجهاد لصد هذا البلاء ودفع هذا العدوان ، ولقلنا إنها لغة من اللغات ، وكم بادت أمم ، وماتت لغات ، واستطاعت أن تضع مكانها لغة أخرى للتخاطب ، وهذه سنة الحياة ، ومسيرة الزمن فى مشوار حياة الأنسان على هذا

الفلك ، فكثيرا ما رأينـا لغات حيـة ، صرعهـا الزمن ، وعـدت عليها محـن التطور والتغير ، فاذا بها فى متحـف الذكرى ومعبـد التاريخ للعـة وللتأمـل وهذا فى منطـق الحياة سيل مكـــرور لا غرابـة فى حدوثـه ووقوعـه بل نشاهـده فى كل فصائل اللغـــات وأسرهـا المختلفة على كوكبنا الأرضـى .

ولكنها اللغـة العربيـة منطق الوحى الكريم ، ولسان الكتـاب المجيد الذى تَعبّد اللـه بقـراءتـه ، والعمل به ، والسير علـى نهجـه جميـع المكلفيـن من إنـس وجن الى أن يرث اللـــه الأرض ومن عليها ، ففتـح اللـه باب الخلود لهذه اللغـــة ، فثَبتت على الأحداث ، وسمت فوق أسباب الفنـاء ، وحفظهـا اللـه كاملة نقيـة بحفظ القرآن الكريـم ، فلما رأى العلمـاء جسارة اللحـن فى تـلاوة الذكـــر الحكيم أسْهَرُوا عيونهم وأتعبــــوا نفوسهم لله ، فى جهاد المتعبدين ، وعزيمـة المخلصين وجعلــوا محاربـة اللحـن ، واستقامـة الألسـنة على الفصحى لحـــفظ كتابـه الكريم غايـة تمضى فى سبيلها أجساد المصطفين الأخيـــار ثقـة بالقرآن الكريـم ، يتلونـه على استقامـة ، ويتدبرونـه فـى بينـة .

أول ظهور اللحن فى الكلام : —

قال أبو الطيب اللغـوى [1] : " واعلم أن أول ما اختـل مـن

---

(١) مراتب النحويين ص ٢٣ نهضة مصر ت أبو الفضل .

كلام العرب ، فأحوج الى التعلم الإعراب ، لأن اللحن ظهر في كلام الموالي والمتعربين من عهد النبي — صلى الله عليه وسلم — فقد روينا أن رجلا لحن بحضرته فقال : " أرشدوا أخاكم فقد ضل " . وقال أبو بكر رضى الله عنه — لأن أقرأ فأسقط أحب الى من أن أقرأ فألحن .

فقد كان اللحن معروفا ، بل قد روينا من لفظ النبي — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : " أنا أعرب العرب ، ولدتني قريش ، ونشأت في سعد بن بكر ، فأنّى لي اللحن " .

وكتب كاتب لأبي موسى الأشعري الى عمر : " من أبو موسى " فكتب اليه عمر " سلام عليك أما بعد : فاضرب كاتبك سوطا وقطع عطاءه سنة " .

قال ابن جني [1] : " وروى من حديث على رضى الله عنه الذى أقرأه القرى " إِنَّ اللهَ برئٌ من المشركين ورسولِه " حتى قال الأعرابي : برأت من رسول الله ، فأنكر ذلك على عليه السلام ، وفي البحر [2] قال أبو حيان أن أعرابيا سمع من يقرأ بالجر فقال : ان كان الله برئ من رسوله ، فأنا منه برئ ، فلبّبه القارئ الى عمر ، فحكى الأعرابي قراءته فعندها

---

(١) الخصائص جـ٢ ص٨ .
(٢) جـ ٥ ص٦ .

أمر عمر بتكلم العربية . (وقال له : ليس هكذا يا أعرابى . فقال : كيف هي يا أمير المؤمنين فقال ورسولُه بالرفع ، فقال الأعرابى ، وأنا أبرأ مما برئ الله ورسوله منهم فأمر عمر رضى الله عنه ألا يقرأ القرآن إلّا عالمٌ بالعربية " (١).

روى الشعبى فقال :

" مر عمر رضى الله عنه على قوم يسيئون الرمى — فقرّعهم فقالوا : إنّا قوم متعلمين فأعرض مغضبا وقال : والله لخطؤكم فى لسانكم أشد من خطئكم فى رميكم " (٢).

وقال ابن قتيبة (٣) " سمع أعرابى مؤذنا يقول : أشهد أن محمدا رسولَ الله بنصب رسول فقال : ويحك : يفعل ماذا .. ودخل اعرابى السوق فسمعهم يلحنون فقال : سبحان الله يلحنون ويربحون ونحن لا نلحن ولا نربح .

قال رجل لزياد بن أبيه : إن أبينا هلك ، وإنّ أخينا غصبنا ميراثنا من أبانا " فقال زياد : ما صنعت من نفسك أكثر مما ضيعته من ميراثك ، فلا رحم الله أباك ، حيث ترك ولدا مثلك " .

ولقد انتشر اللحن حتى وصل الى البلغاء والخطباء والأدباء ...

---

(١) حاشية الجمل ٢/٢٦٥.
(٢) معجم الأدباء ١/٨٢.
(٣) عيون الأخبار ٢/١٥٨.

والأمراء روى أن الحجاج سأل يحيى بن معمر قائلا : هل ترانى ألحن فقال له يحيى : فى حرف واحد من القرآن الكريم تقرأ بالرفع قوله تعالى [1] ((قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم ... أحب)) بالرفع والوجه أن تقرأ بالنصب : لاجماع القراء عليه .

فاذا كان الحجاج وهو فى ذروة الفصاحة والبلاغة يلحن فى القرآن فكيف غيره اذن ، كما روى كثرة اللحن عن الوليد ابن عبد الملك الخليفة الأموى، وعم اللحن حتى وصل الى البادية يقول الخليل [2] والجرمى إنهما سمعا بالبادية رجلا يقول سقطت عتنانى " حتى قال هذا أول لحن سمع بالبادية [3].

إنَّ اللحن الذى ظهرت بواكيره على هذه الصورة كان من مستحدثات البيئة الاسلامية ، وقد وقع فيه العامة والخاصة يروى عبد القاهر ... البغدادى فى كتابه (خزانة الأدب) [4] " حكى عن عبد العزيز بن مروان أن رجلا يشكو صهرا له ، فقال : إن خَتَنِى فعل بى كذا - وكذا فقال له : ومن ختنك؟ وفتح النون فقال : ختنى الختان ... الذى يختن الناس فقال عبد العزيز لكاتبه : ما هذا الجواب ، فقال أن الرجل

(١) البحر المحيط ٢٢٩٥ .
(٢) مراتب اللغويين ص٢٦ .
(٣) نشأة النحو ص١١ .
(٤) ج ٨ : ٤٧٩ .

يعرف النحو ، وكان ينبغى أن تقول : من خَتَنُك ، بضم النون فقال : والله لا شاهدت الناس حتى أعرف النحو . وأقام فى بيته جمعة لا يظهر ، ومعه من يعلمه العربية ، ثم صلى بالناس الجمعة الأخرى وهو من أفصح الناس" وصور اللحن كثيرة شملت النطق بالحركة والخطأ فى ضبط الصيغ وصياغة الأبنية من ذلك : ما روى أن رجلين اختصما الى عمر بن عبد العزيز فجعلا يلحنان فقال الحاجب : قُما فقد آذيتما أميرُ المؤمنين برفع أمير فقال : عمر رضى الله عنه — أنت والله أشد ايذاء لى منهما " (١).

وهنا ظهرت همة الأفذاذ الأكفاء من علماء اللغة ، وهبوا مجاهدين ضد هذا التيار الذى كاد يقضى على اللغة وحرف القرآن الكريم والحديث الشريف ومأثور كلام العرب من شعر ونثر ، ووضعوا رسوما وحدودا تضبط الكلمة العربية وتحفظ اللسان من اللحن والتحريف .

---

(١) ومن ذلك أيضا ما رواه الزبيرى فى كتابه (طبقات النحويين واللغويين) ص٣٦ : قال : وحدثنى أبو على اسماعيل بن القاسم البغدادى قال : سمع أبو عمرو رجلا ينشد :
" ومن يغو لا يعدم على الغى لائما " فقال / أقومك أم أتركك فى طمتك فقل : بل قومنى فقال : قل : ومن يغو (بكسر الواو) — ألا ترى الى قول الله عز وجل : " وعصى آدم ربه فغوى " أتتسكع تتلوث ، والطمة الخرأة) .

واضع النحو : —

يختلف المحققون من العلماء في تعيين واضع النحو ، والآراء في ذلك كثيرة والروايات مختلفة ، فقد نسبه بعضهم الى علي كرم الله وجهه ، ثم ذكرت إحدى الروايات أن أبا الأسود الدؤلي دخل عليه يوما ، فوجد في يده رقعة فقال : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ . فأجابه . إنّي تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء يعني الأعاجم فأردت أن أضع شيئا يرجعون اليه ، ويعتمدون عليه ، وأصحاب هذا الرأي يدعون أنّ الامام كتب في هذه الرقعة : الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما أنبأ عن المعنى ، والفعل : ما أنبئ به والحرف ما أفاد معنى .

ولكن بعض الباحثين يرون أن هذه الأقسام لا تأتي إلاّ نتيجة المواضعة والاصطلاح بل إن بعض المحدثين منهم يرى أن هذه الأقسام وأسماءها مقتبسة من النحو السورياني ، الذي يكاد وضعه يقارن وضع النحو العربي في زمنه ونشأته ، أو أنه تأثر بقواعد النحو اليوناني من مثقفي البصرة ، ومترجميها وهم كثير ، لوجود التشابه بين النحويين في كثير مصطلحاتهما " (١) وكيف يهتدي اليها علي رضي الله عنه لأول وهلة مع ما يشغله عن البحث النحوي من مهام الخلافة ، وسياسة الدول .

(١) ص ٩٥ مجمع اللغة في دورته العشرين رقم ٨ .

وفى رواية ثانية ينسب الوضع الى أبى الأسود الدؤلى باشارة من عمر — رضى الله عنه — كما تقدم أو باشارة من زياد ابن أبيه ، كما أيضا أن الدافع له حادثة ابنته فقد قالت ما أحسنُ السماءِ . فقال : نجومها . فقالت : إنى لم أرد هذا وإنما أردت تعجبا من حسنها فقال لها : إذن تقولى ما أحسنَ السماءَ . بالفتح .

وحينئذ وضع النحو ، وابتدأ فى صناعة أبواب منه كباب إنَّ وأخواتها وباب التعجب وباب الفاعل ، وباب المفعول ، وباب الأضافة وغيرها .

وهذا أيضا مما يستبعده بعض الباحثين المعاصرين ، لقرب العرب[1] فى عصر أبى الأسود من غضاضة البداوة ، ودراسة هذه العلوم تحتاج الى مداومة واصطلاح لم تهيأ لها عقول العرب .

ويقول الأستاذ أحمد أمين [2] فيما سبق : —

" وأنا أخشى أن تكون حكاية أبى الأسود قد وضعت فى العربية على نمط الحكاية الهندية ، ولعل مما يرجح هذا الظن أن الحكاية .. العربية مختلفة الأشكال ، متعددة الرواية ثم هناك نسبة بين ذهاب العالم الهندى الى "مهاريو" مصليا مسبحا ، وبين ذهاب

(١) ضحى الاسلام ٢/ ٢٨٥ .
(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٢٤٥ .

أبى الأسود الى على يسأله المعرفة فى وضع النحو وهكذا .

ثم يبين أن طبيعة هذا العصر تأبى هذه التعاريف ، وهذه التقاسيم الفلسفية وأنه يخشى أن يكون ذلك من وضع الشيعة .

وهناك من نسب وضع هذا العلم الى نصر بن عاصم ت ٨٩ ونقل : أنه عبد الرحمن بن هرمز المتوفى سنة ١١٧ هـ وهى روايات لا تقوم على أساس متين من البحث والدراسة .

والذى يميل اليه الانسان أن أبا الأسود هو واضع النحو ، فان أغلب الروايات الصادرة عن العلماء الأكفاء تشير الى دوره الهام فى تنفيذ الفكرة ، سواء كانت من كلام الأمام أم من فكره ، ويقول صاحب كتاب ضحى الاسلام" (١) .

" ويظهر لى أن نسبة النحو الى أبى الأسود لها أساس صحيح وذلك أن الرواة يكادون يتفقون على أن أبا الأسود قام بعمل من هذا النمط ، وهو أنه ابتكر شكل المصحف فأخذ صبغا يخالف لون المداد الذى كتب به المصحف ، ووضع على الحرف المفتوح نقطة فوقه والمكسور نقطة أسفله ، والمضموم نقطة بين يدى الحرف ، والمنون نقطتين ، وترك الساكن " وقد سمى هذا القدر اعرابا وهذا بلا شك يعتبر الخطوة الأولى فى سبيل النحو ، وهى تناسب

(١) جـ ٢ ، ص ٢٨٦ .

قانون النشوء في الكائنات وعمل أبي الأسود يسلم الى التفكير في الأعراب ووضع القواعد له ، وهو ما يتناسب مع ما روى من قوله " وكنت كلما وضعت بابا من أبواب النحو عرضته على الامام الى أن حصلت ما فيه الكفاية فقال : ما أحسن هذا النحو الذى قد نحوت " (١) وسمى العلماء الأقدمون عمل أبي الأسود بالعربية وبالنحو ، بعد عصره .

فالحق الذى لا شك فيه أن أبا الأسود قد وضع اللمسات الأولى في أساس هذا العلم ، وأشار الى بعض أبوابه إجمالا ، ثم جاء من بعده فأكمل البناء ، وأهتم بالتفصيلات ، وأى داع لانكار هذا الفضل ، ... وعدم الاعتراف بالمنقول والروايات وقد تقبلها العلماء بقبول حسن ووافق عليها الخلف بعد السلف فلا عبرة بمن يشكك في نسبة الفضل لصاحبه ، وجزى الله أبا الأسود خير الجزاء ، كفاء ما عمل ، وما بذل لخدمة كتاب الله الكريم .

أين نشأ صرح النحو ؟

نشأ هذا الوليد الجديد على يد أبي الأسود بالبصرة التى أنشأها الصحابى عقبة بن غزوان أحد قواد جيش سعد بن أبي وقاص على الجانب الشرقى لنهر الفرات قريبا من المصب الواحد بشط العرب ، في بيئة مائية بحرية ، فسكنها كثير من القبائل العربية

(١) الألباب في طبقات الأدباء ص ٣ .

التى هجرت موطنها فى جزيرة العرب لأجل الجهاد والفتوحات الاسلامية ، ولقربها من الخليج الفارسى ارتبطت حياة أهلها بالتجارة وكثر فيها المرتزقة من الهنود والفرس والسريان والأنباط وغيرهم وازداد فيها المثقفون بثقافة المشرق فى جند يسابور وغيرها ، ولم يسكن البصرة من الصحابة الا اثنان فقط وهما عتبة وأنس بن مالك وسكنها الأزديون ، وبعض بنى تميم مع كثير جدا من الموالى الذين دخلوا الاسلام ، فظهر فيها الاختلاط واللحن بشكل واضح ، وقد ازدهرت الحياة العقلية والحضارية فيها ازدهارا قويا مبكرا ، كما أدى الاحتكاك بين طوائفها الى ظهور بعض الفرق الاسلامية كالمعتزلة وغيرهم وعظم النشاط الفكرى وقد ترجم ابن المقفع منطق أرسطو فأتقنه العرب للتسلح الدينى ، كما عرفت منه القياس الذى استغله نحاة البصرة فى الدراسة النحوية الناشئة ، وبلغت فى النشاط الفكرى والتقدم العلمى شأوا بعيدا ، لذلك كانت البصرة أظهر بلد فشا فيها وباء اللحن حتى أحس العرب فى منتصف القرن الأول الهجرى بأنه أصبح خطرا يهدد لغتهم وقرآنهم وحتى سرى اللحن الى العامة من أبناء العرب وأشرافهم فى تصورهم ، مما استرعى انتباه الخاصة من الحكام ، وأهل العلم والرأى من العرب الذين شمروا عن ساعد الجد لدرء هذا الخطر الداهم .

فظهرت الخطوة الأولى على يد علىّ وأبى الأسود ، ثم تلتها

خطوة أخرى ناشئة عن عملهما ، فلقد أخذوا يدرسون قضايا الرفع والنصب ، والجر والتنوين ، فكان تلاميذ أبى الأسود من أمثال نصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر ، وميمون الأقرن وعيسى بن عمر يثيرون مسائل متفرقة من هذا الباب ، إما حول آية من القرآن الكريم أو حول بيت من الشعر لم يجر على المألوف ، فعبد الله بن أبى اسحاق يسمع الفرزدق يقول : —

وعض زمانٌ يا ابْنَ مَرْوان لم يَدَعْ
من المال إلاَّ مسحتا أو مُجَلَّفُ

" فمجلف " مرفوع وهى معطوفة على منصوب ، وهذا غير مناسب ... ويعترض على الفرزدق ، فيهجوه الفرزدق بقوله :

فَلَوْكَانَ عَبْدُ اللهِ مَوْلىً هَجَوْتُه
ولكنَّ عبدَ اللهِ مَوْلَى مواليــا

فيعترض عليه فى قوله " مولى مواليا " ويقول : بل هو " مولى موال " .

ويسمع قول النابغة " فى أنيابها السم ناقع " فيقول عيسى بن عمر . قد أساء النابغة : انما هو ناقعا .

وكذلك كانوا يختلفون فى آيات القرآن الكريم مثل

" يا ليتنا نُرَدُّ ولا نُكذِّبَ بآياتِ ربنا ونكونَ من المؤمنين " فكان عيسى بن عمر ، وابن أبى اسحاق ينصبان " نكذب " و " نكون " وكان الحسن وابن أبى العلاء ويونس يرفعونهما ، ويتجاوزون فى ذلك " (١) .

وهكذا بدأت المباحث النحوية بقضايا أوليه ، ثم تطورت ونمت على الايام وقد حصل العبء الأكبر ، وقام بالنصيب الأوفر من الموالى الذين شغفوا بالبحث ، وأوقفوا حياتهم على الدراسة رغبة فى تعلم لغة الدين الحنيف ، وطمعا فى أن ينالوا مراتب الشرف ، ومنازل الثناء بين الناس . وتعاون الجهود الصادقة تم وضع النحو فى العصر الأموى ... بصرى المولد والنشأة ، فقد اهتم به نحاة البصرة وتعهدوه بالرعاية وحدهم قرابة قرن من الزمان — ولد النحو فيه وتكون من عصر واضع النحو أبى الأسود الى أول عصر الخليل ، وكان من علماء هذه المرحلة عنبسة الفيل ، ونصر الليثى ، وابن هرمز ، ويحيى بن يعمر وكانت هذه الطبقة تعتمد على الرواية للمسموع فقط ، ومن تلاهم ... ازدادت المباحث على أيديهم وصنفوا كتبا مفيدة ، وكان عبد الله بن إسحاق أعلم أهل البصرة وأعقلهم ، ففرّع النحو وقاسه (٢)

---

(١) ضحى الاسلام جـ ٢ ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ .
(٢) مراتب النحويين ص ٣١ .

وعيسى بن عمر صاحب الكتابين «الجامع والاكمال» ، وأبو عمرو ابن العلاء رجل التصانيف النحوية الكثيرة ، فظهرت على أيديهم فكرة التعليل القياسي وكان النحو مزيجا من علوم النحو والصرف واللغة والأدب وهي علوم العربية الأصيلة ، ولم تصل الينا هذه المؤلفات فقد عدت (١) عليها عوادي الزمن .

ولقد نمت هذه الدراسات النحوية في البصرة لما سبق ولما نعمت به من هدوء واستقرار سياسي ، وأنها ملتقى أصحاب المذاهب والنحل وكانت الدواعي متوفرة لمناهضة ما يعادي الاسلام ، وكان النحو أداة فعالة في تقويم الجدل الذي اعتمد عليه الدفاع عن الدين الحنيف، فضلا عن تمتعها بسوق المربد وما فيه من أدب وثقافة .

أما الكوفة : فقد انشغلت عن النحو ودراساته مدة قرن من الزمان مع أنها أنشئت بعد البصرة بسنتين على يد سعد بن ابي وقاص نفسه في موقع أسفل من موقع الحيرة والأنبار وسكنها الجند وهاجرت اليها كثير من قبائل العرب وخاصة اليمنية ، وامتازت بسكنى الأسر الكبيرة من

---

(١) نشأة النحو ص ٣٠ .

أشراف العرب ، وبالبعد عن ثقافة الشرق يغلب عليها طابع البداوة العربية ، فكانت أكثر شعرا وشعراء ، ورواة حديث لكثرة ما بها من الصحابة الذين بلغوا فيها سبعين ، ... والتابعين والمفسرين للقرآن في رواية بالمأثور كما عنيت الكوفة بفن القراءات عناية كبيرة ، وتخرج فيها قراء مشهورون شاعت قراءتهم في الأمصار الأسلامية ، كما عرفت الكوفة بأنها علوية تناصر أتباع عليّ بخلاف البصرة فكانت عثمانية وفيها وعندها وقعت معركة الجمل وانتصرت فيها .

لذلك انشغلت بعلوم العربية المختلفة عن النظر في النحو ولم تعرف الكوفة هذه الدراسة الا بعد أن ارتحل أبو جعفر الرؤاسي الى البصرة ، وأخذ النحو عن رجال الطبقة الثانية البصرية ثم عاد الى الكوفة ليؤسس مدرسة النحو الأولى بها ولذا سبقت البصرة الكوفة في النحو ، فلقد سبقتها الكوفة على يد معاذ بن مسلم الهرّاء الذى اشتغل بالصرف ، والعناية بمسائله ، والبحث عن الأبنية والتمارين الى أن غلبت عليه الناحية الصرفية واشتهر بها حتى عدهم المؤرخون الواضعين الحقيقيين لهذا العلم ، وليس معنى ذلك أن البصريين أهملوا جانب البحوث الصرفية ، فقد خلطوها بمباحث النحو من عهد الخليل وإنْ كانت عندهم في المرتبة الثانية .

ثم نمت بحوث النحو ، وتدرجت أطواره في العصر العباسي وأوفى على الغاية ، ووصل الى الذروة في البصرة والكوفة ثم في بغداد ، وأصبح لكل بلد منها سمات خاصة ، ومميزات محددة ومنهج للدراسات النحوية والصرفية نعرضها فيما يأتي .

أولا : ما اتفق عليه الفريقان : —

تكلمنا سابقا أن النحو بصرى المولد والنشأة ، وأن البصرة قد انفردت به قرابة قرن من الزمان ، ثم ابتدأت الكوفة تشارك فيه والغرض الأهم لها هو خدمة القرآن الكريم وحماية الألسنة من اللحن في التلاوة ، ولذلك كان المؤسسون هم القراء ، والنحو عربي المولد أصيل في عروبته ، ظهر خدمة للكتاب العزيز ، واستفاد أهله من دراسات الفلسفة والمنطق ، والعلة والقياس ولا علاقة في الحقيقة للنحو العربي بغيره من نحو اليونان والسريان ، فالفرق بينهما واسع والبون شاسع . وقد اتفق أهل المصرين في مباحثهما على ما يلي : —

أولا : اتفق الفريقان على أن القرآن الكريم أقوى مصدر يعتمد عليه في البحث والدراسة اللغوية ، فعولوا عليه ، واستدلوا بآياته الكريمة ولكنهم اختلفوا في القراءات القرآنية فالكوفيون : احتجوا بها واعتبروها من المصادر المهمة الصحيحة لأن القراء عدول ثقات يمتازون بالدقة في الأداء

والتحرى فى التلقى والتلقين ، وهم على حق فى ذلك فالقراء : أكفاء أمناء ، نَقَلَة لكتاب الله فى دقة وأمانة .

والبصريون : اختلفوا فى الاحتجاج بها ، وردّوا بعضها ، ولم يجدوا حرجا فى تخطئة بعض القراء كابن عامر ونافع ، وحمزة الذى قرأ بجر الأرحام فى قوله تعالى : ((واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحامِ)) وقال المبرد لا تحل القراءة بها ، بل تجرأ فى جسارة يُعَاتَبُ عليها بأن يقول لو صليت خلف إمام يقرأ بها لخرجت من الصلاة ، وجاءت هذه العدوى بدءا من سيبويه ،وسرت فى غيره من البصريين . وهم على غير حق فى نظرتهم فالقراء أصل يتبع والقاعدة تسير وراءها فتتبعها ولا يصح العكس "(١) .

ثانيا : لم يستدلوا بالأحاديث ، لجواز روايتها بالمعنى ،ودخول الأعاجم فى روايتها — وسنفصل ذلك .

ثالثا : — عول الفريقان أيضا فى جمع المادة اللغوية على كلام العرب الموثوق بسلامة منطقهم من التأثر بمخالطة الأعاجم ولكن دائرة الثقة كانت تتسع وتضيق أمام النحاة .

---

(١) وقد كتبت بحثا ضافيا فندت فيه آراء البصريين ، كما ذكرت أمثلة من هذه الخلافات فى رسالتى " الدكتوراه) الخفاجى .

((منهج أهل البصرة)) : -

أولا : البصريون يبالغون في الاحتياط ، ولا يعتمدون في سماعهم إلا ما كان عربيا خالصا من الشوائب ، فلم يأخذوا إلا من سكان البادية المنتمين في الغالب الى قيس ، وتميم وأسد ، وهذيل ، وكنانة ، وطيئ . ويتأكدون من قوة لغتهم ، وأنها لم تلوث من رطانة الحضارة " (١) .

ثانيا : وهم يبنون قواعدهم على أساس من الشواهد الكثيرة الصحيحة الموثوق بقائليها ، وترتب على ذلك قلة القواعد عندهم نسبيا وكثرة الشذوذ ، ولا ينظرون للقلة إلا إذا سلمت من المخالفة كرأي سيبويه في إلحاق فَعُولَة بفَعِيلَة في النسب ، اعتمادا على سماعه في النسب الى شنوءة شنئي .

ثالثا : لما وجد البصريون أن المادة اللغوية التي جمعوها من الرواة الثقات ، ومن الرحلات الى القبائل العربية البعيدة عن الحضر قليلة ولا تكفي لتشريع نحو كامل يشمل جميع الأساليب العربية ، فتحوا باب القياس الى المسموع لثقتهم التامة في مروياتهم .

---

(١) الخصائص ٤١٣/١ .

لقد بالغ البصريون في التحري عن الشواهد السليمة ، وابتعدوا عن كل مشاهد منحول أو مفتعل أو مجهول القائل ، غير ناظرين الى القليل [1] النادر منه ، حاكمين عليه بالضرورة أو الشذوذ أو التأويل أو الانكار ، ولكن ذلك في الحقيقة اجحاف لكلام الفئات القليلة من العرب الفصحاء ، واهدار لكلام القبائل المختلفة لحكم القياس على الأفشى والأكثر في كلام العرب .

البصرة تكافح في سبيل النحو : —

ويعتبر الواضع لقواعد النحو الاصطلاحي الوافي رجلان من أئمة القراء في البصرة وهما : عبد الله بن إسحاق الحضرمي ت١١٧هـ وأبو عمر بن العلاء ت ١٥٤ هـ . يقول : محمد ابن سلام الجمحي [2] بعد أن ذكر تلاميذ أبي الأسود " ثم كان من بعدهم عبد الله بن اسحاق الحضرمي ، فكان أول من بعج النحو ، ومد القياس والعلل وكان معه أبو عمرو بن العلاء وبقي بعده بقاء طويلا ، وكان ابن أبي اسحاق أشد تجريدا للقياس وكان أبو عمر أوسع علما بكلام العرب ولغاتها) .

ويلي هذين الرجلين في تأسيس النحو البصري ، جماعة اشتهر

(١) انظر ص ٩٩ من مجلة المجمع رقم ٨ في دورته العشرين .
(٢) طبقات فحول الشعراء ص ١٤ .

منهم ثلاثة رجال ، تم على أيديهم بناء قواعده ، بتطبيق أقيسته وتعليل أحكامه ، وهم : عيسى بن عمر الثقفى ت ١٤٩ هـ ، ويونس بن حبيب ت ١٨٢ هـ والخليل بن أحمد الفراهيدى ت ١٧٥ هـ والف عيسى فى النحو كتابيه : الجامع والاكمال ، وسار على طريق الحضرمى فى تجريد القياس وتخطئة المخالفين له كما ذكرنا ، ويونس نهج نهجه ، وكان له مذاهبه وأقيسته تفرد بها ، وأما الخليل — فهو بحق أعظم نحاة البصرة شأنا ، وأبقاهم فى العربية أثرا ، تم النحو على يديه خلقا سويا كامل الأصول والفروع ، فهو شيخ النحاة بلا ريب . وليس له كتاب خاص بالنحو ، وانما أملى مسائله على تلميذه النجيب " سيبويه " ت ١٨٠ هـ وهو يمثل النحو البصرى خير تمثيل بل هو المنهل العذب الذى ارتوى منه شيوخ مذهب البصرة والكوفة فاشتغلوا بالكتاب ، وأفادوا منه بعد سيبويه كالأخفش والجرمى والمازنى والمبرد ، كما أفاد من أعلام النحاة الكوفة كالكسائى ت ١٨٩ هـ والفراء ت ٢٠٧ هـ .

وقد استمر نحاة البصرة يكافحون فى سبيل النحو ، ودارت بينهم وبين نحاة الكوفة معارك شديدة ، بدءا من مناظرة سيبويه والكسائى وموت أبى بشر غمًا وهو فى ريعان الشباب ، ثم استمر الخلاف على أشده بين تلاميذ الكسائى والفراء من أمثال ثعلب والمبرد ت ٢٨٥ هـ فى وذلك فى القرن الثالث ، ثم خفّ النزاع

بينهما ولم يبق منه الا صور ضئيله بعد وفاة المبرد وثعلب وقد خرج النحو البصرى من هذه المعارك قوى البناء ، كثير الأنصار ، عظيم التآليف وكلها كانت تدور حول الكتاب شرحا ونقدا — وفى القرن الرابع الهجرى ظهر أبو على الفارسى ت ٣٧٧ هـ وتلميذه أبو الفتح ابن جنى ت ٣٩٢ هـ فثبتا قواعد المذهب البصرى ، وجددا بنيانه ، وأعليا أساسه وأمداه بحجج قوية ، وبراهين ساطعة ، أضفت عليه جلالا وقوة ، ثم عَمَّ العالم الاسلامى شرقا وغربا .

* * *

منهج الكوفة النحوى : ـ

لقد علمت أن المذهب الكوفى تأخر مدة طويلة عن البصرى لأسباب ذكرناها سابقا ـ حيث شغلهم الشعر والأدب والقراءات والفقه والتفسير عن النظر فى العلم الوليد ثم تنبهوا أخيرا على يد الرواسى ثم الكسائى والفراء ، فأخذوا عن البصريين كثيرا من أصولهم وفروعهم واقتفوا منهجهم ، وساروا على قياسهم حتى قال زعيم مدرستهم :

إنما النحو قياس يتبع
وبه ـ فى كل شىء ينتفع

ولكن بين المذهبين ، فروق جوهرية ، مازت الكوفة عن البصرة وهى : ـ

أولا : التعويل على كل مسموع من العرب ، والقياس عليه حتى ولو كان شاهدا واحدا ، وربما استشهدوا بما لم يعرف قائله كقول الشاعر : ـ (1)

أردت لكيما أن تطير بقربتى
فتتركها شنا ببيداء بلقع

فقد أجازوا إظهار (أن) بعد (كى) بهذا ، ولم يعرف

(1) انظر الخزانة للبغدادى جـ ١ ص ١٦ .

قائله كما استدلوا على جواز دخول اللام فى خبر لكنّ بشطر بيت هو :

وَلَكِنَّنِي من حُبِّهَا لَعَمِيدُ .

مع أن هذا البيت لا يعرف قائله ، ولا أوله ، ولم يذكر منه الا هذا ولم ينشده أحد ممن وثق فى اللغة أو عزى الى مشهور بالضبط والاتقان وبذلك أصبحت عندهم المادة اللغوية غزيرة موفورة ، لأنهم توسعوا بالأخذ من قبائل مختلفة تسكن البوادى ، وما يتاخم الحواضر كأعراب الحُطَيمات ، وأهل اليمن القاطنين فى الكوفة ، ولم يدققوا فى الشواهد وانما يعتمدون كل بيت مسموع مهما كان صاحبه ولو كان مجهولا .

أما البصريون فهم على النقيض ، لايعتمدون إلاّ الكثرة الدقيقة المعروفة أصحابها من العرب الاقحاح . ولذلك افتخروا وقالوا : نحن نأخذ [1] اللغة عن حَرَشَةِ الضِّبَاب وأكلة اليرابيع ، وهؤلاء أخذوا اللغة عن أهل السواد أصحاب الكوامِيخ ، وأكلة الشواريز . "

ثانيا : قلة الشذوذ عندهم ، نتيجة احترامهم لكل مسموع عن العرب - يكون تيسيرا على الناس فى المنطق ، ولا ضير فى محاكاة أى استعمال عربى .

---

(١) أخبار النحويين البصريين ص ٩٩ ت د / محمد البنا .

ثالثا : كثرة القواعد النحوية ، والأبنية ، لأنهم أقاموا لكل مسموع وزنا وقاسوا عليه ، وجعلوه أصلا لقاعدة ، مع اعتدادهم بالمثال الواحد مع الترخيص بالقياس اذا فقد الشاهد ، على مقتضى الرأى ، لأن القواعد وليدة اللغة فهى ذات السلطان الآسر عليها دون العكس ولا يمكن الادعاء بأن الكوفيين برئوا من التأثر بالمنهج الفلسفى فأنت تعرف أن مذهبهم بنى على المذهب البصرى وأخذوا عنهم النزعة الى القياس ، ويبدو هذا فى رأيهم أن صيغ المبالغة لا تعمل لبعدها عن الأفعال ، بدلالتها على المبالغة التى لا يدل عليها فى شواهد كثيرة ، وهذا ناشئ عن اهتمامهم بالقياس .

يتضح لك من العرض السابق أن الفريقين أهل سماع وقياس ، وان كان الكوفيون يعولون على السماع أكثر ، ثم يقيسون على كل ما سمع والبصريون يأخذون من المسموع بقدر ، ويشترطون للاحتجاج به نسبته الى قبائل معينة وشيوعه بحيث يكون أساسا للقاعدة ، ثم يقيسون عليه وما جاء مخالفا للقاعدة عندهم حكم عليه بالضرورة أو التأويل ، أو الشذوذ أو لهجة خاصة وقد يرمى صاحبه بالانحراف ، ويتهم بالخطأ والقواعد عند الكوفيين أكثر وقد ينسخون قاعدة سمعوا لها مخالفا ، والبصريون قواعدهم أقل ، وهى عندهم لا تقبل النسخ أو التبديل ، لأنها تتفق ومنهجهم العلمى .

وأحب لك أن تعرف أن التنافس العلمى والعصبية الحمقاء من الأسباب التى أدت الى توسيع دائرة الخلاف ، وتدخلت فى نصر فريق على فريق كما حدث فى مناظرة سيبويه مع الكسائى وأن تعرف أيضا أنهما قد اتفقا على إبعاد الأحاديث النبوية على دائرة الاحتجاج والاستشهاد ، لأن الأعاجم من رواتها وكثير منها روى بالمعنى وهذا موقف غير سديد من الفريقين ، كيف ساغ لهم أن يقتطعوا هذه الثروة الكبيرة التى عنى الرواة بها وتقربوا الى الله بجمعها وحفظها ودرس العلماء هذه القضية ووصلوا الى نتائج طيبة ، وسنعرضها بعون الله.

واليك بعض المسائل الخلافية بين البلدين

ألف الشيخ الامام كمال الدين أبو البركات الانبارى المتوفى سنة ٥٧٧ هـ كتاب " الانصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين " وذكر فيه احدى وعشرين ومائة مسألة ، وأوضح فى كل منها رأى الفريقين ، وما احتج به كل فريق ، ثم ناقش الحجج ، وبين الراجح من الآراء ، ووجه رجحانه .

وسنذكر هنا بعض هذه المسائل ، لتكون تطبيقا على دراستك السابقة .

المسألة الأولى : (٨٠ = مسألة) جـ ٢ ص ٥٧٩ .

(هل يجوز اظهار " أن " المصدرية بعد "لكي" وبعد " حتى ؟) .

ذهب الكوفيون الى أنه يجوز اظهار " أن " بعد كي "نحو" جئت لكي أن أكرمك " فتنصب " أكرمك " بكي " و " أنّ " توكيد لها ولا عمل لها ، وذهب بعضهم الى أن العامل في قولك " جئت لكي أنْ أكرمَك " اللام ، وكي وأن توكيد أن لها ، وكذلك أيضا يجوز اظهار "أن" بعد حتى . وذهب البصريون الى أنه لايجوز اظهار "أنْ " بعد شيء من ذلك بحال .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنه يجوز إظهار أن بعدها النقل والقياس . أما من جهة النقل فقد قال الشاعر :

أَرَدْتَ لكيما أن تطير بقربتي
فتركتها شنًّا ببيداء بلقع

وأما جهة القياس : فلأن "أن" جاءت للتوكيد ، والتوكيد من كلام العرب ، فقد دخلت "أن" توكيدا لها ، لاتفاقهما في

المعنى " وإن اختلفا في اللفظ ، كما قال الشاعر : —

قد يكسب المال الهدان الجافي
بغير لا عصف ولا اصطراف (١)

فأكد " غير " بـ " لا " لاتفاقهما في المعنى ولهذا قلنا : إنّ العمل لكي ، وأنّ " لا عمل لها به لأنها دخلت توكيدا لها ، وكذلك أيضا قلنا : إنّ العمل للام في قولك : جئت لكي أن أكرمك " لأنّ كي وأن تأكيدان للام ، ولا يبعد في كلامهم مثل ذلك ، فقد قالوا : لا إنْ ما رأيت مثل زيد فجمعوا بين ثلاثة أحرف من حروف الجحد للمبالغة في التوكيد ، فكذلك ها هنا .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : اظهار " أن " بعد " لكي " لا يخلو : اما أن تكون لأنها قد كانت مقدرة فجاز اظهارها بعد الأضمار ، وأما أن تكون مزيدة ابتداء من غير أن تكون قد كانت مقررة بطل أن يقال " انها قد كانت مقدرة " لأن " لكي " تعمل بنفسها ولا تعمل بتقدير " أن " ولو

---

(١) الهدان : الأحمق الدخم الثقيل في الحرب ، الجافي : الغليظ العصف : الطلب والحيلة ، اصطراف : التصرف والحيلة في طلب الرزق — والبيت يستدل به على أن الكلمتين اذا كان معناهما واحدا جاز أن تؤكد احداهما بالأخرى وهنا أكد (غير بـ لا) .

كانت تعمل بتقدير " أن " لكان ينبغي اذا ظهرت "أن " أن يكون العمل لأنّ دونها ، فلما أضيف العمل اليها دل على أنها العامل بنفسها ، لا بتقدير أنْ ، وبطل أن يقال إنها تكون مزيدة ابتداء ، لأن ذلك ليس بقياس فيفتقر الى توقيف عن العرب ، ولم يثبت عنهم في ذلك شيء ، فوجب أن لا يجوز ذلك .

ومنهم من تمسك بأن قال: إنما لم يجز اظهار " أن " بعد كي وحتى ، لأن كي وحتى صارتا بدلا من اللفظ بأن ، كما صارت "ما " بدلا عن الفعل في قولهم : أما أنت منطلقا انطلقت معك " والتقدير فيه : أن كنت منطلقا انطلقت معك بحذف الفعل وجعلت " ما " عوضا عنه ، وكما لا يجوز أن يظهر الفعل بعد (ما) لئلا يجمع بين البدل والمبدل ، فكذلك هنا .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما البيت الذى أنشدوه فلا حجة لهم ثلاثة أوجه: —

أحدها : — أن هذا البيت غير معروف ولا يعرف قائله فلا يكون فيه حجة .

والوجه الثاني : أن يكون قد أظهر "أن" بعد " كي " لضرورة الشعر وما يأتى للضرورة ، لا يأتى في اختيار الكلام .

والوجه الثالث: أن يكون الشاعر أبدل " أن " من " كيما " لأنهما

بمعنى واحد ، كما يبدل الفعل من الفعل اذا كان في معناه قال تعالى : ((ومَنْ يفعلْ ذلك يلقَ أثاما يُضاعَفْ له العذابُ يومَ القيامة)) و (يضاعف) بدل من (يلق) وقال الشاعر : –

مَتَى تأْتِنا تُلْمِمْ بنا في ديارنا
تَجِدْ حَطبًا جَزْلًا وناراً تأجَّجَا

فتلمم : بدل من " تأتنا " وقال الشاعر : –

إنْ يَغْدِرُوا أو يَجْبُنُوا
أو يَبْخَلُوا لا يَحْفِلُوا

يغدوا عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا .

فيغدوا : بدل من قوله (لايحْفِلوا) فكذلك ها هنا ، وعلى كل حال فهو قليل في الاستعمال .

وأما قولهم " إنَّ التأكيد من كلام العرب ، فدخلت أن للتأكيد قلنا : انما جاز التوكيد فيما وقع عليه الأجماع ، لأنه قد جاء عن العرب كثيرا متواترًا ، شائعًا ، بخلاف ما رفع الخلاف فيه فإنّه لم يأت عنهم فيه إلاّ شاذًا نادرا لا يعرج عليه ، ولم يثبت ذلك الشاذ النادر أيضا عنهم ، فوجب ألا يكون جائزا ، والله أعلم .

٢ - المسألة الثانية : ١٣ - مسألة ص ٨٢ .

القول في ناصب الاسم المشغول عنه .

ذهب الكوفيون الى أن قولهم : " زيدًا ضربْتُهُ " منصوب بالفعل الواقع على الهاء ، وذهب البصريون الى أنه منصوب بفعل مقدر والتقدير فيه : ضربتُ زيدًا ضربتُه .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : انما قلنا إنَّهُ منصوب بالفعل الواقع على الهاء ، وذلك لأن المَكْنِيَّ ، الذي هو الهاء العائد هو الأول في المعنى ، فينبغي أن يكون منصوبا به ، كما قالوا " أكرمت أباك زيدا ، وضربت أخاك عمرا " .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إنه منصوب بفعل مقدر ، وذلك لأن في الفعل الذي ظهر دلالة عليه ، فجاز باضماره استغناء بالفعل الظاهر عنه ، كما لو كان متأخرا وقبله ما يدل عليه .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : قولهم : " انما قلنا إنَّه منصوب بالفعل الواقع على الهاء ، لأن المكنى هو الأول في المعنى ، فينبغي أن يكون منصوبا به كقولهم " أكرمت أباك زيدا " قلنا : هذا فاسد وذلك لأن انتصاب زيد في قولهم "أكرمت أباك زيدا "

على البدل وجاز أن يكون بدلا ، لأنه تأخر عن المبدل منه ، اذ لا يجوز أن يكون البدل الا متأخرا عن المبدل منه ، وأما ها هنا فقد تقدم زيد على الهاء ، فلا يجوز أن يكون بدلا منها لأنه لا يجوز أن يتقدم البدل على المبدل منه ، على أنا نقول ان العامل فى المبدل منه على تقدير التكرير فى البدل والذى يدل على ذلك اظهاره فى البدل كما أظهر فى المبدل منه ، قال الله تعالى : ((قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم)) فقوله (لمن آمن منهم) بدل من قوله (للذين استضعفوا) فأظهر العامل فى البدل كما أظهره فى المبدل منه .

وقال الله تعالى : ((ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة)) فقوله (لبيوتهم) بدل من قوله (لمن يكفر بالرحمن) فأظهر العامل فى البدل كما أظهره فى المبدل منه ، فدل على أنه فى تقدير التكرير ، وأن العامل فى البدل غير العامل فى المبدل منه والله أعلم .

والمقام يحتاج الى نظرة نحوية مفيدة ، وذلك أن ما رد به البصريون دليل الكوفيين مبنى على أن الاسم المشغول عنه يعرب عند الكوفيين بدلا من الضمير المتأخر ، وهو ما يوحى به التنظير الذى ذكروه .

فإنْ قيــل : هل يجوز أن يعرب كــل من الاســم المشغول عنــه والضمير مفعولا بــه للفعل المذكور •

فالجواب أن الفعل (ضرب) ينصب مفعــولا به واحدا ، وألا يصح التعقيب على هــذا الجواب ، بأنهما فى قوة مفعــول به واحد لأنهــما بمعنى واحد ، اذ هو قول بما لا نظير لــه ، وان كان لــه وجــه فى هذه الصورة بخصوصها ، فلــن يكون له وجه فى بقية صــور الاشــتغال كقولهم : زيدا مررت بــه ، وزيدا أهنت عدوه •

فلا يجــوز أن نعرب (زيدا) فى المثال الأول مفعــولا به للفعل المذكور ، لانّــه لازم كما لا يجــوز اعرابــه فى المثال الثانى مفعــولا به للفعل (أهنت) ، لفساد المعنى عليــه ، والقياس على تابــع قياســى غير ســليم ، فان العامــل فى البدل ، غير العامـــل فى المبدل منــه ولو كان واحــدا ، ما صرحت الآيتان بذكره ، ومــن ثــم تــقرّر مطمئنين أن مذهــب البصريين أصح وأولى بالقبــول لاطراده فى جــميع صــور الاشتغال ••• ونظرتــه الدقيقة للفــروق اللغويــة فى الأســلوب •

* * *

المسألة الثالثة : ١٢٠ — مسألة جـ ٢ ص ٨٢٨ .

(القول في تقديم التمييز اذا كان العامل فعلا متصرفا) .

اختلف الكوفيون في جواز تقديم التمييز اذا كان العامل فعلا متصرفا ، نحو : " تصبّب زيد عَرَقًا " و " تفقأ الكبش شحما " فذهب بعضهم الى جوازه ، ووافقهم على ذلك أبو عثمان المازني ، وأبو العباس المبرد من البصريين ، وذهب أكثر البصريين الى أنه لا يجوز .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على جواز التقديم النقل والقياس أما النقل فقد جاء في كلامهم قال الشاعر : —

أتَهْجُرُ سَلْمى بالفِراقِ حبيبَها
وما كان نفسًا بالفراقِ تَطيبُ

وجه الدليل أنه نصب " نفسا " على التمييز ، وقدمه على العامل فيه ، وهو " تطيب " ، لأن التقدير فيه : وما كان الشأن والحديث تطيب سلمى نفسا ، فدل على جوازه .

وأما القياس : فلأن هذا العامل فعل متصرف ، فجاز تقديم معموله عليه كسائر الأفعال المتصرفة ، ألا ترى أن الفعل لما كان متصرفا نحو قولك .

"ضرب زيد عمرا" جاز تقديم معموله عليه نحو : "عمرا ضرب زيدٌ"
ولهذا ذهبتم الى أنه يجوز تقديم الحال على العامل فيها
اذا كان فعلا متصرفا نحو : "راكبا جاء زيد" .

قالوا : ولا يجوز أن يقال : "تقديم الحال على العامل فيها لا يجوز عندكم ولا تقولون به ، فكيف يجوز لكم الاستدلال بما لا يجوز عندكم ، ولا تقولون به ؟ .

لأنا نقول : كان القياس يقتضى أن يجوز تقديم الحال على العامل فيها اذا كان فعلا متصرفا ، الا أنه لم يجز لدليل دل عليه وذلك لما يؤدى اليه من تقديم المضمر على المظهر على ما ينافى مسألة الحال ، فبقينا فيما عداه على الأصل ، وجاز لنا أن نستدل به عليكم وان كنا لا نقول به ، لأنكم تقولون به ، فصلح أن يكون الزاما عليكم " .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا أنه لا يجوز تقديمه على العامل فيه ، وذلك لأنه هو الفاعل في المعنى ، ألا ترى أنك اذا قلت " تصبب زيد عرقا " وتفقأ الكبش شحما " أن .. المتصبب هو العرق ، والمتفقئ هو الشحم وكذلك لو قلت : " حسن زيد غلاما ودابة " لم يكن له حظ فى الفعل من جهة المعنى ، بل الفاعل فى المعنى هو الغلام والدابة

قالـوا : ـ

ولا يلزم على كلامنـا الحال حيث يجوز تقديمها على العامـل فيها نحـو : راكبا جاء زيد فان (راكبـا) فاعل في المعـنى ومع ذلـك يجـوز تقديمـه ،لأنـا نقـول : الفرق بينهماظاهر ، وذلك لأنـك اذا قلت : " جـاء زيد راكبـا " فزيد هـو الفاعل لفظـا ومعـنى ، واذا استوفـى الفعل فاعلـه من جهـة اللفظ والمعنى صـار " راكبـا " بمنزلة المفعـول المختص ، لاستيفاء الفعـل فاعـله من كـل وجـه ، فجاز تقديمه كالمفعـول نحـو : "عمرا ضرب زيـدٌ " بخـلاف التمييز ،فإنك اذا قلـت: تصبب زيدٌ عرقا ، وتفقـأ الكبشُ شَـحْمًا ، وحَسُـنَ زيدٌ غلاما " لـم يكن زيد هـو الفاعـل في المعنى ، بل الفاعل في المعـنى هـو العرق والشحـم والغـلام ، فلم يكن عرقـا وشحما ، وغلاما بمنزلة المفعـول من هـذا الوجـه ،لأن الفعـل اسـتوفى فاعلـه لفظا لا معـنى فلم يجـز تقديمـه كما جـاز تقديم الحـال ، وكذلك قولهـم : امتـلأ الأنـاء ماء " فانه لم يكن مثـل " تصبب زيد عرقـا " لأنـه لا يمكن أن تقـول : " امتـلأ مـاء الأنـاء " كما يمكن أن تقـول : تصبب عـرق زيد " الا أنـه لما كان يـملأ الأنـاء كان فاعـلا على الحقيقـة .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما ما استدلوا بـه مـن قول الشاعر أتهجر سلمى بالعراق .... الخ .

فان الرواية الصحيحة وما كان نفسى بالفراق تطيب • وذلك لا حجة فيه ، ولئن سلمنا صحة ما رويتموه فنقول : "تَصَبَّبَ نفسا " بفعل مقدر ، كأنه قال : أعنى نفسا ، لا على التمييز ، ولو قدرنا ما ذكرتموه فانما جاء فى الشعر قليلا على طريق الشذوذ ، فلا يكون فيه حجة •

وما قولهم "إنه فعل متصرف فجاز تقديم معموله عليه كسائر الأفعال المتصرفة الى آخر ما قرروه " قلنا : الفرق بينهما ظاهر وذلك لأن المنصوب فى "ضرب زيدٌ عمرا " منصوب لفظا ومعنى وأما المنصوب فى نحو : "تصبَّب زيدٌ عَرَقاً " •

فإنه وان لم يكن فاعلا لفظا فانه فاعل معنى ، فبان الفرق بينهما •

وأما احتجاجهم بتقديم الحال على العامل فيها فلا حجة لهم فيه لأنهم لا يقولون به ، ولا يعتقدون صحته ، فكيف يجوز أن يستدلوا على الخصم بما لا يعتقدون صحته ؟•

قولهم " كان القياس يقتضى أن يجوز الحال على العامل فيها الا انه لم يجز عندنا الدليل دل عليه ، وهو ما يؤدى اليه من تقديم المضمر على المظهر" •

قلنا : وكذلك نقول هاهنا : كان القياس يقتضى أنه يجوز

تقديم التميز على عامله ... ، الا أنه لم يجز عندنا لدليل دل عليه ، وهو أن التميز فى المعنى هو الفاعل ، والفاعل لا يجوز تقديمه على الفعل على ما بينا ، واذا جاز لكم أن تتركوا جواز التقديم هناك لدليل جاز لنا أن نتركه هاهنا لدليل ، على أنا قد بينا فساد ما ذهبتم اليه ، وصحة ما ذهبنا اليه . والله أعلم .

والواقع أن دليل الكوفيين أقوى من البصريين لاعتمادهم على السماع ، وهو أقوى حجة ، كما جاء بجوازه أبيات أخرى منها قول الشاعر :

أنفسًا تطيبُ بنيْلِ المُنَى
وداعِى المنونِ يُنَادى جِهَارا

وقوله :

ضيَّعْتُ حَزْمِى فى ابعادِىَ الأَملا
وما ارْعَوَيْتُ وشيباً رأسى اشتعلا

وغير ذلك كثير ، أليس كافيا فى جواز هذا التقديم ؟ بلى انه كاف ومجيز — فاذا انضم اليه قياسى يواتيه على باقى الفضلات وجواز تقديمها على عاملها المتصرف كما أجاز البصريون أنفسهم تقديم المفعول والحال ، فما المانع هنا ؟ ولكن التمحل المذهبى

العقيت الذى كان من الواجب على البصريين أن يبرأوا منه مع ظهور الحجة فى وارد كثير العرب ، فإن حذفوا بيتا ، فالأبيات الأخرى تنهض بالحجة الناصعة على الجواز ، ودعواهم بأن التمييز فاعل فى المعنى فقد يكون مفعولا فى المعنى ومبتدأ كذلك ، وهل ننظر للقضية باعتبار المعنى أم ننظر إليها من حيث الصياغة ، وأنه جاء على صورة الفضلة .

لذلك فإن قياس الكوفيين أولى بالقبول من قياس البصريين .... والسماع عند العرب مع الكوفيين ، مما يجعل مذهبهم أولى بالقبول هنا ، وفى جواز اظهار " أن المصدرية بعد لكى " .

وقد أردت بعرض هذه المسائل أن أعلمك استقلال الشخصية والتحرر فى إصدار الحكم النحوى ، وألا تكون أسير التقليد وأن تكون صاحب شخصية قادرة ، بوسائله الجَيِّدة .

* * *

((الشواهد النحوية))

الشاهد النحوى هو الأساس لهذا الفن ، به تتقرر القاعدة وتقام به الحجة ، وينهض الدليل ، ويزول عن الأسلوب الشك والارتياب فهو الفيصل فى كل خلاف ، والمعين الذى لاينضب فى تقويم التراكيب والمنهل العذب الذى يرتحل اليه طلاب اللغويات فى كل مكان وزمان ، وهو الحكومة التى لا يرد لها حكم ، ولذلك نال جهدا كبيرا من علمائنا السابقين فارتحلوا فى سبيله الى البادية وغيرها ، حتى جمعوا هذا التراث الزاخر ، الخالد المعبر بحق عن حضارة العرب الأصيلة .

يقول ابن الأنبارى (1) فى " أصول النحو " : أدلة النحو التى تفرعت عنها فروعه ، وفائدته التعويل فى إثبات الحكم على الحجة والتعليل ، والارتفاع عن حضيض التقليد الى يفاع على الدليل فإنّ المخلد الى التقليد لا يعرف وجه الخطأ من الصواب ، ولا ينفك أكثر الأمر من عوارض الارتياب) .

ويقول أحد الباحثين (2) : والغريب أن الشواهد الشعرية .. أخذت مكانها من كتب النحو : برغم أن الشعر لغة ضرورة ، ولم

---

(1) لمع الادلة فى أصول النحو ص ٥٠ .
(2) القياس فى النحو ص ٨٣ .

تحظ الشواهد النثرية بعناية النحاة .... أما الأمثال فهي قريبة القاعدة من الشعر ، لأن المثل لا يعكس لغة الاستعمال الدارج ولا يمثل أسلوبا في الكلام المطرد ، وانما هو متن يمثل لغة خاصة انتهت الى استعمال عام " .

والواقع أن الشواهد الشعرية ما اعتنى بها النحاة وسجلوها في كتبهم إلا لثقتهم التامة بأن الشعر يمثل علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه في الاسلام — كما يقول عمر — رضي الله عنه — فهو علم ذائع مشهور بين الناس ، ويمثل لغة عامة العرب ، وهو القادر المعبر عن أفكارهم ، وخلجات نفوسهم، وأحسن الأخبار عندهم ما كان في أثنائها شعر ، كما قال الأقدمون وهو الدليل على صدق الخبر وواقعيته و هذا هو سر لجوء المسعودي المؤرخ ت (٣٤٦) هـ الى تذييل قصص الأمم الغابرة بالشعر ويقول ابن عباس : " اذا قرأتم شيئا من كتاب الله فلم تعرفوه ، فأطلعوه في أشعار العرب [١] ، فان الشعر ديوان العرب ، وقيل : لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين [٢] فالشاهد من الشعر هو روح النحو ، واللغة صورة عصرنا .

أما أن الشعر لغة ضرورة فيكفي للرد على هذا القول ما ذكره

(١) و (٢) العمدة ص ١/ ٣٠ .

البغدادى (1) فى الخزانة حيث قال : "إن الضرورة عند النحاة ليس معناها أنه لا يمكن فى الموضع غير ما ذكر ، اذ ما من ضرورة الا ويمكن أن يعوض من لفظها غيره ، ولا ينكسر هذا الا جاحد لضرورة الفعل "ثم يقول : " الضرورة ما وقع فى الشعر ، سواء كان للشاعر عنه فسحة أم لا ويعبر عن ذلك بأنه الصحيح فيها " (2).

وسيبويه رحمه الله — يذكر أمثلة نثرية ثم يعدو الى الشعر يدعم به النثر (3) يقول "يقال هو حلة الغور أى قصده ، سمعنا ذلك من يوثق به من العرب وتقول هو قصدك كما قال الشاعر وسمعنا بعض العرب ينشده " ثم يذكر (4) ومن ذلك قول العرب هو موضعه ، وهو مكانه ، وهذا مكان هذا ، وهذا رجل مكانك اذا أردت البدل " ثم يقول " (5) : واعلم أن هذه الأشياء كلها قد تكون أسماء غير ظروف ، بمنزلة زيد وعمرو ، سمعنا من العرب من يقول : دارك ذات اليمين ، وقال الشاعر :

فَغَدَتْ كلا الفَرْجَيْنِ تَحْسِبُ أنه
مولى المخافة خَلْفُها وأَمامُها

---

(1) جـ ١ ص ٣٣ .
(2) الخزانة ص ١ ص ٤٦ . (3) الكتاب جـ ١ ص ٥ ٤٠
(4) الكتاب جـ ١ ص ٤٠٦ . (5) السابق جـ ١ ص ٤٠٧ .

فلا فرق في الشواهد العربية بين شعر ونثر ، ولا عبرة بكلام من فرق بينهما وأستطيع أن أقرر أن هذه الشواهد التي تقوم بها الحجة في اللغويات " النحو والصرف ، واللغة فقط " في القرآن الكريم بقراءاته المختلفة وفي الحديث النبوي الشريف الذي ثبت عند الثقات من علماء هذه الأمة وكلام العرب ، سواء كان شعرا أم نثرا ، حكمة ومثلا والقياس ود ونك بيان هذه الشواهد : ـ

(١) القرآن الكريم بقراءاته المختلفة : ـ

القرآن الكريم كتاب الله المنزل على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ المتعبد بتلاوته ، المتحدى بأقصر سورة منه ، وهو كتاب عربي أحكمت آياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، في قمة الفصاحة ، وفي ذروة البلاغة ، قال عنه الجن حين سمعته إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به " فهو كتاب هداية ، ومنهج للبشر وإعجاز في البيان ، وصحة في اللغة سواء كانت القراءة متواترة أم شاذة ، لأن القراءة سنة متبعة والقراء أهل ثقة ، وأمانة في النقل ودقة في الأداء ، ويمتازون بالتحري البالغ في التلقي والتلقين ولقد قلنا سابقا ـ ان الكوفيين اعتزوا بالقراءات كلها ، واحتجوا بها في اللغة ولكن البصريين جانبهم الصواب ، وابتعد عنهم التوفيق حين استبعدوا الاستشهاد بالقراءات الا اذا كان هناك شعر يسندها

أو كلام عربي يعضدها ، أو قياس يؤيدها ، وبذلك حرموا أنفسهم من مصدر مهم للنحو والصرف ، يثرى البحث النحوي ويوسع دائرته ، وينذى دراساته ، فضلا عن تميز القراء بأنهم ثقات عدول ، حافظوا على القرآن الكريم محافظة كانت مضرب الأمثال في كل العصور ، فهل يعقل أن تنكر روايتهم للكتاب العزيز ، وتجحد قراءتهم للكتاب الخالد ، وتنقضى أمانتهم لقرآن الله .

فالبصريين على خطأ في ذلك . وسأضرب أمامك أمثلة لآراء البصريين في القراءات القرآنية ، وتحكم بنفسك على مدى الجرم الذي وقعوا فيه وحكموا بضعف القراءة الآتية من النحويين .

فأقول : ـ

قرأ ابن عامر (١) قوله تعالى : ((وكذلك زُيِّن لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائِهم)) ببناء " زين " للمجهول " ونصب أولادهم وجر " شركائهم " وقرأ باقي القراء ببناء " زين " للمعلوم ، ونصب وجر " أولادهم " ورفع " شركاؤهم " .

---

(١) كتاب السبعة لابن مجاهد ص ٢٧٠ والآية من سورة الأنعام رقم ١٣٧ .

وقراءة ابن عامر على هذا قد وقعت عند البصريين في مشكلة نحوية وكذلك عند الفراء ومن لف لفهم " والمشكلة هي " ارتكاب الفصل بين المضاف وهو " قتل " والمضاف اليه " شركائهم " بالمفعول به وهو (أولادهم) المنصوب بالمصدر ، وهذا ممنوع الا بالظرف أو الجار والمجرور مثل قول الشاعر : —

لما رأتْ ساتيدَما استعبرتْ
لله دَرُّ اليومَ من لامَها

وقول الآخر : —

كأنَّ أصواتَ من إيغالِهِنَّ بنا
أواخرِ الميْسِ أصواتُ الفراريج

لأن الظروف والجار والمجرور يتسع فيهما مالا يتسع في غيرهما وهذا الموضوع هو " الفصل بين المضاف والمضاف اليه " قد أخذ نقاشا طويلا بينهم ، وشغل حيزا كبيرا من كتب النحاة — ودونك تفصيل هذه القضية عندهم :

يقول الفراء[1] : " وكان بعضهم يقرأ الآية السابقة ، فيرفع القتل ، اذا لم يسم فاعله ، ويرفع الشركاء بفعل ينويه ،

(١) معاني القرآن للفراء ١ : ٣٥٧ ، ٣٥٨ .

ثم قال : وفى بعض مصاحف أهل الشام " شركايهم " فان تكن مثبتة عن الأولين ، فينبغى أن يقرأ " زين " وتكون الشركاء هم الأولاد ، لأنهم منهم فى النسب والميراث ، فان كانوا يقرؤون " زين) فلست أعرف جهتها الا أن يكونوا آخريين بلغة قوم يقولون : (أتيتهم عشايا) ثم يقولون فى تثنية : الحمراء : حمرايان ، فهذا وجه أن يقولوا : شركايهم وليس قول من قال : انما أرادوا مثل قول الشاعر :

فزججتها متمكنا
زج القلوص أبى مزاده

بشئ ، وهذا ما كان يقوله : نحويو أهل الحجاز ، ولم نجد مثله فى العربية فالفراء يتشكك فى القراءة ، ويحكم عليها بالضعف وأنها عديمة النظر ، بل إنه يصرح فى آية مماثلة ، فصل فيها بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول لاسم الفاعل فيقول " وليس قول من قال : " مخلف وعده رسله " ولا " زين " لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم) بشئ وقد فسر ذلك نحويو أهل المدينة ينشدون قوله " البيت السابق " وقال : باطل والصواب : زج القلوص أبو مزاده) .

وترى الأنبارى يعرض هذه المسألة فى كتاب الانصاف (1)

---

(1) كتاب الأنصاف جـ ٢ صـ ٤٢٥ .

فيقول : -

ذهب الكوفيون الى أنه يجوز الفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف وحرف الخفض ، لضرورة الشعر ، وذهب البصريون الى أنه لا يجوز ذلك بغير الظرف وحرف الجر ....
وبعد أن يذكر دليل كل فريق يعقب على ذلك بقوله " وأما قراءة من قرأ من القراء (وكذلك زُيِّنَ لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائِهم) فلا يسوغ لكم الاحتجاج بها ، لأنكم لا تقولون بموجبها ، لأن الاجماع واقع على امتناع الفصل بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول في غير ضرورة الشعر ، والقرآن ليس فيه ضرورة ، واذا وقع الاجماع على امتناع الفصل به بينهما في حال الاختيار سقط الاحتجاج بها في حالة الاضطرار ، فبان أنها اذا لم يجز أن تجعل حجة في النظير لم يجز أن تجعل حجة في النقيض ، والبصريون يذهبون الى وَهْي هذه القراءة ، ووهم القارئ ، إذ لو كانت صحيحة لكان ذلك من أفصح الكلام ، وفي وقوع الاجماع على خلافه دليل على وهي القراءة ، وانما دعا ابن عامر الى هذه القراءة أنه رأى في مصاحف أهل الشام (شركائهم) مكتوبا بالياء ومصاحف أهل الحجاز والعراق (شركاؤهم) بالواو فدل على صحة ما ذهبنا اليه وأما ما أنشده الكوفيون فهو مع قلته لا يعرف قائله ، فلا يجوز الاحتجاج به .

وقال الفارسي [١] : هذا قبيح قليل الاستعمال ، ولو عدل عنها لكان أولى ، لأنهم لم يفصلوا بين المتضايفين بالظرف في كلامهم مع اتساعهم في الظروف ، وإنما أجازوه في الشعر " وقال أبوعبيد [٢] لا أحب قراءة ابن عامر لما فيها من الاستكراه ، والقراءة عندنا هي الأولى لصحتها في العربية مع اجماع أهل المصريين بالعراق عليها .

وقال الزمخشري [٣] : وأساء في عبارته ـ وأما قراءة ابن عامر لشيء لوكان مكان الضرورة لكان سَمْجًا مردودا كما سَمُجَ وُرِدَ : زج القلوص أبي مزاده . فكيف به في الكلام المنثور وكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه ، وجزالته .

وسيبويه [٤] : لا يرى جواز الفصل بينهما بغير الظرف والمجرور ويحكم على الفصل بغيرهما بالقبح ، ولكنه لم يتعرض لقراءة ابن عامر في الآية الكريمة .

ولقد اتصف بعض الباحثين [٥] في الرد على من حكم بضعف قراءة ابن عامر حيث قال : " إنَّ البيضاوي قد انساق وراء هذا التيار لقد تبع فيه الزمخشري وهو من سقطاته ، وسوء أدبه

---

(١) ، (٢) ، (٣) انظر الخزانة جـ ٢ ص ٤٢٣ والكشاف جـ ٢ : ص ٥٤ .
(٤) الكتاب جـ ١ ص ١٨١ .
(٥) عناية القاضي جـ ٥ ص ١٢٨ للخفاجي .

على الله والقراءات السبع لابد فيها من نقل صحيح أو متوافر فيما عدا الأداء على المشهور ، وأى مسلم يقدم على أن يقرأ كلام الله برأيه ، ويتبع رسم المصحف من غير سماع خصوصا هؤلاء الأئمة الأعلام ، الواقفين على دقائق الكلام ، وهو يظن أن القرآن يقرأ بالرأى ، كما ذهب اليه بعض الجهلة ، مع أنه ليس بصحيح ، لأنهم فرقوا بين المضاف الذى يعمل وغيره ، فإن الثانى يفصل فيه بالظرف ، والأول اذا كان مصدرا ونحوه يفصل بمعمولة مطلقا ، لأن اضافته فى نية الانفصال ومعموله مؤخر رتبة ، نُفصْله كلاَ فَصْل ، فلهذا ساغ فيه ، ولم يخص بالشعر كغيره . فقد قال ابن مالك فى التسهيل(1) " وان كان المضاف مصدرا ، جاز أن يضاف نظما ونثرا الى فاعله مفصولا بمفعوله وربما فصل فى اختيار اسم الفاعل المضاف الى المفعول بمفعول آخر أو جار ومجرور ، يجوز فى الشعر فصل المضاف بالظرف والجار والمجرور بقوة إن تعلقا به ، والا فيضعف . وقال فى الألفية : ـ

فصل مضاف شبه فعل ما نصب
مفعولا أو ظرفا أجز ولم يعب

وخطأ الزمخشرى ، لعدم فرقه بينهما ، وظنه أنه ضرورة مطلقة .

---

(1) عناية القاضى ص ٢٦١ جـ ٥

وأما ادعاء حذف المضاف اليه من الأول ، والمضاف من الثاني فتكلف نحن في غنى عنه ، وكلام الله أن تجري عليه القواعد وترجع لا أن يرجع الى غيره ، والعجب ممن أثبت تلك القواعد عن جاهلي من العرب ، فاذا كان النظم الكريم توقف في الأثبات به ، ومن المعلوم أن من كذب أحدا من القراء فقد كذب الله ، ونعوذ بالله من ذلك .

وقد علق عبد القادر البغدادي (١) على آراء العلماء الذين يطعنون في قراءة ابن عامر فقال : وهذه الأقوال كلها لا ينبغي أن يلتفت اليها ، لانها طعن في المتواتر ، وان كانت صادرة عن أئمة أكابر ، وأيضا : فقد انتصر لها من يقابلهم ، وجاء في الحديث " هل أنتم تاركو لي صاحبي " .

وقال السمين (٢) : قراءة ابن عامر متواترة صحيحة ، وقد تجرأ كثير من الناس على قارئها بما لا ينبغي ، وهو أعلى القراء سندا ، وأقدمهم هجرة .

وقال ابن جني (٣) :

(باب ما يرد عن العربي مخالفا الجمهور اذا اتفق شيء

---

(١) الخزانة ٤ : ٤٢٣ .
(٢) المصدر السابق ٤ : ٤٢٢ .
(٣) الخصائص ١ : ٣٦٥ ، ٣٨٦ .

من ذلك نظر في ذلك العربي ، وفيما جاء به ، فان كان فصيحا وكان ما جاء به يقبله القياس ، فيحسن الظن به ، ويمكن أن يكون قد وقع اليه ذلك من لغة قديمة قد طال عهدها ، فان كان الأمر كذلك لم يقطع على الفصيح ، وسمع منه ما يخالف الجمهور بالخطأ اذا كان القياس يقصده .

والكسائي [1] يرى أن قراءة ابن عامر صحيحة من حيث اللغة كما هي صحيحة من حيث النقل .

وصفوة القول أن القراءات القرآنية ضرورة حيوية ، اقتضاها الواقع اللغوي للعربية ، ووجب الاستفادة بها في الدرس اللغوي والعربية في أمس الحاجة اليها ، فلا يصح إهدارها أو الطعن في أصحابها ، ووجب أن تجعلها في مكان الريادة للقواعد اللغوية .

---

(١) الخزانة : ٤/٤٢٤ .

ثانيا : الحديث الشريف

الحديث النبوى : هو قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو مطلب النحو ، وموطن الاستدلال ومنه تستنبط قواعد النحو وأحكامه لأنه فى أعلى مراتب البلاغة ، والفصاحة بعد كلام الله تعالى ، فقد ولد فى مكة ، وارتضع فى بنى سعد وأمه من بنى زهرة ، وتزوج فى بنى أسد ، وهاجر الى المدينة حيث قبيلة بنى حارثة ، فتقلب بين العرب الخلص فى اللغة ، فلم يصبهم لحن ، وانما هو عرب أصلاء أنقياء فى لغتهم .

يقول الجاحظ[1] : واصفا كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم : -

(هو الكلام الذى قلّ عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة ، ونزه عن التكلف ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل يا محمد " وما أنا من المتكلفين فلم ينطق الا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم الا بكلام قد حف بالعصمة ، وشيد بالتأييد ويسر بالتوفيق) .

هذا الكلام الطيب الطاهر الذى تلفظ به الرسول الكريم ، وهو جوامع الكلم هو نياط حديث النحاة .

(١) البيان ٢ : ١٤ .

وقال محمد بن سلام (1) : (قال يونس بن حبيب : ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ، ما جاءنا عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — .

وبالرغم من عظمة الحديث النبوى ، وضخامة هذا التراث الهائل نجد النحاة) قد اختلفوا فى الاستشهاد به على قواعد النحو واللغة وهل يحتج به أولا . ودونك البيان :—

أولا : النحاة الأقدمون قد رفضوا الاحتجاج (2) بالحديث وشايعهم على رأيهم كثير من النحاة المحدثين كابن الضائع وابى حيان الزمخشرى ، وذلك لأمرين : —

أ — أهل الحديث أجازوا رواية الحديث بالمعنى ، ولم يتقيدوا باللفظ .

ب — وقوع اللحن فى الأحاديث ، لأن فى الرواة من ليس عربيا بالطبع ولا علم له بصناعة النحو ، وذكروا أحاديث يخالف اسلوبها الأسلوب الشائع فمن ذلك ما يلى : —

١ — الحديث (كل أمتى معافى الا المجاهرون) أى بالمعاصى مع أن الرفع جائز فى لغة محكية ، وخرج هذا على قراءة بعضهم ((فشربوا منه الا قليل منهم)) .

(1) السابق ٢/ ١٥ .
(2) أصول النحو ٨ : ١٣٤ المجمع د / ابراهيم مصطفى ونظرات فى اللغة ص ١٥ .

٢ – الحديث (ان قَعْرَ جَهَنَّم سبعين خريفا) – وخرج على أَنَّ – سبعين منصوبه على رأى من يجعل (أن) ناصبه للجزئين كقول الشاعر : –

اذا اسْوَدَّ جنحُ الليل فلتأتِ ولْتَكُنْ
خُطَاكَ خِفَافًا إنَّ حُرَّاسَنَا أُسْدَا

أو على الظرفية .

ولذلك يقول ابن الضائع (١) (تجويز الرواية بالمعنى هو السبب عندى فى ترك الأئمة كسيبويه وغيره الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث) .

وقال أبو حيان (٢) : (قد أكثر هذا الصنف (أى ابن مالك من الاستدلال بما وقع من فى الأحاديث على اثبات القواعد الكلية فى لسان العرب ، وما رأيت أحدا من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره ، على أن الواضعين لعلم النحو ، المستقرئين للاحكام من لسان العرب كأبى عمرو ابن العلاء ، وعيسى بن عمر ، والخليل ، وسيبويه من أئمة البصريين ، والكسائى والفراء ، وعلى بن المبارك الأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك ، وتبعهم

(١) مجلة المجمع ٨/١٣٤ .
(٢) التذييل جـ ٢ ص ١٦٩ د / سعيد تقى والاقتراح ص ١٧ .

على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين ، وغيرهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد ، وأهل الأندلس .

* *

مناقشة ابى حيان : —

والواقع أن أبا حيان قد عمم الحكم على الأقدمين ، وتعسف فى كلامه عنهم ، وجانبه الحق فيما ذكر عنهم ، وناقض نفسه فى هذا حيث نقل فى كتبه أحاديث يحتج بها غير ابن مالك ، وما يحتج به ابن مالك ، ثم ما يحتج هو بنفسه فيها " (١) .

أولا : لقد نسى أن سيبويه قد استدل بالحديث فى كتابه ، على اثبات القواعد — وسنفصل ذلك .

ثانيا : وأن الفراء قد استدل بالحديث فى كتابه (معانى القرآن) وهو مملوء بذلك ومنه (أمرت بالسواك الخ ١٤٦/١ ، شاهت الوجوه ٤٣٠/١ ، وكلامة مجخولة ٣٨/٣ وغير ذلك كثير .

ثالثا : استدل بالحديث الشريف فى كتابه (منهج السالك ، ارتشاف الضرب) سواء أكان لمجرد التمثيل أن بنى عليه قاعدة

(١) موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث ص ٣١٨ وما بعدها .

أو حكما جديدا واليك أمثلة في ذلك :

١ - قوله صلى الله عليه وسلم : (أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش واسترضعت في بني سعد) احتج به على اثبات مجيء (بَيْدَ) بمعنى (غير) في الاستثناء .

٢ - قوله عليه السلام : (أقربهما منك يا أبا الحسن) استدل به أبو حيان على حذف الجر ، وبقاء جره ، وهو غير " رب " .

٣ - قوله صلى الله عليه وسلم " أو مخرجيّ هم) احتج به على مطابقة الوصف المتقدم لمرفوعه المتأخر في الجمع على لغة " أكلوني البراغيث " وقد احتج به غيره ونقلته في كتبه وغير ذلك كثير ، مبثوث في كتابيه السابقين ، فقوله بالمنع تناقض .

ثانيا : جماعة أخرى ترى الاحتجاج بالحديث الشريف في اثبات اللغة والنحو مثل : ابن مالك ، وابن خروف ، والدماميني والرضى وابن هشام ، وابن عقيل والأشموني ، وغيرهم بل إن ابن هشام جعل الحديث في الاحتجاج به بعد القرآن مباشرة ، ثم جعل بعده الشعر والنثر الوارد . بناء على أن المطلوب عليه الظن الذي هو مناط الأحكام الشرعية ، وكذا ما يتوقف عليه من نقل

مفردات الألفاظ ، وقوانين الأعراب ، والظن في ذلك كله كاف ، والظن أن هذا المنقول لم يبدل لاسيما والتشديد في الضبط والتحري في نقل الأحاديث شائع بين النقلة والمحدثين ، وهم يتحرون في الضبط ويتشددون مع قولهم بجواز النقل بالمعنى .

ثم ان الخلاف في جواز النقل بالمعنى فيما لم يدون ولا كتب وأما ما دون وكتب فلا يجوز تبديل ألفاظه من غير خلاف ، وتدوين هذه الأحاديث والأخبار بل وكثير من المرويات وقع في الصدر الأول قبل فساد اللغة العربية ، حيث كان كلام أولئك المبدلين على تقدير تبديلهم ، يجوز الاحتجاج به وغايته حينئذ تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به فلا فرق بين الجميع في صحة الاستدلال بذلك المبدل وكلام المانعين متوهم ، ولا ينبني منع على توهم مع ما عرف من الرواة من العدالة والضبط " (١).

ثالثا : وقسم ثالث توسط في الأمر كالشاطبي ، وتبعه السيوطي (٢) وغيره من العلماء وهؤلاء جوزوا الاحتجاج بالأحاديث التي اعتنى بنقل ألفاظها مثل كتبه ، وأحاديثه وأمثاله التي يقصد لفظها .

(١) الخزانة ص ١/١٤ ، ١٥ للدماميني .
(٢) الاقتراح ص ١٦ .

قال الشاطبي [1] : (وأما الحديث فعلى قسمين :

قسم يعتنى ناقله بمعناه دون لفظه ، فهذا لم يقع من الاستشهاد من أهل اللسان ، وقسم عرف اعتناء ناقله بلفظه لمقصود خاص كالأحاديث التى قصد بها بيان فصاحته -صلى الله عليه وسلم- ككتابه لهمدان وكتابه لوائل بن حجر ، والأمثال النبوية فهذا يصح الاستشهاد به فى العربية) - ثم عاب على من أهمل الأحاديث النبوية ، بأوهام باطله فيقول : -

لم نجد أحدا من النحويين استشهد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفائهم الذين يَبُولون على أعقابهم ،وأشعارهم التى فيها الفحش والخنى ويتركون الأحاديث الصحيحة ،لأنها تنقل بالمعنى ، وتختلف روايتها وألفاظها بخلاف كلام العرب وشعرهم ،فان روايته اعتنوا بألفاظها لما ينبنى عليه من النحو ، ولو وقفت على اجتهادهم قضيت منه العجب ، وكذا القرآن ووجوه القراءات)) .

والحق أن الحديث مصدر مهم ، وتراث يفيد الدراسات اللغوية أيما افادة ، والذين منعوا الافادة منه اخطئوا خطأ جسيما واعتمدوا على شبه واهية قال الميمنى [2] فى الرد عليها بعبارة جيدة ((النقل بالمعنى شئ ليس بمقصور

(١) الخزانة ١/١٢ .
(٢) هامش الخزانة ١/٩ .

على الأحاديث فحسب ، بل إن تعدد الروايات في بيت واحد من هذا القبيل ، زد على ذلك ما طرأ على الشعر من التصحيف والوضع والاختلاف مثل : ابن دأب وابن الأحمر ، والكلبي وأضرابهم ، ورواة الشعر أيضا فيهم من الأعاجم والشعوبية أمم ، على أن المسلمين في القرون الأولى كانوا أحرص على اتقان الحديث من حفظ الشعر والتثبيت في روايته وقد قيض الله لأحاديث رسوله من الجهابذ النقاد ، من نفى عنه ما كان فيه من شبهة الوضع والانتحال ، وهذا حرم الشعر مثله " .

ويقول ابن الطيب المغربي (١) : (إن صحيح البخاري مع أنه مشتمل على سبعة آلاف ومائتين وخمسة وسبعين حديثا ، بالمكرر فان التراكيب المخالفة لظاهر الاعراب فيه لا تكاد تبلغ الأربعين) .

وقال الامام النووي (٢) : (لا خلاف في منع رواية الحديث بالمعنى ، بمن لم يكن خبيرا بالألفاظ ومقاصدها عالما بما يحيل المعاني ، أما من كان كذلك فالصواب الجواز) .

---

(١) موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث ص ٣٨٣ .
(٢) التجويد الصريح ١ : ٦ .

وقد استدل سيبويه بالحديث في كتابه " وإن كان قليلا ولا يتجاوز سبعة أحاديث مثل : إن الله ينهاكم عن قيل وقال ، ونحو : إنى عبد الله آكلاً كما يأكل وشارباً كما يشرب العبد) ، ونحو ذلك والقضية تثبت ولو بحديث واحد .

هذا وقد بحث مجمع اللغة العربية بالقاهرة هذا الموضوع وخلص إلى ما يلي : –

" اختلف علماء العربية في الاحتجاج بالأحاديث النبوية ، وجواز روايتها بالمعنى ، ولكثرة الأعاجم في روايتها ، وقد رأى المجمع الاحتجاج ببعضها في أحوال خاصة مبينة فيما يأتي : –

١ – لا يحتج في العربية بحديث لا يوجد في الكتب المدونة في الصدر الأول كالكتب الصحاح الست فما قبلها .

٢ – يحتج بالحديث المدون في هذه الكتب الآنفة الذكر على الوجه الآتي : –

١ – الأحاديث المتواترة والمشهورة .

٢ – الأحاديث التي تستعمل ألفاظها في العبادات .

٣ – الأحاديث التي تعد من جوامع الكلم .

٤ – كتب النبي – صلى الله عليه وسلم – .

٥ – الأحاديث المروية بيان أنه عليه الصلاة والسلام

كان يخاطب كل قوم بلغتهم .

٦ — الأحاديث التى دونها من نشأ بين العرب الفصحاء .

٧ — الأحاديث التى عرف من حال روايتها أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى مثل : القاسم بن محمد ، ورجاء بن حيوة ، وابن سيرين .

٨ — الأحاديث المروية من طرق متعددة ، وألفاظها واحدة .

كما جاء فى مجلة المجمع (1) ، وأجاز قوم الاحتجاج بالحديث فى اللغة وعدوه فى الأصول التى يرجع اليها فى تحقيق الألفاظ وتقدير القواعد ، ومن عرف بهذا المذهب محمد بن عبد الله المعروف بابن مالك ، وعبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام وعد من أصحاب هذا المذهب : الجوهرى ، وابن سيده ، وأبو فارس ، وابن خروف ، وابن جنى ، وابن برى ، وابن السهيلى .

وأرى : أن قرار المجمع السابق بهذا التقييد الشديد ، جعل الاستدلال بالحديث الشريف فى حدود الندرة ، وأصبحت الفائدة منه قليلة ، وبهذا يكون قد ضيع على اللغة والنحو والصرف ثروة كبيرة من الأحاديث الصحيحة التى جمعت ودونت فى غير الكتب السابقة ونحن فى أمس الحاجة اليها ، لذلك كان الأولى الاباحة الكاملة

---

(1) مجلة المجمع ٤ : ٧ .

بالاستدلال بالحديث الشريف المدون .

وبذلك نقرر مطمئنين أن المصدر الثانى للشواهد العربية للنحو والصرف واللغة بعد القرآن الكريم وقراءاته المختلفة الأحاديث النبوية ، على اثبات لفظة صحيحة ، أو استعمال عربى سليم ، أو تقرير قاعدة نحوية — فقد جاء الحديث (لعلنا أعجلناك) — على أن لعل للاستفهام الانكارى وجواز طوباك بدليل (طوباك يا عثمان ، لم تلبس الدنيا ولم تلبسك) واثبات (وَدَع) لحديث (ان شر الناس من ودعه الناس) وهكذا .

* * *

* ثالثا : كلام العرب : نظما ونثرا : —

ونريد بهؤلاء عرب الجاهلية ، ومن جاء بعدهم فى الاسلام الى ما يقارب النصف الأول من القرن الثانى من الهجرة فى الحضر ومنتصف القرن الرابع فى البوادى ، حيث كانت اللغة فى هذه الفترة نقية سليمة بعيدة من اللحن والاختلاط ، وبعد ذلك اختلفت العلائق وفسدت الألسنة وفشا اللحن ، وعم المولدون المحدثون .

* يقول البغدادى : (١) فالطبقتان الأوليان " الجاهليون والمخضرمون يشهد بشعرهم اجماعا ، وأما الثالثة : الاسلاميون كجرير والفرزدق ، فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامهما فى اللغة والنحو والصرف ، وقد كان أبو عمرو بن العلاء وعبد الله بن اسحاق ، والحسن البصرى ، وعبد الله بن شبرمة يلحنون إلى الفرزدق والكميت ، وذا الرمة ، وأضرابهم ، فكانوا يعدونهم من المولدين ، لأنهم كانوا فى عصرهم ، والمعاصرة حجاب " .

ولم يكن للعرب فى حياتهم الأولى ، وسائل كتابية لتسجيل آثارهم اللسانية ، وتداول ثقافتهم العقلية والأدبية

---

(١) الخزانة جـ١ ص٦ .

بصورة واسعة كغيرهم من الأمم ، بل كانوا لأميتهم يعتمدون على الحفظ والرواية ،وساعدهم على ذلك عقولهم اللاقطة الواعية ،وألسنتهم المعبرة ، وتفاخرهم بالأسلوب ، وارتفاع شأنهم برفعته ، وضعتهم بضعته ، لذلك كانت مأثوراتهم ثروتهم اللغوية التى كانوا يعتزون بها ، ويفاخرون بعظمتها ولقد ورث النحاة الأوائل كل ذلك ، وجاهدوا فى سبيل جمعه ولم يبالوا الشدائد فى سبيله مهما كان مكانه ، منهم يطلبون ما سمع من الأعراب فى بواديهم ، ومن الخطباء فى أسواقهم ونواديهم ، ومن الشعراء فى قبائلهم ، كما حرص النحاة على الأخذ من القبائل التى شهد لها بالفصاحة ، والبعد عن الاختلاط ، وتهذيب اللهجات المهجورة حتى يسلم القانون النحوى من كل ما يضعف شأنه ، فأخذوا عن قريش وقيس وتميم ، أسد ، هذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ولم يأخذوا عن غيرهم من سكان البرارى (١) القاطنين أطراف الجزيرة وكلخم و جذام ولقد توثقوا فى نقل العربية عن الأعراب بل كانوا يمتحنونهم قبل الأخذ عنهم (٢) وهذا لتوثيق الحكم النحوى بدقة النقل عن العربى ، وسلامة المسموع وهذا ما درج عليه أهل البصرة ، وأما الكوفة فأخذت من كل عربى ،وسمعت ما صادفها ، فصيحا وغير فصيح ، وأسرفوا

---

(١) المزهر : ١/: ١٢٠ ، ٣٠٦ .

(٢) الخصائص ج ١ ص ٤١٣ .

في التخريج مما جعل العربية تشكو البطنة منه ، وترجو الشفاء وهذا ما فتح الباب للشكوى ، يقول البغدادي [١] ، وذهب الكوفيون الى جواز دخول اللام في خبر لكنّ واحتجوا بقوله : —

" ولكنني من حبّها لَعميدُ " ولم ينشده أحد ممن وثق في اللغة .

* وكلام العرب هو المنهل العذب الذي استقى منه العلماء وما نقلوه عنهم من شعر ونثر ، وقد فكروا في كل ما جمعوه من مصادره المختلفة ووجدوا فيه المطرد والغالب ، والكثير والقليل ، والنادر ، والشاذ ، والضعيف ، والضرورة ، واستبطنوا قواعدهم من الأساليب وتوسعوا في التعليل حتى أصبح علما واسعا ، زاخرا بموضوعاته وقواعده . ولقد صدق العلامة [٢] (دى بور) حين قال .

* علم النحو أثر رائع من آثار العقل العربي ، بما له من دقة الملاحظة ، ومن نشاط في جمع ما تفرق ، وهو أثر يرغم الناظر فيه على التقدير له ، ويحق للعرب أن يفخروا به " .

---

(١) الخزانة ١ ص ١٦ .
(٢) تاريخ الفلسفة في الاسلام ترجمة أبى ريدة ص ٤٠ .

* وقال السيوطى (1) أنه لا يجوز الاحتجاج بشعر أو نثر لا يعرف قائله ، مخافة أن يكون من المولدين ، أو ممن لا يوثق بفصاحتهم ،ولأن الجهل بالناقل ،يوجب الجهل بالعدالة ، والكوفيون يحتجون بأبيات لم يعرف قائلها " والشاهد المجهول قائله أو لم يعرف تتمته ،إن صدر عن عالم ثقة عدل كف ضابط ، ولا رُدّ ، ولهذا كانت شواهد سيبويه من أصح ما ورد عن العرب من الشعر ، واعتمدها العلماء خلف عن سلف وتلقف الناس كتابه ، وفيه خمسون بيتا قد جهل قائلها ، وما ادعى أحد أنه أتى بشعر منكر ، مع حرص العلماء الزائد على بيان الضعيف والمنكر وانما شهدوا له بالأمانة والدقة ، مع النظر والتفتيش فيها - وقال : البغدادى (2) وقد روى فى كتابه قطعة من اللغة غريبة ، لم يدرك أهل اللغة معرفة جميع ما فيها ولا ردوا حرفا منها " وذلك لأن بعض العرب كان ينشد شعره للآخر على مقتضى لغته فى قبيلته .

---

(1) المزهر : 1 : 85 والاقداح 38 .
(2) الخزانة ط جـ 1 ص 17 .

رابعا : القياس : ـ

حَرِيٌّ بنا أن نحدد لك معنى القياس المقصود هنا ، لنعرف أثره فى اللغويات فنقول : القياس عند قدماء المناطقة : ـ

هو حمل معلوم على معلوم فى اثبات حكم له أو نفيه عنه بأمر جامع بينهما[1] " ويرى " فندريس"[2] : أنه العملية التى يخلق الذهن بها صيغة أو كلمة أو تركيبا ، تبعا لأنموذج معروف " ويحدده فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين[3] ، بأنه البحث فى معانى الألفاظ العربية وأحكامها ، وهو يرد على أربعة وجوه : ـ

أحدها : حمل العرب أنفسهم لبعض الكلمات على أخرى وإعطائها حكمها لوجه يجمع بينهما كما يقال : أعرب الفعل المضارع قياسا على الاسم لمشابهته له فى احتماله لمعان لا يتبين المراد منها الا الأعراب والى هذا أشار الزمخشرى فى بعض مقاماته بقوله " ضارع الأبرار بعمل الثواب الأواب . فالفعل لمضارعته الاسم فاز بالاعراب " .

ثانيهما : أن تعمد الى اسم وضع لمعنى يشتمل هـ على وصف يدور معه الاسم وجودا وعدما فتعدى هذا الاسم

---

(١) متن السلم للاخضرى ص ٥٥ .

(٢) اللغة ترجمة الدواخلى ١٠٠٢ .

الى معنى آخر تحقق فيه ذلك الوصف ، وتجعل هذا المعنى من مدلولات ذلك الاسم لغة ، مثال هذا اسم الخمر عند من يراه موضوعا للمعتصر من العنب خاصة ، وما وضع للمعتصر من العنب الا لوصف مخامرته للعقل وسكره ، فاذا وجد عصير من غير العنب يشارك المعتصر من العنب فى الشدة المطربة المخمرة للعقل فان من يقول بصحة هذا قياس يجعل هذا العصير من أفراد الخمر ، ويسميه خمرا تسمية حقيقية لغوية ، وهذا موضع بحث علماء أصول الفقة عندما يتعرضون لمسألة " هل تثبت اللغة بالقياس " .

*ثالثها : الحاق اللفظ بأمثاله فى حكم ثبت لها باستقراء كلام العرب حتى انتظمت منه قاعدة عامة كصيغ التصغير والنسب والجمع ، فما ورد من كلام العرب ، استنبط منه العلماء قاعدة عامة تخول المتكلم القياس عليها ما ينطق به من أمثالها .

* رابعا : اعطاء الكلم حكم ما ثبت لغيرها من الكلم المخالفة لها فى نوعها ، ولكن توجد بينهما مشابهة فى بعض الوجوه ، كما أجاز الجمهور ترخيم المركب المزجى قياسا على الأسماء المنتهية بتاء التأنيث وهذان النوعان

هما موقـــع النظر ومجال البحث يسمى الأول بالقياس الأصلى ، والثانـى بالقياس التمثيـلى .

والعلماء يقيســون على ما سمع من كتاب الله ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكـلام العرب ، لبيان حكم المستحـــدث من حيث الصحـة والقبـول أو عدم القبول .

والواقـع أن كـلا من المدرستين البصريـة والكوفيـة تؤيـــد القياس وحكمـه فى كثير من القضايا النحويـة ، ويقول (دى بور)(١) سـمى نحاة البصرة أهـل المنطق تميزا لهم عن نحاة الكوفيـة " ويقــول ابن درستويه (٢) كان الكسائى يسمع الشاذ الـــذى لا يجـوز الا فى الضرورة ، فيجعلـه أصـلا ويقيس عليه ، ونسبوا اليه أنــه قال : —

إنما النحـوُ قياسٌ يُتَّبَـــــع
وبـه فى كـل علــم ينتفـــع

* فالبصريون يقيســون اللفظ بأمثاله فى حكم مثبت لها باستقراء كلام العرب ، الفصيح ، حتى تنتظم منه قاعدة عامة كصيـــغ المصدر ، والأبنية والمشتقات والجمع ، ونحوها فيطبق المتكلم هــذه القاعـدة ، على ما يستحدث من ألفاظ جاءت على مثال الـــوارد للمشابهـة التى بينهـما . ولذلك مثل حذف الضمير المجـــرور

(١) الفلسفة الاسلاميـة ص ٣٨ .
(٢) البغيـة ص ٣٣٧ .

العائد من الصلة الى الموصول متى تعين حذف الجر قياسا على إجازة حذف الضمير المجرور العائد من جملة الخبر الى المبتدأ فتقول : قضيت الليلة التى ولدت فى سرور أى ولدت فيها . جاز أن نقول : هذا الكتاب الورقة تساوى درهما أي الورقة منه بدرهم .

* قال ابن جنى :(١) " اللغات على اختلافها كلها حجة والناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ " .

* أما القياس على الشاذ بأن يرد لفظ معين على وجه لم يرد السماع بخلافه لا فى اللفظ عينه ، ولا فيما كان من نوعه فسيبويه يكتفى بهذا اللفظ الواحد ، ويتخذه أصلا تقيس عليه كل ما كان من نوعه ، وذلك مثل النسب الى شنوءة (٢) فالوارد شنئى فى هذا المثال فقط ، فقاسه سيبويه فى كل ما كان على فعوله قياسا على فَعِيلَة ... ولكن الأخفش أخذ بالأصل فيها ، وابقاء الكلمة على حالها كالنسب الى فروقة فروقى . بأن كان الوارد يخالف السماع والقياس مثل جمع هدية على هداوى اذ المسموع والقياس فيها بقاء الياء ، وإن وردت ألفاظ معدودة مخالفة للقياس كثيرا مثل : استصوب ، استحوذ ، وورد موافقها بقلبها ألفا : استجاز

(١) الخصائص ١ : ٣٥٧ .
(٢) الشافية ٢ : ٢٤ ، ٢٥ والقياس اللغوى .

فأنت مخير بين الأمرين ، والأولى اتباع السماع ، فان كان الوارد مخالفا للسماع وموافقا للقياس مثل : (عسى الغُوَيْرُ أَبْؤُسًا) وقفنا عند حدود المسموع فى المثال فقط ، وسرنا فى الباقى على طريق القياس .

* أما الكوفيون : ـ

فيعتبرون بما ورد من الكلمات الشاذة عليها مثل قياسهم التفضيل مما دل على الألوان مثل : أبيض ، وأسود اعتمادًا على قول الشاعر : ـ

جاريةٌ فى دِرْعِها الفَضْفَاضِ
أبيَضُ من أُخْتِ بنى أَبَاضِ

كما أن الكوفيين يكتفون فى بعض الأقيسة بالشاهد والشاهدين أينما اتفق صاحبها ، وقد يعتمدون على الشعر المجهول أو على من لا ينطق العربية فصيحًا .

ولذلك اختلفت أنظار الفريقين فى القياس ، فهذا يُعْمِلُ أمثلة المبالغة اعتمادا على المسموع ، وقياسا على الباقى على ما سمع ، وهم البصريون ، وأما الكوفيون فيمنعون عملها لبعدها من شبه الفعل ، بالمبالغة التى دلت عليها . وهكذا وقد تجد خلاف ذلك فترى نحاة الكوفيين يقيسون الترجى على التمنى ، وينصبون المضارع بعد الترجى وذلك مثل قوله

تعالى : ((لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع الى اله موسى)) فقد حملوا الترجي على التمني لشبهه به في انشاء الطلب ، ولكن البصريين فرقوا بينهما ، وجعلوا المضارع منصوبا في جواب الأمر وهو (ابن) أو معطوفا على خبر (لعلّ) بتوهم أنه فيه (أو) أو على الأسباب على حدّ قول الشاعر :

وَلُبْسُ عباءةٍ وتقرَّ عيني
أَحَبُّ اليَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفوفِ

فقد ظهر لك أن القياس طريق المدرستين معا ، وإن اختلفا نظرا واستعمالا له ، وقمة المقيس عليه : القرآن الكريم ، ثم الحديث الشريف ثم كلام العرب شعرا ونثرا ، فالقياس أصل مهم من أصول النحو .

* * *

((العلة النحويـــــة))

شاعت ظاهرة التعليل في النحو ، وأصبح كل حكم فيه لهُ علة وقد يكون لـه أكثر من علـة ، ومن المعروف بداهـة أن الأصـل لا يسأل عن علتـه وانمـا يحتـاج الى العلـة لـمن خرج عـن الأصـل ، فيفتقـر حينئـذ الى دليـل بعدوله عنـه . (١)

* والعرب لـحسهم الفطرى المركـوز في نفوسهم ، ما كانـوا يقولون الا بعلـة وَقَـرَتْ في نفوسهم ، لقد سئل الخليـل ذات مرة عـن العرب أخـذت هذه العلل أم اخْتَرعْتَهـا مـن نفسـك ؟ .

فأجاب: ان العرب نطقت على سجيتها وطباعهـا ، وعرفـت مواقع كلامهـا ، وقام في عقولها علله ، وان لم ينقـل ذلك عنهـا ، وعللت بما عندى أنه علـة ، لما عللته منـه . فان أكن أصبـت العلة فهو الذى التمسـت ، وان ، يكن هناك علـة غير ما ذكرت ، فالذى ذكرتـه محتمل أنـه علـة ... فان سنح لغيرى علة لمـا عللت من النحو هو أليـق مما ذكرت بالمعمول فليـأت بها " .

وضرب مثلا بِقَصْرِبَنا ءُ حاكِم للخير ، ثم دخل رجل هذا

---

(١) الانصاف ٤٠ ـ ٢٩٨ .

* والعلل النحوية مخالفة لعلل الفقهاء والمتكلمين ، لأن طبيعة العامة منها أنها غائبة تكشف في تلازم عقلي بينها وبين المعلول فالعلاقة بينها وبين المعلول علاقة معية وصاحبة في الوجود ، بمعنى أنهما يوجدان معا ، والعلة الفقهية تعبدية تكشف في الصالح العام أو المصالح المرسلة وتسبق المعلول في الوجود ، بحيث تنشأ العلة الداعية الى الحكم فينشأ الحكم بعد ذلك ، أما العلة النحوية فهي حسية تكشف عن نتيجة الاستقراء ، وقد تكون ضرورية في بعض الحالات وتلحق معلولها في الوجود ، بمعنى أن العربي يتكلم والاستقراء يتم أولا ، ثم يأتي النحوي بعد ذلك ليشرح العلل " (١) .

* يقول ابن جني (٢) أعلم أن علل النحويين ، وأعني بذلك حذاقهم المتقنين ، لا ألفافهم المستضعفين ، اقرب الى علل المتكلمين ، منها الى علل المتفقهين ، وذلك أنهم يحيلون على الحس ، ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس وليس كذلك علل الفقه ، لأنها انما هي إعلام وأمارات لوقوع الأحكام ، وكثير منها لا يظهر فيه وجه الحكمة كالأحكام التعبدية بخلاف النحو ، فإن كله أو غالبه مما ندرك علته ، وتظهر حكمته " وقد حمل العلماء من أمثال أبي حيان (الهمع ٢/ ١٣٠) على التعليل للأصول ، وابن مضاء (الرد على النحاة ١٤١) على العلل النحوية كلها ، وابن السراج في علة العلة .

---

(١) الأصول د / تمام حسان ص ١٨٠ .

(٢) الخصائص جـ ١ ص ٤٨ والاقتراح ص ٤٦ .

وقد تكون العلة ضرورية فى بعض صورها مثل قلب الألف واوا للفتحة قبلها ، وياء للكسرة قبلها نحو : ضويرب فى ضارب وقريطس فى قرطاس وهذا القلب واجب لأن النفس لا تطيق فى معناه غيره ، وقد تكون غير ضرورية فهى مجوزة ، وهذا ما يمكن تحمله ، ولكن بمشقة وتعب على النفس مثل : مسوزان وموقنات بدون قلب الواو بياء ، وأكثر علل النحويين على الايجاب بها كنصب الفضلة ورفع المبتدأ أو الخبر والفاعل وجر المضاف اليه ، فهذه العلل موجبة لا مجوزة وعلى هذا كثرة كلام العرب كما يقول ابن جنى " (١).

ويجب أن تعلم أن الحكم فى العلة فيدور معها وجودا وعدما ولكنه لا يدور مع السبب بهذه الصورة اذ قد يوجد السبب ولا يوجد المسبب كالأسباب للامالة قد توجد ، ولا يميل الانسان الكلمة ، ومجال العلة عند الباحثين فى الفروع ، وذلك على ثلاثة أنواع : — (٢).

× أحدها : مايقرب مأخذه ، ويتلقاه النظر بالقبول ، كتوجيه النحاة تحريك بعض الحروف الساكنة بالتخلص من التقاء الساكنين ، وحذف أحد الحرفين المتماثلين لطلب الخفة .

---

(١) الخصائص ج ١ ص ١٦٨ القياس فى اللغة العربية ص ٧٥ ، ٧٦ .

الصرح ، وأخذ يعلل لكل جزء فيه ، فمن المحتمل أن يكون قد أصاب فى كلامه ببيان العلة المقصودة للمشيد ويحتمل أن تكون هناك علة أخرى .

* فالعرب أصحاب نظرة وسليقة فى لغتهم ، والنحاة حينما نظروا فى لغة العرب وهم رجال صنعة ، فوصفوا هذه السليقة والملكة وأبانوا سرها فى براعة وقدرة يقول ابن جنى (١) " باب فى أمة العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه اليها وحملناه عليها " أعلم أن ، هذا موضع فى تثبيته وتمكينه منفعة ظاهرة ، وللنفس به مسكة وعصمة ، لأن فيه تصحيح ماندعيه على العرب : من أنها أرادت كذا لكذا ، وفعلت كذا لكذا وهو أحزم لها ، وأجمل بها ، وأدل على الحكمة المنسوبة اليها من أن تكون تكلفت ما تكلفته : من استمرارها على وتيرة واحدة وتعريها منهجا واحدا ، تراعيه وتلاحظه وتتحمل لذلك مشاقة وكلفة ، وتعتذر من تقصير إن جرى وقتا منها فى شئ منه " ثم قال " لأن الله سبحانه انما هداهم لذلك ووفقهم عليه لأن فى طباعهم قبولا له ، وانطواء على صحة الوضع فيه ، لأنهم مع لطف الحس وصفائه ، ونصاعة جوهر الفكر ونقائه لم يؤتوا هذه اللغة الشريفة ، النقاوة الكريمة ، الا ونفوسهم قابلة لها ، محسة لقوة الصنعة فيها ، معترفة بقدر النعمة عليهم بما وهب لهم منها " .

---

(١) الخصائص جـ ١ ص ٢٣٧ ، ٢٣٩ .

نحو : هــل عمرو كاتب ؟ ولكنها لا تدخــل على مبتدأ خبره فعــل نحو: هــل على كتب ؟ وقد أراد بعضهــم أن يذكر علة لدخولهــا على اسم خبره اســم ، وعــدم دخولها على اسم خبره فعـــل فقال : لان هــل اذا لم تــر الفعل فى حَيِّزهــا تسلَّــت عنـــــه ذاهلــة ، وإنْ رأتــــه فى حيزها حنت اليه ، لسابق الألفـــة فــلم تــرض حينئذ الا بمعانقتــه [1] . وهو قول يسبح فــــى الخيال المجنح .

** أقسام قياس العلة ثلاثــة : —

١ — قياس الأولى : وذلك بأن تكون العلــة فى الفرع أقـــوى منها فى الأصــل مــع مثاله : أجاز الرضــى فى أغْضُنَ . غُضُنَ قياسا على قول العــرب فى أقْــرَوْنَ قــرْنَ . للتخفيف اذ الضــم اثقل من الكسر ، فالحذف فى المضموم أحــق بالجواز من المكســور بحــذف أحـــد المثلين .

٢ — قياس المساوى : وهوأن تكون العلة فى الفرع والأصل علــى سواء كعلــة تقديم خبر ليس عليها قياسا على عسى ، لعدم تصرفها وهما مستويان فــــى الجمود .

---

(١) الأشمونى ج ١ ص ١٧ .

* ثانيها : ما يكون فرضيا لا تقدر على رده على قائله أو وضعه في محل العلم أو الظن ، مثل قولهم : في بناء قبل وبعد اذا قطعا عن الاضافة لفظا : انهما شابها الحرف في احتياجهما الى معنى المضاف اليه فاذا قلت : إن هذه العلة ثابتة عند ذكر المضاف إليه ، فلماذا لم يرتبط بها أثرها وهو حكم البناء . قالوا : ظهور الاضافة التي هي من خواص الأسماء أبعدها عن شبه الحرف ، فعادت الى اصلها الذي هو الأعراب فان قلت لهم : ما بالهم بنوا «أيّ» الموصولة عند اضافتها لفظا وحذف صدر صلتها مما يرد القول السابق " ان ظهور الاضافة يبعد عن شبه الحرف ، لأنها من خواص الأسماء . أجابوك بأن العرب أنزلوا المضاف اليه في باب «أيّ» منزلة صدر الصلة المحذوف ، فصارت أيّ في حكم المقطوع عن الاضافة في اللفظ ، فتستحق ما استحقته قَبْلُ وبَعْدُ من البناء . فهذه مجادلة لا تصل بك الى نتيجة مجدية .

* ثالثها : ما يجرى فيه بعض النحاة على ما يشبه التخييل . ومثال هذا أن (هل) تختص في أصل استعمالها بالدخول على الأفعال نحو هل كتب محمد ؟ وقد تخرج عن هذا الأصل ، فتدخل على مبتدأ خبره اسم

٣ — قياس الأدنى :

بأن تكون العلة في الفرع أضعف منها في الأصل مثل جواز بناء اسم الزمان المضاف الى الماضي على الفتح لشبهه ببناء قبلُ وبعدُ المقطوعين عن الاضافة لفظا فقط ، والعلة قوية اسم الزمان الواقع بعده فعل ماض ، وان وقع بعده مضارع معرب كان أضعف من الماضي مع الزمان ، لضعف اكتساب البناء من المضاف اليه حينئذ .

— الحكم —

هو النتيجة النهائية للقياس حيث يجعلونه مكونا من أصل وهو المقيس عليه وفرع وهو المقيس ، وعلة تربط بينهما ، وتكون صفة مشتركة بين الطرفين والمحصلة النهائية له هو الحكم الذي من أجله أنشأنا صورة هذا القياس وهو مجال حاول النحاة فيه أن يعمموا حكم المسموع على صيغ وتراكيب على نسق المسموع ، ولم ترد عن العرب ، اذ ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب . يقول ابن السراج " (١).

" باب ما ألف النحويون من (الذي) والتي ، وادخال الذي على التي ، وما ركب من ذلك ، وقياسه قد تقدم من قولنا :

---

(١) أصول ابن السراج جـ ٢ صـ ٣٣٤ .

ان (الذى) ، لا يتم الا بصلة ، واسمه وصلته بمنزلة اسم مفرد فمتى وصلت (الذى) بالذى فانظر الى الأخير منها فوفه صلته ، فاذا تم بصلته وخبره ، فضع موضعه اسما مضافا الى ضمير ما قبله " .

* ولذلك نرى النحاة يحكمون على الأساليب والتراكيب بالوجوب أو الجواز أو الامتناع أو الحسن أو القبح أو مخالفة الأولى ، فالحكم النحوى واجب الامتناع ، فاذا سمعت عن النحوى يصدر حكم النحوى فى أسلوبه بأنه يجب فيه الرفع فوجب على المتكلم أن يرفع ، ولا يجوز بأى حال من الأحوال مخالفة ذلك ، فاذا قال الفاعل مرفوع وجب على كل متكلم بالعربية أن يرفع الفاعل ، ولا يجوز له نصبه بأى صورة كانت ومخالفة ذلك انتهاك للقاعدة ، وللصحة النحوية وغير ذلك من القواعد النحوية التى شاعت أمامك فى كتب النحو :

* واختلاف النحاة فى القضايا النحوية ، غير مسوغ لترك هذه القوانين بل يجب على المتخصص فى هذا العلم أن ينظر الى الرأى القوى الذى نصره الدليل ، وقوته الحجة ، أن ننهج نهجه ، ونسير على طريقة ، وبذلك يأخذ النحو حظه فى الفصل بين الأساليب من حيث الصحة والجواز ونحو ذلك .

(المصطلحات النحوية للمدرسة الكوفية)

يرجع الفضل فى وضع المصطلحات النحوية التى تحدد الموضوعات والمعانى ، باعتبار النحو صناعة . الى الخليل بن أحمد ، فقد قام بوضع أسماء خاصة للنقط التى وضعها أبو الأسود الدؤلى — كما سبق — للدلالة على تمييز أحوال أواخر الكلمات المختلفة — قال صاحب مدرسة (١) الكوفة "ولم يصنع الخليل أسماء للرفع والنصب والجر فحسب ، بل وضع أسماء كثيرة لأحوال الكلمة فى وجوهها الأعرابية ، وما يتبعها أيضا ولم تقف عقليته المبتكرة عند هذا فقد استطاعت أن تلم بالخصائص ، الدقيقة لموسيقى الشعر" .

* وقد تأثر به الكوفيون ، واقتبسوا منه بعض المصطلحات وأبدعوا هم مصطلحات أخرى ، وكان لهذه المدرسة مصطلحات خاصة بهم ، وأخرى مشتركة ، وان خصت عند الكوفيين باسم وعند البصريين باسم آخر .

أ — المصطلحات الكوفية الخالصة : —

(١) الخلاف : —

وهذا المصطلح قد أطلقوه على العامل فى عدة مواضع منها

(١) ص ٣٠٤ .

اذا كان الخبر ظرفا منصوبا نحو : محمد أمامك " فالذى نصبه هو الخلاف ، وذلك لأن مخالفة الخبر للمبتدأ بأن ليس وصفا للمبتدأ حقيقة أو حكما تقتضى عندهم نصبه ، وكذلك النصب فى أسلوب التعجب عندهم نحو ما أَحْسَنَ الخُلُقَ (فأحسن) اسم ، وقع خبرا (لما) التعجبية [1] ، والذى ينصبه عندهم هو (الخلاف) ، وقولهم فى ناصب المفعول معه نحو : ذاكرت والكتاب . فالذى نصب الكتاب ، وهو مفعول معه مخالفته لسابقة حيث لم يذكر الفعل لنصبه .

* وكذلك المضارع الذى يذكر بعد الواو ، والفاء ، أو ينتصب مسبوقا بالجحد أو الطلب ، فالناصب للمضارع عند الفراء [2] هو الصرف أو الخلاف نحو : لا تهمل عملك وتهتم بغيره ، فإنَّ (لا) لا تتكرر فى ، الفعل الثانى ونحو : لاتؤخر عمل اليوم فَتُلامَ ، قال الشاعر : -

وكنتُ إذا غمزتُ قناةَ قومٍ
كَسَرْتُ كعوبها أو تستقيما

---

(١) الأنصاف ص ١٥٥ والأشمونى ص ٣٦٣ ج٢ .

(٢) معانى القرآن جـ ١ ص ٣٤٠ ، ٣٣٥.

* مصطلحات بصرية كوفية : _

١ _ التقريب : _

وقد جعلوه خاصا باسم الاشارة " هذا " فى مثل : هذا محمد مقبلا " وأدخلوه فى أخوات كان [١] وأعربها البصريون مبتدأ وخبرا ، وجعلوا المنصوب حالا .

٢ _ الفعل الدائم : _

وقصدوا به اسم الفاعل ، لأنه يعمل عمل الفعل بالألف واللام وبدونهما بدون شرط فحكموا عليه بأنه قسيم ثالث للفعل ، وأوله الماضى ، وثانيه المستقبل ويشمل " المضارع والأمر عند البصريين " [٢] ويقسمون الفعل الى ثلاثة (ماض ، ومستقبل ودائم) والبصريون يقسمونه الى : ماض ، ومضارع وأمر .

٣ _ الجحد : _

وهو ما أطلق عليه البصريون " النفى " وهو مصطلح بصرى شاع عندهم كما شاع الجحد فى كلام الفراء وثعلب كثيرا .

٤ _ والمحل والصفة : _

ويعنى به الكوفيون : الظرف [٣] عند البصريين زمانا أو مكانا ،

(١) معانى القرآن ١/١٢ ومجالس ثعلب ص ٥٣ .
(٢) مجالس ثعلب ص ٤٥٦ ، ٤٦٣ . و(٣) الانصاف ص ٥١ .

فبعض الكوفيين يسميه (المحل ،وبعضهم الآخر يسميه : الصفة "

٥ - الترجمة والتبين : -

ويقصد بها الكوفيون ما يقصد البصريون بكلمة البدل : قال الأشموني [1] وأما الكوفيون فقال الأخفش يسمونه بالترجمة والتبين وقال ابن كيسان يسمونه بالتكرير .

٦ - الأدوات : -

وهي عند البصريين تسمى " بحروف المعاني "

٧ - الخفض : -

ويريد الكوفيون به ما يريد البصريون بالجر ، وهما قضيتان من أوضاع الخليل ومصطلحاته ، وتوسع فيه الكوفيون [2] في الكلمات المنونة وغير المنونة .

٨ - التفسير : -

ويقصد به ما يقصده البصريون من التميز .[3].

٩ - المجهول : -

ويطلق عند الكوفيين على الضمير الذي لم يتقدمه ما يعود

---

(١) الأشموني جـ ٢ ص ٤٣٥ .
(٢) مدرسة الكوفة ص ٣١١ . (٣) معاني القرآن ١/١٧ .

عليه ويسميه البصريــون : ضمير الشأن ،والقصة ، الحديــث[1].

١٠ ــ لا التبرئــة : ــ

وهى عند البصريين (لا النافيــة للجنس) .

١١ ــ النعت : ــ

ويقابله عند البصريين : " الصفــة والوصف " .

١٢ ــ حروف الصلــة والحشو :

ويقابلها عند البصريين " حروف الزيادة " .

١٣ ــ ما يجرى وما لا يجرى : ــ

وهو عند البصريين المصــروف والممنوع من الصرف .

١٤ ــ لام القســم : ــ

والمراد بها عند البصريين " لام الابتداء " فى نحــو : لَعَلِىٌّ ناجحٌ .

١٥ ــ العماد : ــ

والمراد بها عند البصريين " لام الابتــــداء" .

وهو الضمير الفاصل الذى يتوسط بين المبتدأ والخبر ،أو صلـة

(١) شرح المفصل ٣/١١٤.

كان مبتدأ ، ومفعولَيْ ظَنَّ نحو : العالم هو التقى ، وكان محمد هو المجتهد ، وإنَّ محمدًا هو الفاهم ، وظننت محمدا هو الناجح .

١٦ _ حرف الصفة : _

والمراد به عند البصريين حروف الجر ، ويسمونها أيضا : حروف الخفض .

١٧ _ النسق : _

ويقابلها عند البصريين العطف بالحرف كالواو والفاء .

١٨ _ المكنى : _

وهو الضمير عند البصريين " الأشمونى ج ١ ص ٤٨ (كناية أو مكنى) .

١٩ _ الرفع النصب الجزم : _

عند الكوفيين للمعرب والمبنى وحالات أواخر الكلمات وغيرها أما عند البصريين : فالرفع والنصب والجزم والجر للمعرب ، والضم والفتح والسكون والكسر للمبنى .

٢٠ _ اسم الفعل : _

لما دل على الفعل وناب عنه نحو صَهْ ، هَيْهَات ، وَىْ فيسميه البصريون اسم فعل لتنوينه نحو واهًا ويْهًا ففيه تشابه بالاسم كما أن فيه معنى الفعل . وأما الكوفيون : فهو فعل حقيقى للدلالة على الحدث والزمان ، والتنوين عندهم لا يمتنع من فعليه .

٢١ — المفعول المطلق والمفعول لأجله ، والمفعول فيه ، والمفعول معه

نحو فهمت الدرس فهما ، وذاكرت رغبة في النجاح ، وذاكرت يوما جيد ، واستوى الماء والخشبة وهذه الأقسام مصطلحات بصرية ، فالمفاعيل خمسة ، ولكن الكوفيين يرون أنه لا مفعول الا المفعول به ، وما سبق شبيهات بالمفعول "به" (١)

(لأن كل واحد منهم ليس بمفعول يقابل الفاعل يحيث يكون واقعا عليه الفعل فشبهوه به ، لأنه يشركه في النصب على نحو يكون الفعل واقعا فيه أو له أو معه ٠

وقد زاد الكوفيون بعض أدوات مثل " ذا " التي تكون موصولة عندهم مع الهاء " كما أضافوا الى أدوات الجزم " (٢) مهمن " ٠ والى أدوات النصب "كما " والى أدوات الشرط " أن " المفتوحة وأخذ بها ابن هشام " (٤).

كما أضاف الفراء الى جموع القلة الأربعة المعروفة جمعا خامسا هو فَعَله " كأكَلة ، حَمَلة ، حَفَظَة " (٥).

---

(١) همع الهوامع ١/ ١٦٥٠
(٢) شرح المفصل ٧/ ٤٠
(٣) الكافية ٢/ ٢٤٠ ٠
(٤) مغني اللبيب ١/ ٣٤ ٠
(٥) الكافية ٢/ ١ ٠

كما زادوا هدفا للتصغير " وهو التعظيم " [١] ، كما أضافوا الى " لعل " ان تكون بمعنى التعليل نحو لعله يتذكر أو يخشى وللاستفهام نحو : وما يدريك لعله يذكى [٢] ونحو ذلك كثير ، فارجع الى مظانه إن أردت .

(١) الشافية جـ ٢ ص ١٩٠ .
(٢) المغنى ٢٢٢/١ .

١ — سيبويه "رحمه الله"

*** اسمه وكنيته ولقبه :[(١)] —**

هو عمرو بن عثمان بن قنبر ويكنى : أبا بشر ، وأبا الحسن وأبا عثمان وأشهرها أبو بشر ، ويلقب : سيبويه حتى أصبح معروفا بهذا اللقب على ما سواه ، وقد سار سير الشمس وعرف به من قديم ، وهو لقب فارسى بمعنى رائحة التفاح وقيل : غير ذلك[(٢)] .

*** أسرته ونشأته : —**

وسيبويه فارسى الأصل والنشأة الأولى ، حيث ولد بقرية البيضاء من قرى شيراز وأتم بها مرحلته التعليمية الأولى وبعد ذلك رحلت أسرته الى البصرة ، للتزود بدراسة الحديث والفقه ، فالتحق بحلقات الفقهاء والمحدثين ، ولزم حلقة حماد بن سلمة بن دينار المحدث المشهور وبينما هو يستملى على حماد بن سلمة قول النبى صلى الله عليه وسلم " ليس من أصحابى الا من لو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء " فقال

(١) المغنى ١/٢٢٢ .
(٢) ضبط بفتح القاف وسكون النون وفتح الباء ، وضبط فى تاج العروس بضم ثم بفتح وسكون قَنْبَرَ .

سيبويه : " ليس أبو الدرداء ، وظنه اسم ليس ، فقال : حماد لحنت يا سيبويه ، ليس هذا حيث ذهبت ، وانما " ليس " هاهنا استثناء فقال : سيبويه : لا جرم لأطلبنّ علما لا تلحنني فيه أبدا ، ثم لزم الخليل " (١) .

أو كما يقول الزجاجي (٢) قال أمام حماد " صعد النبي صلى الله عليه وسلم الصفاء " فقال : يا فارسي لا تقل الصفاء لأن الصفا مقصور فلما فرغ من مجلسه كسر القلم — وقال : " لا أكتب شيئا حتى أحكم العربية .

وقد تكون لهاتين الحادثتين مع غيرها أثر كبير في دفع سيبويه الى العناية الكبيرة بتعلم النحو والصرف .

* شيوخه : —

لازم سيبويه الخليل ، وأخذ عنه النحو ت ١٧٥ هـ ، ولكنه استفاد من كبار شيوخ عصره حتى استكمل علمه ومعارفه الواسعة عنهم : حماد ابن سلمة ت ١٦٧ هـ ، وهو أول أستاذ جلس اليه ، ويعقوب بن إسحاق ... الحضرمي ت ٢٠٥ هـ ، وعيسى بن عمر ت ١٤٩ هـ ، ويونس بن حبيب ت ١٨٢ هـ ، وأبو زيد الانصاري ت ٢١٥ هـ وغيرهم كثير .

(١) انظر الكتاب ص ٤ ، ٥ وسيبويه ص ٧٣ وما بعدها .
(٢) مجالس الزجاجي ص ١٥٤ .

* وفاته : _

وبعد اخفاقه فى بغداد بعد المناظرة المشهورة ، رجع الى موطن رأسه بالبيضاء حيث مات غما سنة ١٨٠ هـ على أرجح الأقوال ، وهو شاب فتى لم ينل من الحياء ما أمل " رحمه الله " .

* * *

— (الكتاب لسيبويه) —

هذا الكتاب القيم ، وهذا السفر الكبير الذى أنشأه سيبويه في علم النحو والصرف ، فبذ به كل مؤلف في مادته ، وسجل لنفسه به صفحة من خلود الذكر ، ورفعة الشأن ، بصورة لا تبلى ، ومثال لا يكرر ، وأعطى به للعربية خدمة جليلة فشق أسرارها وأظهر للعالمين دررها ، فهو شاهد صدق على براعة صاحبه وقدرته النافذة ، وصحة نظرته وعمق معالجته وشرف قصده ، فجزاه الله عن العربية خير الجزاء ، لقد جمع سيبويه فيه ما نقله عن العلماء السابقين وما سمعه فيه من العرب ، وسجل كل ما وقعت عليه يده في أمانة ودقة وبراعة حتى قيل فيه " قرآن النحو " وكفى بذلك شرفا ومجدا للكتاب وصاحبه .

ولقد تجلت شخصية سيبويه الفذة في استنباطه الأحكام اللغوية والقواعد النحوية والصرفية من أساليب العرب الموجودة فيه شعرا ونثرا ومن المادة اللغوية التي احتفل بجمعها ، وعنى بكل الآراء ، مناقشا لها ومؤيدا بعضها ، ومعارضا بعضها الآخر في جمال عرض وقدرة عقلية ممتازة ، تدل على ألمعيته في فهم نصوص العربية واستظهار ما فيها من معان وأحكام .

* قال السيرافي : (١) وكان كتاب سيبويه لشهرته وفضله علما عند النحويين فكان يقال بالبصرة : قرأ فلان الكتاب ، فيعلم أنه كتاب سيبويه وقرأ نصف الكتاب ، ولا يشك أنه كتاب سيبويه " ٠

" ألفه سيبويه بعد موت أستاذه الخليل ت ١٦٠ هـ ، لأن ، الناظر له يجد كثرة التعقيب على قول الخليل بقوله : رحمه الله " ويروى الزبيدى " (٢) قال وسمعت نفرا يحكى عن أبيه قال : قال سيبويه حين أراد أن يصنع كتابه : يقال حتى نتعاون على احياء علم الخليل " ٠

وممن شهد مولد الكتاب الحسن بن مسعدة ، فلقد قال (٣) : كان سيبويه اذا وضع شيئا من كتابه عرضه عليّ وهو يرى أنى أعلم منه ، وكان أعلم منى وانا اليوم أعلم منه " وبقى الكتاب غير شائع في حياة سيبويه ، ولم تتح له الظروف لقراءته ونشره لموته المعجل وهو في ريعان شبابه ، وفي بدء عمره ٠ رحمه الله وأجزل ثوابه ٠

---

(١) الكتاب جـ ١ ص ٢٣ ٠
(٢) طبقات النحويين ص ٧٧ ـ ٧٨ ٠
(٣) المعارف ١٣٨ ومراتب النحويين ٦٩ ٠

* اسمه :-

أعجلت المنية سيبويه عن أن يضع لكتابه اسما معينا ، على حين كان العلماء في عصره وبعد عصره يضعون أسماء لكتبهم فقد وضع عيسى بن عمر لكتابيه : الجامع والأكمال والخليل سماه كتابه " العين " ولذلك لم يعاود الكتاب نظرا وتكملة ، فليس للكتاب مقدمة ولا خاتمة مع عظمة تأليفه وأحكام صنعته ، فأوله " هذا باب علم ما الكلم من العربية وآخره " ومثل هذا قول بعضهم " " علماء بنو فلان " فحذف اللام ، يريد على الماء بنو فلان . وهي عربية " ومما يدل على صحة هذا الرأي أن شيخه يونس لم يعلم بالكتاب الا عرضا بعد وفاته اذ قيل له : إن سيبويه صنف كتابا في ألف ورقة من علم الخليل فقال : ومتى سمع سيبويه هذا كله من الخليل ؟ جيئوني بكتابه فلما رآه قال : يجب أن يكون صدق فيما حكاه عن الخليل كما صدق فيما حكاه عني " (١) .

ولقد أكد العلماء هذا الكتاب وأمسكوا عن تسميته ، وتركوه باسمه كما تركه صاحبه وأطلقوا عليه (الكتاب اختصارا أو كتاب سيبويه) قال استاذنا على النجدي " (٢) وكأن الله تعالى في عدله وحكمته صرف سيبويه عن تسمية كتابه وندب العلماء لتسميته عنه ، فتكون شهادة فضل يؤديها له الحاسد

---

(١) بغية ص ٣٦٦ .
(٢) سيبويه امام النحاة ص ١٣٠ .

كما يؤديها له المولى الحكيم على السواء ، ويكون له منها بعد مماته عزاء عن الهزيمة التى هزمها ببغداد فى حياته ، ويكون للناس فيها أسوة حسنة لمن كان يعمل ويحسن عمله ، ثم لا يلقى من الناس جزاء المأمول " وهى كلمة بليغة أصابت كبد الحقيقة ، فشاع هذا الكتاب فى أرجاء الدنيا شرقا وغربا يحمل اسم صاحبه ، حتى وصلت شهرته كل مكان وعمت كل زمان ، وأكد كل من اطلع على عمله الرائع فى هذا السفر المحكم صنعته ، العظيم بناؤه ، ونهل منه طلاب المعرفة اللغوية فى كل صقع وعصر ، بحيث أصبح من جاء بعده عيالا على كتابه ، المسمى بدستور العربية ، يشرحونه ، وينقدونه ويوضحون شواهده ، فى إعجاز وتقدير ، للكتاب وصاحبه وهكذا فإن الله سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملا .

* سنده : —

يكاد تجمع كتب التراجم ، حتى أصبح مشهورا ذلك بين العلماء أن كتاب سيبويه لم يعرف الا عن طريق الأخفش الأوسط أبى الحسن سعيد بن مسعدة ، ت ٢١٥ هـ وقرأه عنه الجرمى والمازنى وأشاعا كتاب سيبويه " (١) للناس .

(١) الكتاب جـ ١ ص ٢٥ .

* تقدير العلماء له : —

ظهر الكتاب فجأة على يد أبى الحسن الأخفش ، بصورته الرائعة وبنيانه المحكم ، ونسب الى شاب ذى أصل فارسى ، فاقترن الشك فيه الاعجاب به ، فلما عرفه العلماء واستبانوا حقائقه اللغوية ، ناصروه وأيدوه وأثنوا على سيبويه وتحدثوا بأمانته ، وقوة شخصيته وألمعيته فى كتابه .

فهذا يونس يشك فى الكتاب ويطلب احضاره ، وعندما يقرأه يثنى على أمانة سيبويه ، ويقول انه صدق فى كل ما قاله .

وانظر الى اعجاب الجرمى ت ٢٢٥ هـ بهذا الكتاب أنه قال : أنا منذ ثلاثون سنة أفتى الناس فى الفقه من كتاب سيبويه (١) فحدثت به محمد بن يزيد على وجه التعجب والانكار فقال : أنا سمعت الجرمى يقول هذا — وأومأ بيديه الى أذنيه — وذلك أن أبا عمر الجرمى كان صاحب حديث ، فلما علم كتاب سيبويه تفقه فى الحديث ؟ اذ كان كتاب سيبويه يتعلم منه النظر والتفتيش .

ولقد بلغ الاعجاب بالكتاب منتهاه حتى لقد حفظه البعض عن ظهر قلب وسماه البعض " قرآن النحو " (٢) ودستور العربية

(١) مجالس العلماء ٢٥١ .
(٢) مرتاتب التموين ص ٦٥ .

قال محمد ابن سلام "[1] ت ٢٢١ هـ " كان سيبويه النحوي غاية الخلق ، وكتابه في النحو هو الامام فيه " وهذا هو أبو عثمان المازني ت ٢٤٩ هـ[2] يقول : من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي " وقال أيضا[3] : قرأ علي رجل كتاب سيبويه في مدة طويلة فلما بلغ آخره قال : لي : أما أنت فجزاك الله خيرا ، وأما أنا فما فهمت منه حرفا ، وقال السيرافي ٣٦٨ هـ " وعمل كتابه الذي لم يسبقه الى مثله أحد قبله ، ولم يلحق به من بعده " . عظم شأن الكتاب في البصرة حتى صار علما بالغلبة ، وأصبح مجالا يفتخر به من يحصله أو يحصل بعضه ، فهذا السفر الحافل أثار اهتمام الدارسين والباحثين فتناولوه بالدرس والتحصيل والتمحيص والتحليل ، والنقد ، وشرح شواهده .

* نقدات لسيبويه : -

ومع عظمة الكتاب وروعة صاحبه علما وخلقا .. الا أنه لم يسلم من التنقيص في علمه او في شخصه فالكمال لله وحده - - ودليل العظمة وجود النقدة . فقد حدث الزجاج قال : دخلت على ثعلب وكان عنده أبو موسى الحامض ٣٠٥ هـ فعاب

(١) نزهة الالباء ص ٧٤ .

(٢) فهرست ابن النديم ص ٧٧ . (٣) مراتب النحويين ص ٧٨ .

سيبويه   ثم قال : -

" بلغنى عن الفراء أنه قال : دخلت البصرة فلقيت يونس وأصحابه فسمعتهم يذكرون سيبويه بالحفظ والرواية وحسن الفطنة ، فأتيته ، فاذا هو أعجم لا يفصح سمعته يقول لجارية له : هات ذيك الماء من ذاك الجرة فخرجت من عنده ، ولم أعد اليه ، فقلت له : هذا لا يصح من الفراء وأنت غير مأمون فى هذه الحكاية ، ولا يعرف أصحاب سيبويه من هذا شيئا ، وكيف يقول فى أول كتابه : هذا باب علم ما الكلم من العربية ؟ وهذا يعجز فى ادراك فهمه كثير من الفصحاء ، فضلا عن النطق به .

* فقال ثعلب قد وجدت فى كتابه نحوا من هذا ، قلت ما هو؟ قال : يقول فى كتابه فى غير نسخه : حاشا حرف يخفض ما بعده كما تخفض حتى ، وفيها معنى الاستثناء ، فقلت له : هذا كذا فى كتابه ، وهو صحيح ، ذهب فى التذكير الى الحرف وفى التأنيث الى الكلمة " (١).

وهذه قصة أبطالها كوفيون ممن اشتهروا بالطعن فى البصريين فلا يطمئن اليها عقل ولا تاريخ ، حديث الجارية متكلف مصنوع ، حاكه يد التخريب والتعصب التى شاعت بين النحاة فى هذه الآونة ، فسيبويه أعلم الناس باللغة ، وأقدرهم على

"(١) سيبويه امام النحاة ص ٢٢٥ .

نطقها في عربية صحيحة . وانظر الى نقد آخر صنعه الهوى وغمط الحق قال في الفهرست : " قرأت بخط أبي العباس ثعلب : اجتمع على صنعة كتاب سيبويه اثنان وأربعون انسانا منهم سيبويه ، والأصول والمسائل للخليل " وهذا القول لثعلب الكوفي لم يعرف لغيره ، فهو قول متحيز في الأسراف والتجنى ، لا يجهل أحد جهود سيبويه ، وكفاحه المشرف في هذا الكتاب ، وهو يدل على انتفاع سيبويه بجهود النحاة السابقين وقد بلغ تعدادهم هذا القدر ، وهو يعبر عن حقيقة علمية وهو أن الكتاب مرحلة متقدمة لجهود من سبقه من النحويين الذين خططوا أصول هذا العلم ومسائله [1] و مقايسه وعلله ويروى القفطي [2] فيقول : وقد قيل : إنه أخذ كتاب عيسى بن عمر المسمى بالجامع ، وسطه وحشى عليه من كلام الخليل وغيره ، وان كان كتابه الذى اشتغل به ، فلما استكمل البحث والتحشية نسب اليه " وهى قصة أشبه بالاختراع لأن الكتاب يحكى نحو الخليل والعلماء السابقين ، فلا مجال لهذا القول كما تناول النقد ما يلي : –

عناوين الكتاب: –

بعض عنوانات الأبواب طويلة وخفية المعنى ، وأكثره في الجزء الأول منه مثل : " هذا باب الفاعل الذى لم يتعده فعله

---

(١) الكتاب ص ٢٤ / ١ .
(٢) انباه الرواة ص ٣٤٧ / ٢ .

الى مفعول والمفعول الذى لم يتعد اليه فعل فاعل ، ولا تعدى فعله الى مفعول .. ... الخ وهذا كثير فضلا عن أن الأبواب شملت مسائل متنوعة جدت العلماء فى فهما مثل (هذا باب الابتداء يضمر فيه ما بنى على الابتداء) .

" ماأغفله عنك شيئا " فى عبارة مجهولة محيرة حتى جاء الزجاج ت ٣١٠ هجرية وشرحها وبين أن التقدير : انظر شيئا والكلام رد على قائل : زيد ليس بغافل عنى " ونحو (هذا باب ما يكون فى اللفظ من الأعراض) .

٢ ـ أسلوب الكتاب :

يتنوع أسلوب الكتاب ما بين الوضوح الظاهر للعبارة ، فى تألق واشراق وبين الغموض الشديد الخفاء ، الذى يكد الذهن ويتعب الفكر ، ويحار الفهم فى معرفة المقصود من العبارة ويظهر أن ذلك الغموض يعود الى طول المدة التى بيننا وبين سيبويه ، أما بالنسبة الى زمنه ، فكانت عبارته واضحة مألوفة عندهم ، كما أن لسيبويه عاداته الخاصة التى تحتاج الى الألف والممارسة فمن ذلك قول الشهاب على (1) معائش .

" وأما قول سيبويه رحمه الله انها غلط ، فإنه عنى

(1) عناية القاضى ١٥٢/٤ .

أنها خارجة عن القياس وهو كثيرا ما يستعمل الغلط فى كتابه بهذا المعنى " ٠

قال ابن كيسان : [1] نظرنا فى كتاب سيبويه فوجدناه فى الموضع الذى يستحقه ، ووجدنا ألفاظه تحتاج الى عبارة وايضاح لأنه كتاب ألف فى زمان كان أهله يألفون مثل هذه الألفاظ فاختصر على مذاهبهم والواقع أن أسلوب الكتاب بالنسبة الى عصرنا يحتاج الى جهد الدؤوب ، المحب للنحو ، المتجشم لكل جهد ونصب فى سبيله ، حتى يفيد من هذا البحر الزاخر وهذا التراث الخالد ، ودراسة يجب أن يظل معايشته ليفهم أسراره ٠

* منهج الكتاب : —

يعتمد سيبويه فى دراسته النحوية فى الكتاب على تقديم المادة اللغوية من الأمثلة والنصوص العربية الأصيلة ، ويوضح آراء العلماء فيها صحة وخطأ أو كثرة وقلة ، بدون أن يلتزم قاعدة معينة أو شروطا خاصة ، أو تعريفات لمسألة يعرضها على طريق الفطرة والطبع ، فهو يتحدث عن الباب الذى اختار عنوانه ، فى أفكار وعناصر كما تصورها ثم يضع المعالم لها ، ويشرح ما تحتاج اليه من الأمثلة والنصوص ،

(1) الخزانة ١/١٧٩ ٠

ويحلل التراكيب تحليلا يعتمد على دقة فهمه للنص، مع تأويل الألفاظ، وتقدير المحذوف ليستقيم المعنى المراد، فى خلال هذا العرض يوازن بينها ويقيس، ويعود الى ذوقه، ويستقى الشواهد، ويذكر العلل للقضايا المختلفة فى وضوح وبعد عن التعقيد فى أكثر ما يعرضه، ثم يروى القراءات ويبين درجتها من القوة والضعف، ويحكم على ذلك بناء على ما استقر فى نفسه من قوة نصوصه التى تؤيد قاعدته، ويعرض أقوال العلماء بذكر أسمائهم أو بصفاتهم من الثقة والأمانة ونحو ذلك قائلا: سمعنا من العرب الفصحاء يقولون أو حدثنى فلان أو تحدث به الثقة[1] ثم يناقش الآراء فى موضوعية وحيدة، وقد يختم حديثنا فى موضوع فى مكان ما ثم يعيد الحديث فيه فى مكان آخر من الكتاب، ومحصوله اللغوى الوافر يوافيه وأسلوبه العربى الفصيح يسعفه، وعقله العميق عماده فى كل ما يناقشه حتى تقف معجبا مبهورا من هذه القدرة الفائقة، واللغة عنده وحدة متماسكة، تحمل معانيه فى وضوح أو غموض أحيانا ولكنها هادفة تخدم الموضوع وتناسبه ـ ونضرب مثالا لذلك فنقول ـ قال[2] " ومثل ذلك قولهم ما جاءَتْ حَاجَتَك، اذا صارت تقع على مؤنث: قراءة بعض القراء " ثم لم تكن فتنتَهم

---

(١) الكتاب ١/ ١١١، ٢٢٦/ ٤٤.
(٢) الكتاب ١/ ٢٥.

الا أن قالوا) وتلتقطه بعض السيارة) وربما قالوا في بعض الكلام : ذهبت بعض أصابعه ، وانما أنث البعض ، لأنه اضافة الى مؤنث هو منه ، ولو لم يكن منه لم يؤنثه لانه لو قال : ذهبت عبد أمك لم يحسن ، ومما جاء مثله في الشعر قول الأعشى .

وتَشْرَقُ بالقول الذى قد أذَعْتَه
كما شَرِقَتْ صدرُ القناةِ من الدَّمِ

لأن صدر القناة من مؤنث ، ومثله قول جرير " ولم يعتمد على الحديث كثيرا في الاستدلال كما سبقه من العلماء ، لضعف الثقة بالرواة ولجواز النقل عندهم بالمعنى . وقاس أيضا فقال : تقيس على الأكثر ، (١٠١/٢) لا ينبغى لك أن تقيس على الشاذ المنكر ٣٨٩/١ .

ترتيب موضوعات الكتاب :

جمع سيبويه في كتابه موضوعات النحو والصرف ورتبها بقريحته الوقادة ترتيبا مبتكرا ، يتناسب مع عصره ، في ترتيب لأبواب كتابه بصورة لم يسبق اليها ، وباعتباره رائدا في هذا الطريق ، فإنّ نظرات الناس ، ستختلف في ترتيبه جودة أو ضعفا

ولكن يكفيه فخرا أنه راد الموضوع ريادة أمينة ، وأظهر مؤلفه بصورة مكتملة ، وابداع ليس له مثيل ، والناقد لعمل يجب أن ينظر في عمل مواز له في عصره ، وبابه أما من ينقد بعد عصر سيبويه ، ويقارن به عمله في الكتاب فهو نقد بعيد عن الصواب وأما ما كان فالكتاب صورة مشرقة للغويات ، وعمل رائع فيها ، وجهد نادر في عرض النصوص وتحليلها يشكر عليها صاحبه .

نقول : بدأ الكتاب بأقسام الكلمة ، وحركات الاعراب والبناء بأنواعها الثمانية ، وما يختص به كل قسم وتثنية الكلمة وجمعها ، وأخذ المضارع والأمر من الماضي ، وتقسيم الجملة في العربية ، والعلاقة بين اللفظ والمعنى ، والحذف فيه ومراعاة المعنى لاستقامة اللفظ ، والضرورة الشعرية ، وحدها (١)

ثم انتقل الى الحديث عن الجملة الفعلية ، ذات الفعل اللازم والمفعول بألوانه ، المبنى للمعلوم والمجهول ، والفرق بين الحال والمفعول به ، وكان وأخواتها واسمها وخبرها تقديما وتأخيرا ، وما أجرى مجرى ليس (ما) ولات ، والعطف على خبرها ، أو على خبر ليس المقترنة بحرف الجر الزائد موضوعا (٢)

---

(١) الكتاب من ص ١٢/١ - ٢٣٢) الكتاب من ص ٣٢/١ - ٦١ .
(٢) الكتاب من ١٦٤/١ - ص ٢١١ .

ثم تحدث عن الاضمار في ليس وكان وان ، ثم يذكر باب التعجب صياغة ، وباب التنازع والفعل ص ٧٣ العامل فيها ، والاشتغال وصورته ص ٨٠ من تقديم المفعول به أو الظرف ، وحال المشغول عنه ، الى ص ١١٠ وصيغ المبالغة وعملها حملا على اسم الفاعل في العمل ، وما حمل ، الفعل بعد اسم الفاعل من المصدر وظننت وأخواتها وأدوات الشرط ... بنوعيها ثم انتقل الى باب الاشتغال ص ١٣٧ ١٣٧ مرة أخرى بعد الطلب والاستفهام ، ثم تحدث عن البدل ص ١٥٠ / ١٦٣ ثم ذكر مرة أخرى اسم الفاعل والمصدر والصفة المشبهة في خمسة أبواب[(١)] ـ ثم تحدث عن اتساع العرب في الكلام مع الفعل والمصدر والظرف وعن تعلق الفعل ، واسم الفعل في ثلاثة أبواب [(٢)] ثم أخذ يتحدث عن حذف الفعل بأنواعه [(٣)] وحكم المفعول معه والمفعول به والفعل معهما ، والمفعول لأجله ، والظرف والجار والمجرور من الفضلات التي تتعلق بالفعل[(٤)] .

ثم انتقل الى التوابع النعت ، والبدل وأنواعهما ، والعطف

---

(١) الكتاب من ١/١٦٤ ـ ص ٢١١ .
(٢) الكتاب من ص ٢١١ ـ ٢٥٣ / ١ .
(٣) الكتاب ٢٥٣ ـ ٢٩٧/١ .
(٤) الكتاب من ص ٢٩٧ ـ ٤٢١ .

والتوكيد وما يجرى مجرى كل " (1).

وانهى بذلك حديثه عن الجملة الفعلية ،وابتدأ بالحديث عن الجملة الاسمية بالابتداء ، وان وأخواتها ثم كم " وما حمل عليها ، وتميزها ،ثم الحديث عن باب نعم وبئس وأساليبهما ثم تحدث بعد ذلك عن أساليب النداء في ٢٩ بابا ، ولا القافية في ١٠ أبواب والاستثناء في ثمانية عشر بابا (2) ثم أعاد ذكر الضمير وأنواعه في ثمانية عشر بابا ، وتحدث عن (أى) و (من) ثم ذكر اعراب الفعل المضارع في واحد وعشرين بابا وبين الأفعال في القسم ،وتوكيدها وحكمه ثم ذكر الحروف بعد ذلك حتى تختص الأفعال ، والحروف المشتركة بين الفعل والاسم" (3).

ثم تكلم عن نفى الفعل ، وما يضاف اليه من الأسماء ، ثم أعاد الحديث في باب (ان وأن) وتكلم بعد ذلك عن (أم) و (أو) ثم انتقل الى الحديث عن باب أفعل وهو باب (ما ينصرف وما لا ينصرف) ثم أنهى الحديث عن النحو في الجزء الثالث بالحديث ثم باب الحكاية " (4).

---

(1) الكتاب ١/ ٤٤١،ثم ٢/ ١٢٦.
(2) ٢/ ١٢٦- ٣٥٠ .
(3) الكتاب ٢/ ٣٥٠ - ٤٢٢ ، ٣/ ٥ - ١١٦.
(4) الكتاب ٣/ ١١٦ الى ٣٣٤.

ثم ابتدأ الحديث عن مادة الصرف بالكلام عن باب النسب ص ٣٣٥ ، ثم تكلم بعد ذلك عن التثنية والجمع ، وحكم بعض الأسماء في الاضافة وتثنية المقصور والممدود والأسماء المبهمة المعتلة وجمعه ، ومايتغير عن الاضافة وإضافة المقصور والمنقوص الى ياء المتكلم ، ثم ذكر باب التصغير (١) ثم تحدث بعد ذلك عن حروف القسم ، والتنوين ونون التوكيد ، لتقاربها في البحث (٢) ثم ذكر اختلاف العرب في تحريك الآخر لغير الحجازيين والمقصور والممدود ، والهمزة وباب العدد وحكم المؤنث والمذكر معه وجمع التكسير بكل مفرداته وأنهى بذلك الجزء الثالث .

وفي الجزء الرابع تكلم عن أبواب الفعل الثلاثي ، ومصدره ، واسم فاعله ، معنى الزيادة في الثلاثي بكل أنواعها من الهمزة والتضعيف ونحوهما ، وباب المطاوعة ، ثم ذكر مصادر غير الثلاثي ، واسم المصدر والتعويض في المصدر والمصدر الميمي ، اسمي الزمان والمكان " (٣).

ثم أعاد الحديث عما يخرج من باب التعجب ، ثم ذكر الفعل

---

(١) الكتاب ٣٣٥/٤٩٦ جـ ٣ .

(٢) الكتاب ٢/٤٩٦/٥٣٢ .

(٣) الكتاب ٤/ ٥ – ٩٧ .

المضارع من الثلاثي ومتى يكسر أوله ،وأوزان الاسم الثلاثي وباب الامالة ص ١١٧ وحكم الكلمة اذا حذف منها حرف ،ثم الحديث عن باب الوقف " (١).

ثم تحدث عن حروف الزيادة ،والتصرف ،وأنواع الزيادة في الأسماء ، وما أعرب من الكلمات الأعجمية ،الابدال في الفارسية ، بالقلب في الواو والياء ، والجمع على مفاعل ومفاعيل " (٢).

ثم أنهى الجزء الرابع بالحديث عن التضعيف والادغام بكل ألوانه وأحكامه ، مهتما بالناحية الصرفية في الحروف الذي ذكرها .

والواقع أن الكتاب كالبحر الخضم يحتاج الى جهد وصبر ومثابرة من طالب العلم الجسور ،ولابد أن يعقد بينه وبين الكتاب صلة قوية وشيجة قوامها بالقراءة الجادة ، والنظر العميق ، حتى يأنس لأسلوب الكتاب ، وموضوعاته المعتمدة والنظرة العجلى حمقاء كما يقولون .

---

(١) الكتاب ٤/ ٩٧ _ ٢٣٥.

(٢) الكتاب ٢٣٥/٤١٥/٤.

* شرح الكتاب : ـ

لقى كتاب سيبويه عناية كبيرة من العلماء ، لأصالة بنيانه ، ومتانة مسائله ، وجدة مباحثه وقد نقل التاريخ أسماء علماء كبار أوقفوا جهدهم الأكبر على الكتاب من شرح وتعليق أو تفسير لشواهده ، أو حديث عن أبنية الشرق والمغرب بما يعد مفخرة للكتاب .

* فمن شرحه : ـ

أبو الحسن سعيد بن سعده ، ت ٢١٥ هـ وابن عثمان المازنى ت ٢٤٨ هـ وأبو بكر بن السراج ت ٣١٦ هـ ، وأبو سعيد السيرافى ت ٣٦٨ والرمانى ٣٨٤ هـ وقد وصلوا الى ثلاثة وعشرين عالما . (١)

* ومن شرح مشكلاته وأبنيته : ـ

١ ـ أبو عمر الجرمى ت ٢٢٥ هـ وأبو العباس المبرد ت ٢٨٥هـ وقد وصل عددهم أحد عشر عالما .

* ومن شرح شواهده : ـ

أبو العباس المبرد ت ٢٨٥ هـ ، ابو اسحاق الزجاج ت ٣١٠هـ وقد بلغوا أربعة عشر نحويا . وغير ذلك كثير ممن اختصره أو اعترض عليه أو رد الاعتراض مما يدل على تأثير الكتاب وعظمة آثاره .

---

(١) الكتاب ص ٣٤ ـ ٤١ .

* شواهد الكتاب : -

اهتم سيبويه فى كتابه بالشواهد لتقرير القواعد ، وتثبيت الأحكام اللغوية من القرآن الكريم ،ونثر العرب وشعرهم ولم يستدل بالأحاديث لضعف الثقة بالرواة ، ولجواز روايتهم الحديث بالمعنى ،وان ذكرها فى كتابه فى قلة نادرة فالاستئناس لا للاحتجاج ، فقد ذكر من آيات القرآن ما يربى على ثلثمائة آية وذكر من الشواهد النثرية من كلام العرب مشافهة منهم أو نقلا من العلماء .

مثل : - ما جاءت حاجَتَك ،وقال أيضا : وسمعنا من يوثق به من العرب يقول ، اجتمعت أهل اليمامة ، ومن الأمثال (١) ما قال : كما جعلوا عسى بمنزلة كان فى قولهم : عسى الغوير أبؤسا " وهكذا .

*أما الشواهد الشعرية فقد بلغت ألفا وخمسين بيتا ، غير أنه لم يعن بنسبة الأبيات الى قائلها فى كثير من الشواهد ، معتمدا على شيوخه فى رواية هذه الأبيات أو روايته بنفسه ، الى أن جاء أبو عمر الجرمى فنظر فى قائلها فعرفهم جميعا الا خمسين بيتا لم يعرفهم ، وقيل : ان الذى فعل ذلك هو المازنى وقد اجتهد العلماء فى معرفة هذه الأبيات

---

(١) الكتاب ١/ ٢٤ ، ٢٦٦ .

المجهولة ، واستطاعوا أن يعرفوا بعضها ،ولقد قرر العلماء ان الشاهد المجهول قائله وتتمته لو صدر من ثقة يعتمد عليه قبِل وإلاَّ فلا ،ولهذا كان أبيات سيبويه أصح الشواهد اعتمد عليها خلف بعد سلف ،مع أن فيها أبياتا مجهولة القائل "[1].

* مادة الكتاب : -

ألف الكتاب فى وقت فشا فيه اللحن فى العربية ، للاختلاط الشديد بين العرب والأعاجم وفسد اللسان العربى فى الحواضر وأصبحت البادية وأهلها مؤئل العلماء وموطن اللسان العربى الفصيح فانتقل العلماء اليهم أوقعدوا للأفادة من الوافد منها على المدن ، فسجل سيبويه فى كتابه ما نقله عن عرب البادية مشافهة ، وعن شيوخه ،ثم اجتهد بفكره الثاقب فى وضع كلمات وأساليب على غرار العربية لذلك حفل الكتاب بعبارات رويت عن العرب مثل : "أمر مبكياتك لا أمر مضحكاتك والا حظية فلا ألية "[2] أو صاغها بنفسه مثل : كان عبد الله ابون منطلق ، ومررت برجل معه جبه لابس غيرها - وانظر جـ ١،ص ١٣٠ ، ١٤١ ، ١٥٦ تجد فيها عبارات كثيرة رواها سيبويه عن العرب ،واستخلص منها قواعد نحوية ، بعد تحليلها ، وبيان وجه الرأى صحة أ فسادا أوقبحا .

(١) حزانة الأدب ١/٨ . (٢) انظر سيبويه امام النحاة ص ١٤٢ .
(٣) الكتاب جـ ١/١٢٩، ١٣١ .

كما تجد للكتاب عبارات نادرة مثل : انتظرنى كما آتيك وارقبنى كما ألحقك ، وفى أبواب الصرف تجد له مفردات كثيرة نحو : أخوسط (نبات من الحمض) والكليل وهما اسمان ، والصفة مثل : اصليت السيف الصقيل) جفيل (الجبان) .

ويذكر مفردات أعجمية مثل : ابراهيم اسماعيل اسحاق ، فيروز قارون ، فرعون ، وفى باب (اطراد ، الابدال فى الفارسية) ومثل ذلك تغييرهم الحركة التى فى زور وآشوب فيقولون : زور وآشوب ، وهو التخليط لأن هذا ليس من كلامهم " (١) .

كما أن له أساليب من اجتهاده الشخصى ابتكرها على نهج العربية مثل : وسألته عن رجل سمى بأولى من قوله ((نحن أولو قوة وأولو بأس شديد)) أو بذوى - فقال : أقول : هذا ذوون وهذا أولون ، لانى لم أضف ، وانما ذهبت النون فى الاضافة " (٢) .

وأما شواهد الكتاب فقدر هائل ورصيد كبير يكون مادة هذا الكتاب ، ونسيجه المهم ، من القرآن الكريم ، وأشعار العرب وأرجازها وحكمها وأمثالها ، كما كان للبلاغة حظ كبير منها ،

---

(١) الكتاب ١/ ٧٤، ٢٤٠ .
(٢) الكتاب ١/ ٣٧٦، ٢/ ٣/ ٣ .

مثلا (بـاب الاستقامـة من الكلام والاحالـة فيه) واستعمـال الفعل في اللفظ لا في المعنى ، كما كان للحـرف والأصوات الشعريـة مجالها الرحب في الكتاب" (١) .

---

(١) الكتاب ٣/٤٢ .

أمثلة لنصوص الكتاب : —

هذه أمثلة من نصوص كتاب سيبويه اخترتها لك ، لتدرسها على مهل ولتفيد منها فكرا نحويا غضا ، وتعرف كيف تعاود تراثك الهائل لتنهل منه ، وتعرف قدر الرجال الذين خدموا هذه اللغة لله ولرسوله وللمؤمنين ولتكون تطبيقا حيا على ما عرفته من دراسة حول الكتاب .

قال أبو بشر — رحمه الله : (١) .

" وأعلم أن الدعاء بمنزلة الأمر والنهي ، وانما قيل " دعاء " لأنه استعظم أن يقال : أمر أو نهي . ولذلك قولك : اللهم زيدا فاغفر ذنبه ، وزيدا أمر الله عليه العيش ، لأن (معناه معنى) زيدا ليقطع الله يده .

وقال أبو الأسود الدؤلي : —

أميران كانا آخياني كلاهما
فكُلاًّ جزاهُ الله عَنّي بما فَعَلْ (٢)

---

(١) الكتاب ١٤٢/١ — ١٤٤ .

(٢) هذا البيت من الطويل ، يذكر فيه أن أميرين من أمراء قريش أحسنا اليه وآخياه ، فدعا لهما بحسن الجزاء الشاهد فيه : نصب "كل" باضمار فعل يفسره ما بعده .

ويجوز فيه من الرفع ما جاز في الأمر والنهي ، ويقبح فيه ما يقبح في الأمر والنهي ـ وتقول : أما زيدا تَجَدُّعًا له ، وأما عمرا فسقيا له لأنك لو أظهرت الذي انتصب عليه سقيا وجدعا لنصبت زيدا وعمرا ، فاضماره بمنزلة اظهاره ، كما تقول : أما زيدا فضربا ـ وتقول : أما زيدا فضربا ـ وتقول : أما زيد فسلام عليه وأما الكافر فلعنة الله عليه ، لأن هذا ارتفع بالابتداء .

وأما قوله عز وجل : الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة " [1] وقوله تعالى : ((والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما)) [2] .

فان هذا لم يبن على الفعل ولكنه جاء على مثل قوله تعالى : ((مثل الجنة التي وعد المتقون)) ثم قال بعد : ((فيها أنهار من ماء)) فيها كذا وكذا ، فانما وضع المثل للحديث الذي بعده ، فذكر أخبارا وأحاديث فانه قال : ومن القصص مثل الجنة ، أو مما يقص عليكم مثل الجنة ، فهو محمول على هذا الاضمار (ونحوه) والله تعالى أعلم .

* وكذلك " الزانية والزاني " (كأنه) لما قال

---

(١) الآية من سورة النور .
(٢) الآية ٣٨ من سورة المائدة .

جل ثناؤه : ((سورة أنزلناها وفرضناها)) (١)

قال في الفرائض الزانية والزاني ، في الفرائض) ثم قال : فاجلدوا ، فجاء بالفعل بعد أن مضى فيهما الرفع ، كما قال : وقائلةٍ خَوْلانُ ، فانْكِحْ فَتاتَهم " (٢) .

فجاء بالفعل بعد أن عمل فيه المضمر ، وكذلك : "والسارق والسارقة " (كأنه قال : وفيها فرض الله عليكم) السارق والسارقة ، أو السارق والسارقة فيما فرض عليكم) . فانما دخلت هذه الأسماء بعد قصص وأحاديث ، ويحمل على نحو من هذا (ومثل ذلك) : " واللذان ، يأتيانها منكم فآذوهما " (٣)

وقد يجري هذا في زيد وعمرو على هذا الحد ، اذا كنت تخبر (بأشياء) أو توصي . ثم تقول : وزيد : أي زيد فيمن أوصي

---

(١) الآية الأولى من سورة النور .

(٢) هذا صدر بيت من الطويل وعجزه : فأُكْرومَةُ الحيَّيْنِ خِلْوٌ كما هِيا
وهو من الأبيات الخمسين المجهولة القائل .
اللغة : خَوْلان : قبيلة من مذحج باليمن . الفتاة : المرأة الشابة أكرومة : المكرمة ، الحيين : حي أبيها وأمها ، خلو : خالية من الأزواج ، كما هي : كعهدك من بكارتها ، فهي كريمة الطرفين . الشاهد فيه : رفع "خولان" على تقدير مبتدأ ، ولا يصح أن تكون مبتدأ دخلت الفاء في خبرها، لأنه لا يجوز زيد فمنطلق .

(٣) الآية ١٦ من سورة النساء .

به ، فأحسن اليه وأكرمه . وقد قرأ أناس : " والسارقَ والسارقةَ "(١)

((الزانيةَ والزانيَ)) (٢) فهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة

ولكن أبت العامة الا القراءة بالرفع . وانما كان الوجه في الامر والنهي

النصب ، لأن حد الكلام تقديم الفعل ، وهو فيه أوجب ، اذ

كان ذلك يكون في ألف الاستفهام ، لأنهما لا يكونان الا بفعل

وقبح تقديم الاسم في سائر الحروف ، ولأنها حروف تحدث قبل

الفعل . وقد يصير معنى حديثهن الى الجزاء ، والجزاء

لا يكون الا خبرا ، وقد يكون فيهن الجزاء في الخبر ، وهي

واجبة كحروف الجزاء فأجريت مجراها .

والأمر ليس بحديث له حرف سوى الفعل ، فيضارع حروف

الجزاء ، فيقبح حذف الفعل كما يقبح حذف الفعل بعد

حروف الجزاء وانما يقبح حذف الفعل واضماره بعد حروف

الاستفهام ، لمضارعتها حروف الجزاء .

وانما قلت : زيدًا اضربه ، واضربه مشغولة بالهاء ، الأمر

والنهي لا يكونان الا بعد الفعل ، فلا يستغني عن الاضمار

ان لم يظهر .

---

(١) هي قراءة عيسى بن عمر ، وابن أبي عبلة . البحر المحيط ٣: ٤٧٦.

(٢) هي قراءة عيسى ، وابن يعمر ، وابن فائد ، وأبو جعفر ، وشيبة وأبو السمال ، ورويس . البحر المحيط ٦/ ٤٢٧.

شرح النص وبيان ما فيه من أحكام نحوية : -

أولا : هذا الموضوع وهو نصب المشغول عنه فى باب الاشتغال وسماه بقوله : " هذا باب ما يكون فيه الفعل مبنيا على الاسم " وقد ذكره فى أحد عشر بابا ، وموضوعنا هذا تحت عنوان (هذا باب الأمر والنهى) وفى هذا الباب يختار النصب فى الاسم ويترجح مع جواز الرفع بقلة ، ومثل الأمر والنهى فى ترجيح نصب الاسم الذى بنى عليه الفعل ، وبنى عليه الفعل وهو (المشغول عنه) الدعاء ، وقد ضرب الأمثلة لذلك ، ويجوز فى الدعاء أيضا الرفع كما جاز فى الأمر والنهى ويترجح النصب اذا بنى الاسم على الفعل ، وكان الفعل منصبا أثره عليه ، والا خرج عن ذلك ، كالآيات التى ذكرت ، وبيت الشعر - فان القصد فى الجميع الحديث والأخبار ، لذلك كان الرفع أولى ، وقد وردت قراءة قليلة بالنصب ، والجمهور على الرفع ، وما عداها ينصب بتقدير فعل من لفظ المذكور أو معناه ينصبه ، ويتوجه اليه .

ثانيا : يهتم سيبويه بالنظير ، مع المقارنة الواعية بين النظائر التى يأتى بها وانظر الى ايراده الآيتين الزانية ، والسارق"

وتنظيره بأنهما مثل " ومثل الجنة التى وعد المتقون " ومثل قول الشاعر ، ومثل قوله تعالى " واللذان ياتيانها منكم ....الخ ، ثم يتحدث عن كل آية ، ووجه دخولها فى دعواه ، وما يذكر رأيا الا بتعليل بذكره مثل قوله بعد ذكره الآيتين ،فان هذا لم يبن على الفعل ، ولكنه جاء على مثل قوله (مثل الجنة ....الخ) وقوله : وانما كان الوجه فى الأمر والنهى النصب ، لأن حد الكلام تقديم الفعل ،وهو فيه أوجب .. ...الخ .

ثالثا : يظهر فى الموضوع خدمة سيبويه لموضوعه ، وحرصه الـزائد على جمع مادته اللغوية بكل ألوانها من أمثلة مصنوعة ، ومن آيات قرآنية ، وقراءات القرآن وأبيات شعرية فى غزارة وتدفق ثم استنباط الحكم النحوى من كل ما ذكره ، مما يجعل من الكتاب خير معبر عن حال عصره ، وجهاد الأسلاف فى سبيل بناء النحو بناء ضخما ،وقد جاء على أثره أجيال أتمت البناء شامخا حتى صار عملاقا .

رابعا : اختلفت مصطلحات المتأخرين من النحويين عن مصطلحات سيبويه وحتى يقرب النحو من شداة العربية ،ويناسب كل عصر وهذه سنة الحياة فى التطور والارتقاء ، فهذبت

عناوينه ، ووضحت مقاصده ، ولكنه الأساس المتين
لصرح هذا العلم ، وانطلاقه الى آفاق الدراسة
اللغوية .

ودونك مثالا آخر منه : ـ

ـ هذا باب النفي بلا)[1]

و"لا" تعمل فيما بعدها فتنصبه بغير تنوين ، ونصبها
لما بعدها كنصب إنَّ لما بعدها . وترك التنوين لما تعمل
فيه لازم ، لأنها جعلت وما عملت فيه بمنزلة اسم واحد نحو :
خمسة عشر ، وذلك لأنها تشبه سائر ما ينصب مما ليس باسم
وهو الفعل وما أجرى مجراه ، لأنها لا تعمل الا في نكرة ،
و "لا" وما تعمل فيه في موضع ابتداء ، فلما خولفت لبها عن
حال أخواتها خولفت بلفظها كما خولفت بخمسة عشر .

"فلا" لا تعمل في نكرة كما أن رُبَّ لا تعمل الا في نكرة ، وكما
أن كم لا تعمل في الخبر والاستفهام الا في النكرة ، لأنك
لا تذكر بعد "لا" اذا كانت عاملة شيئا بعينه كما لا تذكر ذلك بعد
رب ، وذلك لأن رب انما هي للعدة بمنزلة "كم" خولفت بلفظها
حين خالفت أخواتها كما خولفت بأيهم حين خالفت الذى ،

(١) الكتاب جـ ٢ : ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ ت هارون .

وكما قالوا : يا اللهحين خالفت ما فيه الألف واللام ، وسترى أيضا نحو ذلك ان شاء الله عز وجل . فجعلت وما بعدها كخمسة عشر فى اللفظ ، وعاملة فيما بعدها كما قالوا : يا ابن أم ، فهى مثلها فى اللفظ وفى أن الأول عامل فى الآخر ، وخولف بخمسة عشر ، لأنها انما هى خمسة عشرة .

" فلا " لا تعمل الا فى النكرة من قبل أنها جواب ، فيما زعم الخليل رحمه الله ، فى قولك : هل من عبد أو جارية ؟ فصار الجواب نكرة كما أنه لا يقع فى هذه المسالة الا نكرة .

واعلم أن " لا " وما عملت فى موضع ابتداء ، كما انك اذا قلت هل من رجل فالكلام بمنزلة اسم مرفوع مبتدأ ، وكذلك: ما من رجل وما من شىء ، والذى يبنى عليه فى زمان أو فى مكان ولكنك ضمرته وان شئت أظهرته . وكذلك : لا رجل ولا شىء انما تريد لا رجل فى مكان ، ولا شىء فى زمان ، والدليل على أن لا رجل فى موضع اسم مبتدأ ، وما من رجل فى موضع اسم مبتدأ فى لغة بنى تميم قول العرب من أهل الحجاز ، لا رجل أفضل منك .

وأخبرنا يونس أن من العرب من يقول : ما من رجل أفضل منك ، وهل من رجل خيرا منك ، كأنه قال : ما رجل أفضل منك ، وهل رجل خير منك .

وأعلم أنك لا تفصل بين لا وبين النفى ، كما لا تفصل بين "من" وبين ما تعمل فيه ، وذلك أنه لا يجوز لك أن تقول لا فيها رجل ، كما انه لا يجوز لك أن تقول فى الذى هو جوابه : هل من فيها رجل .

ومع ذلك أنهم جعلوا لا وما بعدها بمنزلة خمسة عشر ، فقبح أن يفصلوا بينهما عندهم كما لا يجوز أن يفصلوا بين خمسة عشر بشئ من الكلام ، لأنها مشبهة بها .

x x x

تحليل النص ومعرفة أفكاره : —

أولا : — انطلاقا من النص تجد أن سيبويه يعالج قضية عمل " لا النافية للجنس " فيذكر أنها تنصب الاسم بغير تنوين . ثم ينظر الحكمين السابقين كعادته دائما بأنها نصب كنصب إنَّ لما بعدها ، وضع منها التنوين وجوبا ، لأنها ركبت مع اسمها تركيب خمسة عشر ، وهى فرع فلابد أن تنقص فى العمل عن الفعل وما فى معناه ، ولذلك لم تعمل الا فى نكرة ثم يذكر مع التعليل السابق تنظيرا بأنها كرب التى لا تدخل الا على نكرة ، وكم " كذلك ، ثم يذكر الصلة بين رب وكم لأنهما للعدة ، ولذلك أيضا خولف فى عمل لا " باختصاصها فى النكرة فى يا الله وندائه للذى بالألف واللام له فصار جزءا منه بخلاف ما فيه الألف واللام فى غيره فلا يجوز نداؤه ، ولا مع اسمها كخمسة عشر ، وعملها فيما بعدها كعمل ما فى يا ابن أم ..

ولا وما بعدها فى موضع رفع مبتدأ ، بدليل وصفه باعتبار المحل نحو لا رجل أفضل منك ومثل قول العرب: ما من رجل أفضل منك .

ولا يجوز الفصل بينها وبين اسمها ، ثم نظر الى عدم جواز الفصل فى النظير وهو خمسة عشر .

ثانيا : - نجد أن سيبويه عميق العبارة ، قوى الحجة ، حاضر البديهة ، عنده مقدرة على جمع النظير المناسب وبيان وجه المناسبة منها ثم اعتماده على القياس والسماع الذى يؤيده عن العرب ونلاحظ كذلك أنا أبا بشر يرى أن النحو عوامل وآثار لها فى الكلمات والنسيج اللغوى تأثير ، فلا عنده تعمل عمل "أن" والأفعال ترفع وتنصب ومن المعلوم بداهة أن العمل لها جوازى وأمارات أقامها المتكلم لبيان مقصوده ، وهو حافل بكل رائع من نصوص عربية ، وحكم وأمثلة ، ونظر عقلى دقيق وفهم نادر لوظيفة اللغة في التعبير عن المقصود .

ثالثا : - الكتاب يحتاج الى قارئ من نوعية خاصة ، وقد تسلح بقراءة عربية واعية ، ودراسات مستفيضة ، لينهل من هذا المنهل العذب ، لبعد زمن تأليف الكتاب عن عصرنا الذى نعيش فيه ، فما أحوجه الى طالب علم مجد دءوب ، يقصد بعلمه وجه الله تعالى وخدمة العربية ، وليت تجربة سيبويه فى الكتاب تجد من يقدرها الآن فى سوقه الغزير للنصوص واستنباط القواعد النحوية منها ورحم الله الزمخشرى حيث يقول : -

ألا صلى الاله صلاة صدق ∴ على عمرو بن عثمان بن قنبر
بأن كتابه لم يغن عنه ∴ بنو قلم ، ولا أبناء منبر

قيمة الكتاب وواجبنا نحوه : —

هذا السفر القيم الذى جمعه سيبويه من كلام العرب وأقوال العلماء ثم أضاف اليه من عقله وابتكاره الشىء الواسع الكثير ، نتيجة استيعابه للثقافات العربية ، والتراث الخالد فى علم النحو والصرف واللغة والعلوم المتصلة بذلك ، وما استنبطه من هذه العلوم ، وضعها الى العربية ، فى أمانة واخلاص لا يبارى ، فهذا الجمع والتحصيل والنقل والتسجيل ، وهذا الجهد الذاتى البارع والصنعة الشخصية ، النادرة تشهد لسيبويه بالفوق والبراعة والقدرة .

* الكتاب موسوعة عربية سجل فيها جهود النحويين السابقين ومصدر ممتاز لعلماء العربية ودارسيها وباحثيها ، وطلاب اللغويات والبلاغة واللغة والأصوات ، فهو روضة غناء فى فنون العربية ، وما ألف كتاب فى نحو ولا صرف أو غيرهما الا وأخذ منه ، وينقل عنه ، فهو ذو أثر واضح فى نحو الكوفيين والمنبع الأصيل لنحو البصريين ثم لكل أمصار أمة العرب والاسلام من الأندلس ومصر والمغاربة وغيرهم . كما تأثر به المؤلفون فى كتبهم المختلفة ، فعبد القاهر الجرجانى نقل عنه ، وأفاد منه فى كتابيه : أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ، كما استفاد منه ابن سنان الخفاجى فى كتابه سر الفصاحة وأكثر النقل عنه ،

كما تأثر به ونقل عنه الثعالبي في فقه اللغة وكان له تأثيره الواضح في كتابه : فقه اللغة وسر العربية ، وغير هؤلاء كثير كالزمخشري ، والرضي وابن يعيش والفارسي وابن جني في كتبهم المختلفة الحافلة بنصوص الكتاب فسيبويه رحمه الله حلقة جيدة للعلماء السابقين حيث سجل أعمالهم وخلدها في كتابه الرائع ، والعلماء اللاحقين الذين تتلمذوا على كتابه ونهلوا عنه في فهم ، وأخذوا عنه ، فهو رائد يستحق كل تقدير واكبار والواجب علينا أن نهتم بهذا الكتاب ، ونختار منه موضوعات في كل كتاب نحوى أو صرفي يؤلف ، ثم يقرب النص الى ابناء العربية ، حتى يالفوا الكتاب ، ويتعلقوا به ويفيدوا منه .

رحم الله سيبويه العالم المجتهد الذكي البارع ، والنحوى الألمعي .

* * *

الفراء - أبو زكريا يحيى بن زياد
أحد أعلام المدرسة الكوفية

اسمه ونسبته وأسرته: -

هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن مروان ابن منظور الديلمي المعروف "بالفراء والديلمي: نسبة الى الديلم اقليم فى البلاد الفارسية".

أما أسرته فهم موال لنفر من تميم، أو لأسلم من "أسد" على خلاف فى ذلك.

ومما يذكر أنه ابن خالة محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة (١) رضى الله عنه - ويذكر الامام السيوطى فى بغية الوعاة "ابنا للفراء" فيقول عنه: وجمع - أى الفراء - مالا خلفه لابن له شاطر صاحب سكاكين" (٢).

(١) مقدمة معانى القرآن للفراء جـ ١ ص ٧ ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٠.

(٢) بغية الوعاة جـ ٢ ص ٣٣٣ تحقيق الأستاذ / محمد أبو الفضل ابراهيم ط / عيسى الحلبى ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥م.

وذكروا " أن أسرتـه دخلت فى الاسـلام لأول دخـول أهـل الديلـم وفارس فى الاسـلام . ويتضح ذلك من أسماء آبائـه العربيـة .

* لماذا لقب بالفـراء ؟

" الفراء " صيغـة مبالغـة على وزن " فعّال " كعطـار . وهـى لقب الفراء لا اسمه . وتطلق كلمـة " الفراء " أيضـا على من يخيط الفراء أو يقوم ببيعها وشرائها ، لكنه ما عـرف عن صاحبنا احتراف هـذه المهنـة قط ، ولذلك قيل :

" أطلق عليـه لقب الفراء ، لأنـه كان يَفْـرِى الكـلام [1] أى يحسن تقطيعـة وتفصيله فهو . "فعال " من الفرى ، وهمزته بدل من اليـاء لا من الواو .

وقيـل : لقب بالفراء لأنـه كان يحسـن نظم المسائل ، وقال بعضهم : سـمى فراء لقطعـه الخصوم بالمسائل التى يعنـت بها ، من قولهـم قـد فرى اذا قطـع " [2] .

واذا كان هذا اللقب قد صـار علما لهذا الامـام الجليـل فلنا أن نتساءل .

(١) المرجع السابق ٢/٣٣٣.
(٢) الاضداد لابن الانبارى ١٥٩.

* متى أطلق عليه هذا اللقب ؟

قيل : " ولا يعرف متى أطلق عليه هذا اللقب ؟ ولابد أنه أطلق عليه حين اكتمل وبدا نضجه ، وغلبته للخصوم " (١)

* موطن ميلاده ، ونشأته : —

ولد الفراء بمدينة الكوفة العراقية سنة ١٤٤ هـ فى صدر الدولة العباسية ، إبأن حكم الخليفة أبى جعفر المنصور . وفى الكوفة الحافلة بجهابذة العلماء والشيوخ فى مختلف مناحى العلوم والمعارف آنذاك . نما عوده ، وترعرع عصنه وتحلى بأدب هؤلاء الشيوخ ونهل من معارفهم .

وكان أبو زكريا الفراء قوى الحفظ ، واثقا من ذاكرته لا يكتب ما يتلقاه عن الشيوخ ، استغناء بحفظه ، وقد أدام الله عليه هذه النعمة فظل قوى الذاكرة طول حياته ، ولم يقتن كتبا كثيرة حتى كان يملى كتبه من غير نسخة معه . ثم تذكر مصادر ترجمته أنه انتقل من الكوفة الى بغداد بعد أن كبر واستوى عوده ، واتصل بالرشيد .

(١) معانى القرآن للفراء جـ ١ صـ ٨ .

* علو منزلته عند المأمون وتعليمه لولديه : _

ما زال الفراء يتصل بالخلفاء العباسين حتى توثقت علاقته بالمأمون ببغداد حيث وكل اليه الخليفة المأمون تأديب ابنيه وتعليمهما النحو . وكان الفراء معلما مثاليا لهما حتى تملك حبهما واحترامهما .

ومن طريف ما يحكى عن ثمار تعليمه لهما وما نراه وساما يزداد به صدر المعلم الناجح أنه كان يوما وقد أراد الفراء أن ينهض لبعض حوائجه فابتدرا الى فعل الفراء ليقدماها له ، فتنازعا ، أيهما يقدمها له ؟ ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما واحدة فقدماها ، وكان للمأمون وكيل على كل شيء خاص فرفع الوكيل ذلك الخبر اليه فوجه الى الفراء واستدعاه ، فلما دخل عليه قال له : (من أعز الناس ؟) فقال : لا أعرف أحدا أعز من أمير المؤمنين . فقال بلى : من اذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين ، حتى يرضى أن يقدم كل واحد منهما له فردا فقال : يا أمير المؤمنين : "لقد أردت منعهما عن ذلك ، ولكني خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا اليها ، أو كسر نفوسهما عن شريفة حرصا عليها .

وقد روى عن ابن عباس أنه أمسك للحسن والحسين ركابيهما حين خرجا من عنده فقال له بعض من حضر : أتمسك لهذين الحدثين ... ركابيهما وأنت أسن منهما ؟ : فقال: اسكت يا جاهل . لا يعرف الفضل لأهل الفضل الا ذوو الفضل . فقال له المأمون : لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك لوما وعتبا وألزمتك ذنبا ، وما وضع ما فعلاه من شرفهما بل رفع من قدرهما ، ولقد تبينت مخيلة الفراسة .... بفعليهما حيث بيّن عن جوهرهما ، فليس يكبر الرجل وان كان كبيرا عن ثلاث ، تواضعه لسلطانه ، ولوالديه ولعلمه العلم — ثم قال : قد عوضتهما عما فعلاه عشرين ألف دينار ، ولك عشرة آلاف درهم على حسن أدبك لهما " .(١).

وقد استقر المقام بالفراء ببغداد حيث أملى بها كتبه في معاني القرآن وعلومه وقد كلفه المأمون أيضا تأليف كتاب " الحدود " في العربية ، وأفرد له بيتا في القصر ، وكفاه كل مؤنة فيه " (٢).

وكان الفراء بارا بأهله ، حريصا على الاتصال بهم

---

(١) نزهة الألباء في طبقات الأدباء للأنبارى ص ٦٧ — ٦٨ شرح الأستاذ على يوسف ط/ جمعية احياء مآثر علماء العرب .

(٢) مقدمة معاني القرآن للفراء جـ ١ ص ١٠ .

مؤتيا ذوى ... القربى حقوقهم . يقول ابن النديم فى الفهرست كان أكثر مقامه ببغداد ، كان يجمع طوال دهره . فاذا كان آخر السنة خرج الى الكوفة وأقام بها أربعين يوما فى أهله يفرق فيهم ما جمعه ويبرهم " (١).

* صفاته وأخلاقه : _

تذكر كتب التراجم أن الفراء " كان متورعا دَيِّنًا على تيه فيه وتَعَظُّم (٢) أ. هـ .

وقال أبو الطيب اللغوى " وكان زائد العصبية على سيبويه (٣) وقال أيضا : " وكان الفراء يخالف على الكسائى فى كثير من مذاهبه ، فأما على مذهب سيبويه فانه يتعمد خلافه حتى ألقاب الاعراب وتسمية الحروف " (٤).

---

(١) الفهرست ٩٩ ط / دار المعرفة بيروت سنة ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨م .

(٢) مراتب النحويين ص ١٣٩ _ بغية الوعاة جـ ٢ / ٣٣٣ .

(٣) مراتب النحويين ص ٣٩ .

(٤) السابق نفسه ص ١٤١ .

*أســاتذته : -

درس الفراء على أبـي جعفر الرؤاسـي كما فعـل الكسائـي قبله لأن أبا جعفر كان أستاذ أهـل الكوفـة في النحـو[١] كما أخـذ علمـه عـن الكسائي وهـو عمدتـه "[٢] . ثم ارتحل الى بغـداد التي كانـت وقتئـذ غايـة الطالبين ، أو لأن أبا جعفـر زيـن له الذهـاب اليهـا لمنافسة الكسائـي حيـث قال له " قد خـرج الكسائي الى بغداد وأنـت أميز منـه "[٣] .

وكان ذهابـه الى البصـرة متأخرا .... والنحوى البصـرى الذى قالت الأخبـار ان الفراء اتصـل بـه هو يونس بن حبيب ولقيـه وأخـذ عنـه وروى عنـه في اللغـة وشواهـد النحو "[٤] .

وفي مراتـب النحويين ص ١٣٩ : " أخـذ نبذا عـن يونـس وأهل الكوفـة يدعـون أنه استكثر منـه ، وأهـل البصرة يدفعـون ذلك "[٥] .

---

(١) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ١٢٥ ط/ دار المعارف ١٩٧٣م.
(٢) مراتب النحويين ١٣٩.
(٣) نزهـة الالبـاء ٣٥.
(٤) مدرسة الكوفـة للدكتور/ مهدى المخزومى مطبعة مصطفى الحلبى ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ .
(٥) البغية أيضا ٢/ ٣٣٣.
(٦) بغية الدعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى ج٢ص ٣٣٣.

كما أخذ الفراء عن أبى زيد الكلابى وهو يزيد بن عبد الله الحر الأعرابى البدوى .

كما روى عن قيس بن الربيع ومندل بن على [١] وروى اللغة .. أيضا عن أعراب فصحاء يثق بهم مثل أبى الجراح وأبى ثروان وغيرهما [٢] كأبى فقعس وأبى دثار .

وكان الفراء ضمن الجماعة التى أحاطت بالكسائى لمؤازرته فى أثناء المناظرة التى جرت بينه وبين سيبويه ولقد مهدت تلك الجماعة لاخفاق سيبويه بسؤالته وتخطئته قبل حضور منازله فان سيبويه بعد ما لقى من على بن المبارك الأحمر والفراء ما لقى لهما " لست أكلمكما أو يحضر صاحبكما حتى أناظره " [٣] .

ومع هذا لانقدر إلا أن نقدر أن الفراء قد أفاد من علم شيخ البصرة سيبويه . قال الامام جلال الدين السيوطى فى بغية الوعاة " وكان زائد العصبية على سيبويه وكتابه تحت رأسه " [٤] .

١) بغية الدعاء فى طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى جـ ٢ ص ٣٣٣ .
٢) مراتب النحويين ص ١٣٩ . والبغية ٢/٣٣٣ .
٣) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٧٠ - ٧١ .
٤) البغية ٢/٣٣٣ .

* تلاميـــذه : ـ

حفظت لنا كتب الطبقات والتراجم أسماء عدد غفـــــير منهم كسلمة بن عاصم ، وأبى عبد الله الطوال ، ومحمد بن قادم وهؤلاء الثلاثة هم الذين حملوا علم الفراء ، ونشروه فـــــي الدارسين . ومن أخذ علمه عن هؤلاء الامام أحمد بن يحيى أبو العباس ثعلب . ومن العلماء الذين أفادوا من علـــــم الفراء محمد بن الجهم السمرى وقد حدث بكتبه[1] ومن تلاميذه أبو يوسف يعقوب بن اسحاق المشهور بابن السكيت صاحـــب (اصلاح المنطق " وتهذيب الألفاظ) .

ومنهم محمد بن سعدان البغدادى المولد الكوفى المذهب كما فى الفهرست ص ١٠٤ .

وفاته : ـ

توفى الفراء ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ٢٠٧ هـ ـ وقـــد قيل أنه مات وهو فى طريق مكة من سبع وستين سنة[2] . وقد قال سلمة بن عاصم : دخلت عليه فى مـــرضه وقـــد

(١) المرجع السابق ٢ /٣٣٣ .
(٢) ينظر مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى ص ١٤١ ، وطبقـــات الزبيدى ص ١٢٣ والبغية ٢ /٣٣٣ .

زال عقله وهو يقول : إن نصبا فنصباً " وإن رفعا فرفعاً " (١)

ويظهر من كلام الامام الجزرى أن الفراء توفى في العام المذكور بعد أن أدى فريضة الحج (٢) وكان ذلك في خلافة المأمون بعد دخول المأمون العراق بثلاث سنين " (٣)

---

(١) البغية : ٢: ٣٣٣ ·

(٢) غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ٢ / ص ٢٧١ ·

(٣) نزهة الألباء ص ٧٠ ·

نظرة الفراء الى العربية والنحو : —

لقد صحت نظرته الى العربية والنحو كما شهد له بذلك الامام ثعلب صاحب الفصيح ففي طبقات الزبيدى : " قال أبو العباس أحمد بن يحيى " ثعلب " العربية تخرج الاعراب على اللفظ دون المعنى ، ولا يفسد الاعراب المعنى .

فاذا كان الاعراب يفسد المعنى فليس من كلام العرب ، وانما صح قول الفراء ، لأنه عمل العربية والنحو على كلام العرب ، فقال : كل مسألة وافق اعرابها معناها ومعناها اعرابها فهو الصحيح ، وانما لحق سيبويه الغلط ، لأنه عمل كلام العرب على المعانى وخلى عن الألفاظ ، ولم يوجد فى كلام العرب ولا أشعار الفحول الا ما المعنى مطبق للاعراب والاعراب مطبق للمعنى . وما نقله هشام عن الكسائى فلا مطعن فيه ، وما قاسه فقد لحقه الغمز ، لأنه سلك بعض سبيل سيبويه ، فعمل العربية على المعانى وترك الألفاظ والفراء حمل العربية على الألفاظ والمعانى فبرع . واستحق التقدمة وذلك كقولك " مات زيد " فلو عاملت المعنى لوجب أن تقول : مات زيدا ، لأن الله هو الذى أماته ، ولكنك عاملت اللفظ فأردت : سكنت حركات زيد " أ . هـ (1)

---

(1) ينظر كتاب طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ١٣١ .

المصادر الدراسية لعلم الفراء : –

يستطيع القارئ لكتبه أن يتبين مصادره الأساسية من خلال أقواله المثبته فى كتبه كما يستطيع أن يتبينها فى ضوء المنقول عنه فى غير مؤلفاته • ومن الواضح أن الفراء كان يلتقى مع شيخه الكسائى فى المصادر التى كان يعتمد عليها وهى : –

١ – القرآن الكريم وقد وضعه الفراء فى المستوى العالى الذى ينبغى وضعه فيه واستند فى القول باعجازه اللغوى الى نزوله بلغة قريش التى خلت من مستبشع الألفاظ ومستقبح اللهجات كالكشكشة والعجعجة والعنعنة وغيرها " (١)

٢ – القراءات القرآنية المختلفة التى ما يفتأ يستشهد بها ويصوبها ويحتج بها وان كانت شاذة فى نظر نحاة البصرة •

٣ – اعتمد على الشواهد الكثيرة من شعر العرب وكلامهم يستوى – فى – ذلك ما وصل اليه عن طريق المشافهة باتصاله بالفصحاء وروايته عمن كان يثق بـه من الأعراب كأبى ثوران وأبى الجراح وأبى فقعس وغيرهم – أو عن طريق المناقلة كرواية عن الكسائى ويونس وغيرهما اذ هو يحتج بما سمع من هؤلاء ويبنى عليه كثير من آرائه " (٢)

---

(١) الكشكشة فى ربيعة ومضر يجعلون فى كاف الخطاب فى المؤنث شينا فيقولون : رأيتكش وعليكش وبكش وينظر هذه اللهجات ومعانيها فى المزهر والسيوطى ١–١٣٢ • (٢) مدرسة الكوفة ١٣٩ – ١٤١ •

ومن أمثلة ذلك ما يأتي : —

١ — ذهابه الى القول باسمية "نعم" فى أسلوب المدح مستدلا بدخول حرف الجر عليها لأنه سمع من يثق به أن أعرابيا بشر بمولودة له فقيل له : نعم الولد هى ، فقال : والله ماهى بنعم الولد نصرها بكاءٌ ، وبرها سرقة .(١)

٢ — وذهب الى جواز ابطال عمل (ان " الناسخة اذا بعدت عن اسمها بفاصل وقع بينهما بانيا رأيه هذا على ما حكاه هو والسكاكى أيضا من قولهم "ان فيك زيد راغب" " (٢).

وقد علل ذلك بأنها تباعدت عن الاسم بوقوع هذا الفاصل يعنى " فيك " بينها وبين اسمها كما بطل

---

(١) ينظر هذا القول فى الانصاف للانبارى ١ : ٦٧ / ومنهج السالك لابى حيان ٣٨٧ والتذييل والتكميل لابى حيان ج ٤ ص ٤٤٠ تحقيق د / الشربينى أبو طالب ٠

(٢) انظر مجالس ثعلب ج ١ ص ٦٥ شرح وتحقيق الأستاذ العلامة عبد السلام محمد هارون ط/ دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م٠

عملها حين فصلتها ما " الكافية " عن اسمها فى مثل قولهم " انما زيد قائم " .

٣ - ومن ذلك ما ذهب اليه من تجويز اعراب العدد المركب قياسا اذا اضيف ، استنادا الى ما سمعه من أبى فقعس الأسدى ، وأبى الهيثم العقيلى من قولهم ما فعلت خمسة عشرك " (١).

---

(١) راجع شرح العلامة الأشمونى بحاشية الصبان جـ ٤ ص ٧١ وقال الأشمونى " وذكر الى التسهيل أنه لا يقاس عليه خلافا للفراء .

دور الفراء فى بناء المدرسة الكوفية النحوية : —

لقد بات مقررا أن "نحو الكوفيين فى جملته هو نحو الفراء وان كان الكسائى هو صاحب المنهج الذى سار عليه الفراء ومن جاء بعده من الكوفيين [1] ومعنى ذلك أنه اذا كان الكسائى هو واضع أسس المدرسة الكوفية وجامع مادة دراستها الأولى وراسم منهجها فان الفراء قد تكفل باتمام البناء اذ تعهد النحو بالمدرسة بعده مع اعادة النظر فيما جاء به الكسائى حيث أخذ الفراء منه ما يتفق مع طبيعة المدرسة وبناء منهجها على أساس علمى جديد وهنا يحق لنا أن نتساءل ما منهج الكوفيين فى دراستهم للنحو ؟ وكيف تعامل معه الفراء حتى أتم البناء ؟ .

ويتضح الجواب — ان شاء الله تعالى — فيما يلى : —

لقد رسم الكسائى منهج النحو الكوفى على أسس ثلاثة نوجزها فيما يلى : —

١ — الاتساع فى رواية القراءات الشاذة والأشعار والأقوال .

٢ — الاتساع فى القياس بحيث يعتد فى بناء القاعدة النحوية بالشاذ والقليل والنادر .

(١) مدرسة الكوفة ص ١٣٥ .

٣ — الاتساع فى مخالفة البصريين اتساعا قد يؤول الى مد القواعد وبسطها بآراء قد لا تسندها الشواهد الشعرية بل قد يؤول أحيانا الى رفض المسموع على نحو مخالفتهم للبصريين فى اعمال صيغ المبالغة . اذ رفض الكسائى والفراء الاعتداد بما رواه سيبويه (١) فى كتابه من اعمال صيغ المبالغة فى أقوال وأشعار العرب الفصحاء حيث روى فى سعة الكلام " أما العسلَ فأنا شرّاب " بنصب العسل مفعولا به لشراب كما روى طائفة من أشعار العرب عملت فيها صيغ المبالغة " فعول ومفعال وفعيل وفعل" ورغم هذه الشواهد أنكر الكسائى والفراء هذا العمل بدعوى أن هذه الصيغ فرع عن أسماء الأفعال وأسماء الأفعال فرع عن الفعل المضارع ولذلك ضعف عملها " (٢).

وقد تابع الفراء أستاذه الكسائى فى الاتساع بهذه الأسس

---

(١) راجع مجالس ثعلب ص ١٢٤ ، ص ١٩٦ ط / دار المعارف ١٩٦٩م .

(٢) ينظر الكتاب لسيبويه ج ١ ص ١١٠ — ١١٥ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ط / دار القلم ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٩م وراجع أيضا المدارس النحوية للدكتور شوقى ضيف ١٩٥ — ١٩٦ .

التى قد تحول بها الى تنظيم واستنباطها عليها من اجتهاد، ما أعطى النحو الكوفى صورته النهائية القائمة على مخالفة البصريين فى كثير من أصول نحوهم ، ووضع مصطلحات جديدة ومخالفة الخليل وسيبويه فى تحليل بعض الكلمات والأدوات بل فى كثير من العوامل والمعمولات ثم مد القياس وبسطه ليشمل كثيرا من اللغات والابقاء على فكرة الشذوذ ومخالفة القياس حتى فى القراءات " (١)

هذا وان كان الفراء يوافق الكسائى فى أكثر المسائل والأصول لأنه سبق أن أخذ عنه وعليه اعتمد لكنه عجيبا أن نجد لكل علم من الأعلام آراء ينفرد بها بمقدار مارزق من بسطة فى العلم وبراعة فى الابتكار اذ كان عقله أخصب وأدق من عقل الكسائى حيث قامت ثقافة الفراء على الفلسفة التى تقوم على الاستنباط والتحليل ولذلك فاننا نكاد نرى لكل امام مذهبا يخالف فيه غيره من بعض الوجوه فلسيبويه مثلا آراء يخالف فيها شيوخه ، وللأخفش آراء يخالف فيها سيبويه وجمهور البصريين .

ومن هذا المنطلق كان للفراء مذهبه الذى ينحرف فيه عن مذهب الكسائى فى أكثر من موطن .

---

(١) المدارس النحوية ص١٩٦ .

على أننا نبادر بذكر ما قاله صاحب كتاب مدرسة الكوفة ص ١١٤ من كتابه : " ان اختلاف وجهة النظر عند الكسائي والفراء لا يمس وحدة المنهج العام الذى رسمه الكسائي وسار عليه أتباع المدرسة الكوفية .

والحق أن الفراء يوافق الكسائي في أكثر المسائل والأصول لأنه درس عليه _ كما علمنا _ وأخذ عنه منهجه فكثيرا ما نقرأ عن النحاة مثل قولهم : ذهب الكسائي والفراء الى هذا ونحو ذلك .

أما زاوية الاختلاف بين الفراء وشيخه فتتضح في كيفية معالجة الفراء لهذا المنهج حتى برز الخلاف بينهما واضحا جليا وقد ذكر أيضا صاحب مدرسة الكوفة وألخصه فيما يأتي :

إن نحو الفراء يختلف عن نحو الكسائي من حيث الشكل والموضوع .

أ _ أما الاختلاف في الشكل: فالكسائي في نحوه كان يحتذى منهج المحدثين والفراء بعيدا عن التأثر بالتفكير الفلسفي اللهم الا في كلامه في القياس واعتداده به في دراسته وتأثره بمنهج المتكلمين فقد كان عن طريق دراسة النحو البصرى الذى خضع في منهجه وأصوله للتفكير الكلامي خضوعا تاما .

وكان الفراء من المتكلمين ، وكان ينحو في مصنفاته منحى

الفلاسفة ، وقد ترك ذلك ظلا واضح المعالم ، تمثل فى تعليله القضايا النحوية وفلسفة الاحكام مثل ما كان يمثل ماكان البصريون يعللون ويفلسفون .

ب — أما الخلاف فى الموضوع : فللفراء أقوال كثيرة يخالف بها استاذه إما لان مقاييسه العامة تختلف عن مقاييس الكسائى وأما لأنهما يختلفان فيها من حيث وجهة النظر الخاصة التى قد تختلف بدورها بين حين وحين فى الشخص الواحد ، أو فيما بين الأشخاص حسب الاختلاف فى الحذق وسعة الاطلاع والبراعة — الى آخره ... وقد تمثل الخلاف بينهما فى ... الموضوع فى مسائل كثيرة نكتفى بذكر الآتى منها : —

١ — الاختلاف بينهما حول فعلية أفعل فى " ما أفعل " فى التعجب أو اسميته . حيث قال الكسائى : انه فعل تبعا للبصريين .

وقال الفراء — وبقية الكوفيين غير الكسائى : انه اسم ومؤيد رأيهم بوروده مصغرا فى قول الشاعر :

يا ما أميلح غزلانا شَدنَّ لنا
من هؤليائكنّ الضّالِ والسَّمُر

فلو كان " أملح " فعلا لما جاز تصغيره ، لان الأفعال

لا يصغر منها شيء " (١) .

٢ – اختلفا في نعم وبئس " الدالتين على انشاء المدح والذم فذهب الكسائي الى فعليتهما وذهب الفراء الى اسميتهما وقد سبق ذكر هذه المسألة .

٣ – اختلفا في رافع الفعل المضارع فذهب الكسائي الى أن رافعه هو ما فيه من حروف المضارعة ، وذهب الفراء الى أن رافعه هو تجرده عن الناصب والجازم " (٢) .

هذا وكان الكسائي نحويا وقارئا ، لكن الفراء قد تغلب عليه الجانب اللغوي وكانت له دراسات قرآنية في التفسير وروايات الأحرف وكان بذلك يمثل الدور الثاني لمدرسة الكسائي وهي المدرسة القرآنية النحوية التي ظهرت في الكوفة " (٣) .

وبعد .

فلقد ظل الفراء يحاول جاهدا على تمييز المدرسة الكوفية

---

(١) راجع شرح المفصل لابن يعيش ج ٧ ص ٢٤٧ ط / عالم الكتب بيروت وشرح الأشموني بحاشية الصبان ٣ : ١٨ .

(٢) راجع شرح المفصل لابن يعيش ج ٧ ص ١٢ وقد ضعف ابن يعيش مذهب الفراء لأمرين : أحدهما : أنه تعليل بالعدم المحض وهو فاسد . والثاني : أن ما قاله الفراء يقضي بأن أول أحوال الفعل المضارع النصب والجزم والأمر بعكسه .

(٣) مدرسة الكوفة ص ١٢٢ .

وتفردها حتى استطاع حقا أن يكون لها مدرسة مستقلة فى النحو لا كل الاستقلال فهى لا تزال تعتمد على ما وضعته المدرسة البصرية من أسس بيد أن الفراء أتاح لها بما قدم من تحليل لبعض الأدوات والكلمات ، كما جلب لها مصطلحات مبتكرة وجديدة ثم نفذ الى آراء كثيرة فى العوامل ... والمعمولات وسط السماع والقياس حينا وقيضهما حينا آخر حتى استوت للنحو الكوفى صورة مختلفة عن صور النحو البصرى اختلافا واضحا " (١).

منزلته العلمية وثناء العلماء عليه : ـ

بعد هذه الرحلة فى حياة هذا العالم الجليل نستطيع ادراك .. الأثر الطيب المبارك بعده ، فلقد ترك الفراء ثناء جميلا معطرا عليه ممن عاصره وممن جاء بعده من العلماء اعترافا بفضله ولسعة علمه وحفظه حتى قيل : " أنه أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائى ، ... وأبرعهم فى علمهم . وهو رأس الطبقة الثالثة فيهم " (٢).

---

(١) المدارس النحوية ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ بتصرف .

(٢) مراتب النحويين لابن الطيب اللغوى ص ١٣٩ طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ١٣١ .

وفى تاريخ بغداد جـ ١٤ ص ١٥٢ : وكان يقال : " النحو الفراء ، والفراء أمير المؤمنين فى النحو .

حقا لقد بلغ الرجل فى العلم المكانة السامية التى لاتدانى اذا كان فى العربية بحرا وفى الفقه فقيها عارفا ، وبالطب خبيرا وبأيام العرب وأشعارها حاذقا " (١) .

لكن الفراء عنى — على وجه خاص برواية اللغة ودراسة صناعة الاعراب بالتطبيق على القرآن ورواية أحرفه .

وقال عنه أبو بكر بن الانبارى : " كان اماما ثقة (٢) ... ولقد أنزله الكوفيون منهم منزلة سامية حتى قال الامام أحمد بن يحيى الملقب بثعلب : " لولا الفراء لما كانت اللغة ، لأنه حصّنها وضبطها .

ولولاء لسقطت العربية ، لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس عليها على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب " (٣) .

---

(١) مقدمة معانى القرآن للفراء جـ ١ ص ٩ نقلا عن ابن خلكان
(٢) نزهة الألباء لابن الأنبارى ص ٦٦ .
(٣) المرجع السابق ص ٦٦ وطبقات الزبيدى ص ١٣٢ .

وقيل : " لو لم يكن لأهل بغداد من علماء العربية الا الكسائى والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس .

وهكذا أخذوا يمجدون الرجل ، ليصره بالعلوم ولحذقه بالعربية وللتباهى به أمام البصريين ، الذين فخروا بالخليل وسيبويه الذى وصف كتابه بأنه قرآن النحو . واذا كان كتاب سيبويه قد فاز بهذا الوصف فلقد كان للفراء أعمال قرآنية عظيمة تتمثل فى كتابه معانى القرآن وكتاب المصادر فى القرآن وكتاب الجمع والتثنية فى القرآن ، ثم اختلطت هذه الأعمال الباركة بعضها ببعض فكان منها نحو الفراء ... وننتقل بعد ذلك الى الكلام عن مؤلفاته فى حديثنا الآتى : ـ

مؤلفاته : ـ

ألف الفراء كثيرا من الكتب النافعة التى بلغت مقدار ثلاثة آلاف ورقة [1] وقد مدح الفراء بأنه " صنف كتبا حسانا أملاها ببغداد عن ظهر قلب "وقال عنها أبو العباس " ثعلب " : كتب الفراء لا يوازى بها كتاب" [2]

(١) نزهة الالباء ص ٦٩ .
(٢) طبقات الزبيدى ١٣٣ .

وقد سجل له ابن النديم بعض هذه المؤلفات فى الفهرست أثناء ترجمته [1] وهى : -

١ - كتاب " معانى القرآن " للفراء " وقد ألفه لعمر بن بكير وقد حققه الاستاذان : أحمد يوسف نجاتى ، ومحمد على النجار وطبعته الهيئة العامة للكتاب بمصر فى ثلاثة أجزاء .

٢ - كتاب " البهى " أو البهاء " ألفه لعبد الله بن طاهر وقيل أنه أصل الفصيح للامام ثعلب .

٣ - كتاب اللغات .

٤ - كتاب المصادر فى القرآن .

٥ - كتاب الجمع والتثنية فى القرآن .

٦ - كتاب الوقف والابتداء .

٧ - كتاب الفاخر فى الأمثال . [2].

٨ - كتاب آلة الكتاب .

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ١٠٠ ط / دار المعرفة بيروت سنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م .

(٢) الكتاب الفاخر للفراء نسخة بمكتبة الفتح باستانبول برقم ٤٠٠٩ وراجع معانى القرآن للفراء جـ ١ .

٩ ـ كتاب " النوادر " رواه سلمة بن قادم .(١)

١٠ ـ كتاب " فعل وأفعل " .

١١ ـ كتاب المقصور والممدود ، ومنه نسخة بمكتبة بروسة بتركيا .(٢)

١٢ ـ كتاب المذكر والمؤنث " وقد حققه د / رمضان عبد التواب وطبعته دار التراث ١٩٧٥م .

١٣ ـ أسماء الحدود له من خط سلمة بن عاصم ، وهي ستون حدا في قواعد النحو مرتبة ومنها : حد الاعراب في أصول العربية حد النصب المتولد من الفعل ، حد المعرفة والنكرة حد " من ، ورب " حد العدد ، وتنتهي بحد : ما يجرى وما لا يجرى .

وللفراء كتب أخرى ذكرها صاحب الفهرست وغيره ومنها .

---

(١) هذا اسمه الوارد في الفهرست ص ١٠٠ وأرجح أنه سلمة بن عاصم ووقع في كلمة (عاصم) تحريف من الناسخ وراجع تلاميذ الفراء السابق ذكرهم .

(٢) راجع معاني القرآن للفراء جـ ١ ص ١١ وللفراء كتاب اسمه المنقوص والممدود ، طبعته دار المعارف المصرية سنة ١٩٧٧م وهو بتحقيق الأستاذ الجليل عبد العزيز الميمى .

١٤ ـ اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام فى المصاحف "الفهرست ص ٥٤ .

١٥ ـ كتاب " لغات القرآن " ذكر فى الفهرست ص ٥٣ .

١٦ ـ حروف المعجم ، وقد نقل عنه ابن رشيق فى العمدة فى بحث القافية جـ ١ ص ١٠٠ .

١٧ ـ المشكل الكبير ـ ويظهر أنه كمشكل القرآن لابن قتيبه .

١٨ ـ المشكل الصغير .

١٩ ـ " ملازم " وقد ذكر فى نزهة الألباء والفهرست ويقرن هذا الكتاب دائما بكتاب يافع ويفعة .

٢٠ ـ كتاب الأيام والليالى والشهور " وقد حققه الأستاذ / ابراهيم الأبيارى وطبعته المطبعة الأميرية المصرية سنة ١٩٥٦ م .

وتلك الكتب السابقة هى التى حفظت لنا الأيام أسماءها للفراء ولقد ضاع أكثرها ونلاحظ أن بعضها فى اللغة وبعضها فى النحو وبعضها فى التفسير ، غير أن أكثرها يتصل باللغة والنحو . على أنه ليس فيها كتاب جامع لأصول النحو ومسائله أو متوفر على ذكر مسائله سوى كتاب الحدود كما تدل عليه عناوين الكتاب مع أنه للأسف ضاع فيما ضاع .

وبعد : فقد آن لنا أن نطلعك على مؤلف للفراء ، وما أظنك الا وقد تشوقت لذلك ـ فها نحن أولا ـ نقطف لك بعض نصوصه حثا لك على التريض فى الحدائق الغن لمؤلفات الفراء ودفعا لعقلك الطموح حتى تطلب بنفسك النتاج الثر لهذا العالم العربى الجليل وغيره من جهابذة العرب جزاهم الله خيرا .

مع كتاب "الأيام والليالى والشهور

لأبى زكريا يحيى بن زياد الفراء" (١)

مادة الكتاب وأبوابه : ـ

هو كتاب فى اللغة خصه الفراء بموضوع محدد يتعلق بالأيام والليالى والأسابيع والشهور ، والدهر والأعوام والشمس والقمر وما يقال فيهما . فيذكر أسماءها العامة المعروفة كما يذكر أسماءها التى يستعملها فريق من العرب دون فريق كتسمية "الأحد" : أول "والاثنين" أهون " والجمعة " العروبة وكتسمية شهر ربيع الأول بخوان مخففا ومشددا . وجمادى الآخرة بحَنِين (مثل) أمير " وسكِّيت . كما عرض لأفرادها وتثنيتها

(١) تحقيق الأستاذ / ابراهيم الأبيارى / المطبعة الأميرية ١٩٥٦م .

وجمعهـا .

كما تناول الليالى "بذكر صفاتها وتسمية ساعاتها وغير ذلـــك .
وقد بنى الكتاب على ثلاثة عشر بابا هـى : —

١ — باب تسمية أيام الأسبوع .

٢ — باب تسمية الأيام باللغة الثانية وهى لا تنصرف .

٣ — باب تسمية الشهور وتثنيتها وجمعهـا على لغتين .

٤ — باب تسـمية الشهور باللغة الثانية .

٥ — باب الهلال وما يقال فيـه .

٦ — باب من صفـة الليالى .

٧ — باب من ذكـر الأيام .

٨ — باب تسـمية ساعات الليل .

٩ — باب ما يقال : دهر دهـور ، ويقال : دهر ودهارير .

١٠ — باب قـول الله عز وجل (ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات)(١)
هـى أيام العشـر .(٢)

١١ — باب يقال : العام ، والقابل وقُبَاقُب ، للعام الثالث .

---

(١) مـن الآية — ٢٨ من سورة الحج .

(٢) أى عشر ذى الحجة وآخرها يوم النحر .

١٢ ـ باب الشمس وما يقال فيها .

١٣ ـ باب . صلاة الشاهد صلاة المغرب .

والكتاب مترع بالشواهد الشعرية والروايات التى تدعم الموضوع كما يضم عددا وفيرا من الألفاظ العربية والمسائل المفيدة ودراسة الصرف والنحو واللغة واليك بعض نصه : ـ

" باب تسمية أيام الأسبوع " (١)

من كتاب " الأيام والليالى والشهور للفــــــراء

قال الفراء يحيى بن زياد أبو زكريا : ـ

يقال : يوم وأيام ، والأصل : أيوام ، ولكن العرب اذا جمعت بين الياء والواو فى كلمة واحدة ، وسبق أحدهما بالسكون ، قلبوا الواو ياء ، وأدغموا وشددوا .

من ذلك قولهم : كويته كيًّا ، ولويته ليًّا ، قال الله عز وجل

---

(١) هذا العنوان من اختيارنا وانظر كتاب الأيام والليالى والشهور ص (١) المطبعة الأميرية سنة ١٩٥٦ م تحقيق الأستاذ ابراهيم الابيارى .

((وراعنا ليًّا بألسنتهم)) (١) ولكن العرب أدغمت الواو في الياء ، لأن أحدهما سبق بالسكون (٢) وكذلك : أُمنيّة ، وأُربيّة (٣) والأصل : أُمْنِوْيَة وأُرْبُوَة ، (٤).

قال : (٥) وحكى الفراء عن أبي ثروان (٦) عن العرب

---

(١) سورة النساء من الآية — ٤٦ وأولها : (من الذين هادوا .... يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم ، وطعنا في الدين ... الآية) .
والمعنى : أنهم يقولون للنبي — صلى الله عليه وسلم — (راعنا) وهي كلمة سب بلغتهم وقد نهى الله عن خطابه بها وليا أي تحريفا بألسنتهم وطعنا في الدين أي قدحا في الاسلام وكان المفروض أن يقولوا انظر الينا بدل راعنا .
(٢) قول الفراء ، ولكن العرب أدغمت الواو في الياء ، لأن أحدهما سبق بالسكون " تأكيدا لما سبق من قوله : " ولكن العرب اذا جمعت بين الياء والواو في كلمة وسبق أحدهما بالسكون قلبوا الواو ياء الخ . كلامه .
(٣) الأربية : أصل الفخذ مما يلي البطن أو هي ما بين أعلى الفخذ وأسفل البطن ووزنها فعليه بالضم والتشديد .
(٤) في اللسان مادة (ربا) ج١٩ ص ٢٠ : " والأربية بالضم والتشديد أصل الفخذ وأصله : أربوة فاستثقلوا التشديد على الواو وهما أربيتان .
(٥) كلمة قال توحي بأن الكتاب مروى عن الفراء
(٦) هو أبو ثروان العكلي من بني عكل أعرابي فصيح يعلم في البادية ويلقب بالوحشي . ترجمة الفهرست ص ٦٩ .

عوى الكلب يعوى عيَّة ، والأصل : عَوْيَة " (١) .

وهذا قياس لا انكسار فيه الا فى ثلاثة أحرف نوادر ، قالوا ضَيْوَن وهو السنور البرى ، والجمع : الضياون " (٢) .

---

(١) الوجه أن يقول : (عوى الكلب يعوى عيا ، والأصل عويا) ، الا اذا أراد المرة .
* وفى اللسان مادة (عوى) : عوى الكلب والذئب يعوى عيا وعواء وعوة وعوية بفتح فسكون كلاهما نادر ، وفى القاموس المحيط * مادة " عوى " عوى يعوى عَيًّا ، وعُواء ، وعَوَّة ، وعَوِيَّة - بفتح العين وكسر الواو فياء مشددة مفتوحة ، وهذا ما ورد فى كتب اللغة عن هذا الفعل ومصدره فلم يخرج عنه فيما قرأت وذلك يرجح ما ذكرته من أن الوجه أن يكون الكلام ... عوى الكلب يعوى عيا " .

(٢) العلة فى صحة الواو فى هذا الجمع هو صحتها فى الواحد وعدم اعلالها ، وانما لم ادغم فى الواحد ، لأنه اسم موضوع وليس على وجه الفعل ، وقال سيبويه فى تصغيره ضُيَيْن " فاعله وجعله مثل : " أُسَيِّد وان كان جمعه أساود ومن قال "أسيود " فى التصغير لا يمنع أن يقول " ضُيَيْوِن " .

قال الشاعر :

ثَرِيدٌ كأن السمن فى حَجَراتِه

نجومُ الثريا أو عيونَ الضَّيَاوِن (١)

وقالوا : رجاء بن حَيْوة (٢) .

وقالوا : خيوان ، لحى من همدان " ، فجاءت هذه النوادر ، لم يدغموا الواو فى الياء فى هذه الأحرف ، فلا يقولون : " ضَيَّن ولا حَيَّة " ، ولا " خَيَّان " .

قال الفراء : فأول الأيام الأحد .

والتثنية : الأحدان ، والجمع القليل : آحاد ، فتقول : ثلاثة آحاد " (٣) .

---

(١) البيت من بحر الكامل وهو غير منسوب فى لسان العرب مادة ضون جـ ١٧ ص ١٣٢ وأنشده الفراء والحَجَرَات : النواحى ، ..... الواحدة : حجرة بالفتح ... وفى اللسان ما نصه : وصحت الواو فى جمع الضياون لصحتها فى الواحد وانما لم تدغم فى الواحد لأنه اسم موضوع وليس على وجه الفعل وكذلك حيوة اسم رجل وفارق هنيا وميتا وسيدا وجيدا وفيه أيضا : قال ابن برى وضيون فيعل لا فعول لأن باب ضيغم أكثر من باب جهور .

(٢) هو رجاء بن حيوة بن جرول ، ويقال : جندل بن الأحنف ابن السمط بن امرئ القيس بن عمرو الكندى ورجاء هو شيخ أهل الشام فى عصره توفى سنه ١١٢ هـ .

والجمع الكثير : الإآحاد (١) وهو ما جاوز العشرة وهو القياس غير أنهم لم يتكلموا به .

والاثنان : تثنية «لايثنى» والجمع الأقل : أثنا ، وجمع الأثناء أثان ـ و "الأثانى" غاية الجمع .

والثناء ممدود : الجمع الكثير ، فأما من جمع "الأثانين ، فانه بناء على أن جمع نون التثنية من نفس الكلمة " (٢).

والثلاثاء (٣) ممدود ، والجمع الثلاثاوات ، بقلب الهمزة واوا .

وان قلت : " الثلاثاءات " جاز والأثالث " (٤) " الكثيرة . وان قلت : أثلثة " على أن يكون جمعا لثلاث جاز .

قال الشاعر في " الثلاثاء " يمدح الأحمرى :

= (٣) في المصباح المنير مادة "وحد" ص ٦٥ " "يوم الأحد علم، على معين وجمعه آحاد مثل سبب وأسباب " والمعروف أن أحد تجمع على آحاد وأحدان .

(١) بكسر الهمزة

(٢) ورد جمعه أيضا في كتب اللغة هكذا " ثنى " كتدى " جمع ثدى .

(٣) الثلاثاء : بفتح الثاء المشددة الأولى وضمها مشددة أيضا .

(٤) لسان العرب " ثلث " جـ ٢ ص ٤٢٧ .

والأحْمَرِىُّ اذا حلوا بمَكْنَبـــة (١)
من الطريق بدا فى رأس مَيْثَــاء

قالوا :

ثلاثاء خصبٌ و مأدُبــــــة
وكل أيامه يــوم الثلاثــــاء

ويقال : مضيت الثلاثاء بما فيها ، ومضى الثلاثاء بما فيه
يؤنث ويذكر " (٢).

* الأربعاء : بكسور الباء ممدود . والتثنية الأربعاوان .
والجمع الأربعاوات ، والأرابيــع ،قال الكميت : –

---

(١) الميثاء : الراية الطيبة ، والرملة السهلة والأرض السهلــة والجمع ميث مثل هيفاء وهيف " لسان العرب مادة ميث جـ ٣ ص ٥١٤.

(٢) فى اللسان مادة " ثلث " جـ٢ : ٤٢٧ : وكان أبو الجــراح يقول : مضت الثلاثاء بما فيهن يخرجها مخرج الأعداد وحكى عن ثعلب مضيت الثلاثاء بما فيها فأنث . والثلاثــاء لما جعل اسما جعلت الهاء التى كانت فى العدد مدة فرقا بين الحالين وكذلك الأربعاء من الأربعة فهذه أسماء جعلت بالمد توكيدا للاسم . كما قالوا : حسنة وحسناء حيث ألزموا النعت الزام الاسم .

وقد نفخوا يومَ الخميس أوَ أرهَا
وبالأمس يوم الأربعاء فأثقبوا (١)

* والخميس : والتثنية : الخميسان ، والجمع : الأخمسة والأخماس الكثيرة . وكذلك الأخاميس . والخُمس على الباب كما تقول : قميص وقُمُص ، وأقمصة ولم أسمعه من العرب " (٢)

* والجمعة : بتسكين الميم وتحريكها ، فمن سكن وجمع قال : جمع حرك قال : جُمُعات .

يقال : هذا يوم الجُمْعة والجُمُعة . وقد قرئ بهما

---

(١) البيت للكميت بن زيد بن الأخنس بن مجالد مداح آل البيت توفى سنة ١٢٦ هـ ترجمته فى الخزانة جـ ١ ص ١٤٤ . وكلمة أثقبوا : من أثقب النار أى أضاءها .

(٢) هذا القول يؤكد ما سبق ذكره فى الدراسة من توسع الفراء فى استعمال القياسى كما تدل العبارة على أمانته العلمية حيث أثبت أنه لم يسمع هذا الجمع من العرب .

جميعا [1] ، والجمع : جُمُعات وجُمَع " [2] .

* والسبت : والتثنية : السبتان ، والجمع : أسبت ، وأسبت والكثير : السبوت ، وهي أكثر من العشرة .

ويقال : استأجرته مياومة ، أي كل يوم بكذا ، ومجامعة كل جمعة بكذا في هذين الوقتين خاصة . كما قالوا استأجرته مسانهة ومساناة . ويجيء على هذا المثال أن تقول : مساعاة أي في كل ساعة بكذا ومواقتة ، وملايلة بكذا ، ومشاهرة على ذلك القياس .

---

(١) الجمعة بضمتين وباسكان الميم مصدر بمعنى الاجتماع . وقيل في المسكن هو بمعنى المجتمع فيه مثل رجل ضُحَكة أي يضحك منه ويقرأ بفتح الميم بمعنى الفاعل ، أي يوم المكان الجامع مثل رجل ضحكة : أي كثير الضحك " من كتاب املاء ما من به الرحمن ج ٢ : ٢٦٢ ط / دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م وفي اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للبنا الدمياطي ص٤١٦ " الجمعة " بسكون الميم لغة تميم مطبعة عبد الحميد حنفي بمصر ١٣٥٩ هـ .

(٢) فيه تكرار .

ويقال لا تكن أحديا ، أى من يصوم " الأحد " ولا تكن اثنيا واثنيا ، ورجل اثنوى واثنيى ، على ألا يجعله اسما واحدا وتنسب اليه .

ومن قال : " اثنوى " حول الياء واوا ، لكثرة الياءات .

ويقال : مضى الاثنان بما فيهما ، وبما فيه ، وما رأيته مذ تلك الثلاثاء ومضت الأربعاء ، وبما فيه " (١) .

ويقال : رجل ثلاثاوى ، ولاتكن ثلاثاويا ، أى من يصوم الثلاثاء (٢) ولا تكن أربعاويا ، أى من يصوم الأربعاء . ومضى الخميس بما فيه لاغير (٣) . ولا تكن خميسيا ، أى من يصوم الخميس . ومضت الجمعة بما فيها وبما فيه ، تريد بالتذكير يوم الجمعة ولاتكن جمعيا ، أى من يصوم الجمعة . ولا تكن سبتيا ، ومضى السبت بما فيه (٤) " انتهى " .

---

(١) أى يعود الضمير على الأربعاء بالتذكير والتأنيث ومثل ذلك " الجمعة كما سيأتى .

(٢) أى من يصوم " الثلاثاء " وحده وانظر لسان العرب مادة " ثلث " جزء ٢ ص ٤٢٧ .

(٣) معنى ذلك أن الخميس مذكور ولا يؤنث ضميره .

(٤) بالتذكير فقط .

تحليل النص السابق

فى ضوء قراءتك للنص السابق تدرك أن الفراء فى تأليفه بحر زاخر يمنح ألوانا من المعرفة اللغوية المتعددة الأصناف المشرقة الديباجة ومن سماتها ما يأتى : —

أ — تراه بدأ بالحديث عن كلمة اليوم وما فيها من اعلال وابدال يتعلق بالدرس الصرفى ومسائله الدقيقة . وقد ساق ذلك فى عبارة أدبية رائقة ، وفى خلال عرضه لموضوع يتعلق بالحياة . وهكذا كان علماؤنا الأوائل — رضى الله عنهم — فى كل مصنفاتهم يثبتون قواعد اللغة فى الأذهان بمنهاج تحاول أن تتسامى اليه أرقى المناهج التربوية الحديثة . بينما هو فى تراثنا وضئ القسمات . راسخ المعايير ، خليق بأن يفخر به أبناء العربية فضلا عن طلب ما هو دونه فيما سواه من اللغات .

ب — استعان الفراء فى عرضه للقواعد الصرفية بعرض أمثلة كثيرة تدعم القاعدة وتوضحها وهذه الأمثلة تتنوع بين الآيات القرآنية والشواهد الشعرية والأقوال العربية المحكية والمروية عن الفصحاء كما أنه عرض أفكاره مرتبة وبأسلوب منظم .

جـ — ضرب الفراء أروع الأمثلة للأمانة العلمية فكثيرا ما ينسب

الشواهد الى أصحابها فهو يقول مثلا : حكى الفراء عن أبى ثروان عن العرب ويقول : قال الكميت وهكذا أو يقول : لم يتكلموا بــه أو لم أسمعــه من العرب ...... وهكذا .

د ـ تتبدى ملامح المدرسة الكوفيـة بارزة فى أسلوب الفراء . فيقول: وهو القياس غير أنهـم لم يتكلموا بـه . ويقـول : وقـــد قرئ بهـما جميعا .... وكثيرا ما تتكرر كلمـة يقاس ... النـوادر ، أكثر الى آخره .

وهذا موضع آخر من كتاب الأيام والليالى والشهور

ص ـ ٩ ـ ١٦ .

باب تسمية الشهور وتثنيتها وجمعها على لغتين

* فأول الشهور : المحَرّم وتثنيتــه : المحرمان ، وجمعـه : المحارم والمحاريـم ، على مفاعل ومفاعيل .

وقد تجمعه العرب : مُحَرَّمات ، لأنهم ذهبوا الى الموات وماكان من ذلك جمعــوه بالألف والتاء .

قال الفراء : وانما سمى المحرم محرما ، لأن العرب كانـــوا

يحرمون القتال فيه " .

وقال بعضهم : " انما سمى " المحرم " ، لأنه حرام " .

* وصفر : التثنية صفران ، والجمع : أصفار ، على أفعال .

قال الشاعر : (١)

إنّى نهيتُ بنى ذُبيان عن أُقُر
وعن تربّعهم فى كل أصفار (٢)

---

(١) هو النابغة الذبيانى الشاعر الجاهلى المشهور واسمه : زياد ابن عمرو بن معاوية وانما سمى النابغة لأنه لم يقل شعرا قط حتى صار رجلا وساد قومه . وقد فجأهم بأنه قد نبغ عليهم بالشعر بعد ما كبر فسمى النابغة .
والبيت المذكور فى ديوانه ص ٧٥ ط / دار المعارف ٩٧٧ :— تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل ورواية الديوان : لقد نهيت بدل انى نهيت .

(٢) مناسبة البيت ومعناه : فى الديوان ص ٧٥ " كان النعمان بن الحارث الغسانى احتمى " ذا أقر " وهو واد مملوء حمضا ومياها — والحمض ما كان ملحا ومرا من النبات . وهو كفاكهة الابل — وقد احتمى الناس هذا الوادى وتربعته بنو ذبيان ... فنهاهم النابغة وحذرهم وخوفهم اغارة الملك فتربعوه وعيروه خوفة النعمان ثم مات النعمان وجاء عمرو بن الحارث أخو النعمان فوجه اليهم خيلا فأصابهم فأنشد النابغة قصيدة أولها البيت المذكور . =

وانما سمى " صفرا " لأن العرب كانوا يغـزون فيه الصفرية " فيمتارون الطعام ٠

وقال بعضهم : " الصفرية " سَفْرة لهم كانوا يسافرونها ٠

وقال بعضهم : " انما سمى " صفرا " لاصفارهم مكة من أهلها اذا سافروا ٠

* ويقال : شهر ربيع الأولِ ، الخفض[1] والرفع فى

= ومعنى " عن تربعهم " أى حلولهم زمن الربيع فيه ٠ وانما قال فى كل أصفار ، لأن صفرا كان فى الربيع يومئذ ٠ وقيل معناه : حين ينصفر الماء أى يذهب ويترَّل الشجر أى يقطر ويبرد الليل ، وذلك آخر الصيف " انتهى ٠ وفى اللسان مادة " صفر " سموا الشهر صفرا ، لأنهم كانوا يغزون فيه القبائل فيتركون من لقوا صفرا من متاع " ٠ وفى اللسان أيضا فى مكان آخر ، وقال بعضهم انما سمى صفرا لأنهم كانوا يتمارون الطعام فيه من المواضع ٠ أما حكاية الفراء عن بعضهم أن الصفرية " سفرة لهم كانوا يسافرونها ٠ فليست فى المعاجم انظر كتاب هامش الأيام ص ١٠ ٠

(١) الخفض من مصطلحات الكوفيين ويسمية البصريون الجر ٠

"الأول" فمن رفعه رده على "الشهر" ومن خفض رده على "ربيع" .

وكذلك التثنية ، تقول : هذان شهرا ربيع الأولان ، والأول . والجمع شهور ربيع الأوائل والأول .

وانما سمى "شهر ربيع" لأن العرب كانوا يرتبعون فيه ، .... لارتباعهم فيه ورعيهم العُشْب سمى "ربيعا" . وهو فعيل بمعنى مفعول ، تقول : ربع فهو ربيع .

* ويقال : جُمادى ، والتثنية جماديان ، والجمع : جُماديات .

قال الفراء : —

هكذا جاء عن العرب بضم الجيم لا غير ، ولو جاء : (جِمَاد) بالكسر كان صوابا مثل قولك : عِطاش وكِبال ، وبالضم جمادى كعُطاشى وكُسالى : وبالفتح : جَمادى مثل : عطاشى وكَسالى .

قال الفراء : —

والشهور كلها مذكرة ، تقول : هذا شهر كذا الا "جماديين" فانهما مؤنثان ، لأن "جمادى" جاءت على بنية (فُعالى) و "فَعالى" لا تكون الا للمؤنث ، تقول : هذه جمادى الأولى . وهذه جمادى الآخرة .

قال أحيحة بن الجلاح : (١)

اذا جُمادى منعَتْ قطرهـا

زانَ جنابىَّ عطَنٌ مُعصِف (٢)

يعني : نخلا : يقول : اذا لم يكن المطر الذي يكون منه العشب فترين أعطنة الناس ابلهم فان جنابى مُزَيَّنٌ لى بالنخل الذي فاتته جمادى .

والعطن : مبارك الابل ، ومقام الحمر حول الماء ، فجعلها للنخيل ألا تراه قال : معصف " أي الذي له عصف .

---

(١) هو أحيحة بن الجلاح بن الحريش من أبناء كُلْفَة بن عوف انظره : جمهرة أنساب العرب ص ٣٣٥ . ونسب الجوهرى البيت المذكور لأبى قيس بن الأسلت الأنصارى . أيضا .

(٢) هذه رواية في البيت ، والجناب : الناحية ، والعطن : مبارك الابل والنعم ، ومعصف من العصف وهو ورق الزرع وانما أراد : خوص سعف النخل وفي البيت رواية أخرى هي :

زان جنانى عطن مغصف .

والجنان : جمع جنة ، وأراد بالعطن هنا : نخيلة الراسخة في الماء الكثيرة الحمل .

ويقال : أغضف العيش : اذا نعم ورغد .

قال الفراء :

فان سمعت تذكير " جمادى " فى شعر فانما يذهب به الى شــــهر ويترك لفظـه • (١) وانما سميت " جمادى لجمود (٢) الماء فيها •

* ورجب ، ورجبان ، والجمع : أرجاب ، ورجبات على أفعــال وفعلات ورجـاب على فعال •

وانما سمى " رجبا " لترجيبهم آلهتهم ، أى لتعظيمهـــم اياها •

والترجيب : التعظيم ــ وهو أن يعظموا آلهتهم ويذبحوا عنها •

---

(١) راجع المصباح المنير مادة جمد ص ١٠٧ ط / دار المعــارف ١٩٧٧م وفيه عن ابن الانبارى : فان جاء تذكير جمــادى فى شعر فهو ذهاب الى معنى الشهر كما قالوا : هذه ألــف درهم على معنى هذه الدراهم وقال الزجاج : (جمــادى) مؤنثة والتأنيث للاسم فان ذكرت فانما يقصد بها الشهر وهـى غير موصوفة للتأنيث والمثنية والجمع على لفظها (جماديــات) والأولى والآخرة صفة لها فالآخرة بمعنى المتأخرة • قالوا : ولا يقال : (جمادى الأخرى) لأن الأخرى بمعنى الواحدة فتتناول المتقدمة والمتأخرة فيحصل اللبس فقيل الآخرة لتختـــص بالمتأخرة •

(٢) المرجع السابق ص ١٠٨ •

قال سلامة بن جندل * (١)

والعاديات أسابيُّ الدماء بهـا
كأنّ أعناقها أنصابُ تَرجيب (٢)

وقال الكميت :
ومن غيرهم أرضى لنفسي شيعةً
ومن بعدهم لا من أُجِلُّ وأُرجِّبُ (٣)

وقال الأنصاري يوم سقيفة بني ساعدة : " أنا جُذَيْلها المُحَكَّك وعُذَيْقها المُرَجَّب ، أي أنا المعظم المكرم ، وانما صغر فقال : جذيلها وعديقها ، لأنه ذهب بهما الى المدح ، وشبه نفسه

---

(١) هو سلامة بن جندل من بني عامر بن عبيد الحارث جاهلي قديم من فرسان تميم المشهورين ترجمته في الشعر والشعراء ج ١ ص ٢٧٨ .

(٢) الأسابي : الطرق من الدماء ، الواحدة : أسبية ، والأنصاب جمع نصب الذي كانوا يعبدونه ويرجبون له العشائر ، ويحتمل أن يراد بها نصب من العود والنخلة الرجبية ، وفي اللسان شبه أعناق الخيل بالنخل المرجب ، وقيل شبه أعناقها بالحجارة التي تذبح عليها النسائك ، وفيه تفيران أحدهما انه شبه انتصاب أعناقها بجدار ترجب النخل والآخر أن يكون أراد الدماء التي تراق في رجب . (٣) أرجب: أهاب وأعظم ونسب البيت للحباب بن المنذر أيضا .

بالجدل وهو أصل شجرة ـ قد ذهب فرعها وبقى أصلها ، وجمعه أجدال على وزن " أفعال " ومعنى ذلك أن الابل " الجربى " اذا مرت أحتكت به تشتفى مما بها من الألم .

وقال بعضهم : انما سمى " رجبا " لترجيبهم الرماح من الأسنة لأنها تنزع منها ، فلا يقاتلون فيه .

* وشعبان : يجمع شعابين ، وشعبانات " وانما سمى " شعبان لتشعب القبائل فيه وتفرقها .

ويقال : انما سمى " شعبان " ، لأنه شعب بين رمضان ورجب .

* ورمضان يجمع " رمضانات ، ورماضين ، لأكثر العدد " وأرمضة لأقل العدد . وان قلت : أرماض جاز . (١)

وانما سمى " رمضان " لرموض الحر وشدة وقع الشمس فيه وقال بعضهم : لارتماض الأرض بالحر .

ويقال : هذا شهر رمضان ، وهذا رمضان بلا ذكر " شهر " قال الله تعالى : ـ ولا حذف فيه : ((شهر رمضان)) (٢)

---

(١) ومما زادوه : أرمضاء ، وأرمضا .
(٢) سورة البقرة من الآية ١٨٥ .

ثم قال الشاعر (١) فحذف : ـ

أبيض أخت بني ابـــاض جارية في رمضان الماضـــي
تقطع الحديث بالإيماض

أي انها اذا ابتسمت ، وكان الناس على حديث قطعوا حديثهم ونظروا الى حسن ثغرها .

وقال أبو جعفر الرواسي (٢) : روى عن المشيخة أنهم يكرهـون أن يجمع رمضـان دون الشهر ، ويقولون : شهر رمضان : وشـهرا رمضان ، وشهـور رمضان ويقـول : بلغني أنه اسـم مـن أسماء اللـه جـل وعز .

* وشوال : يجمع : شواويـل ، وشواول ، وشوالات . وانمـا سمى " شوالا " لشـولان النوق فيـه بأذنابهـا اذا حملت ، أي لرفعها أذنابها .

---

(١) هو العجاج الرجاز المشهور واسمه عبد الله بن رؤبـة من بـني مالك بن سـعد بن زيد وكنيتـه أبو الشعثاء . ترجمته في الشـعر والشعراء ج ٥ ص ٥٩٥ .

(٢) هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن أبي سـارة الكوفي أسـتاذ الكسائي والفراء ولقب بالرواسـي لكبر رأسه توفي سنة ١٩٠ هـ . بغيـة الوعاة ج ١ ص ٨٢ ـ ٨٣ .

وقال بعضهم انما سمى " شوالا " لأن الألبان تشول فيــــه أى تقل .

يقال : شال اللبن يشول شـولا وشـؤولا ، اذا قل . قـال الشاعر :

كيف تقولُ طلبـى (١) رجَـــالا
غدوْا عجالا واستقـوْا أَوْشَـالا ؟ (٢)

وواعدوا أهلهــم الهـــلالا
هــلالَ ذى القَعْـدة أو شــوَّالا

* وذو القعدة . والتثنيـة : ذوا القعدة ، والجمـع : ذوات القعدة .

وانما سمى " ذا القعدة " لقعودهم فى رحالهـم عن الغــزو لا يطلبون كلأً ولا ميـرة .

* وذو الحجـة : والتثنية : ذوا الحجة ، والجمع : ذوات الحجة .

وانما سمى " ذا الحجـة " لأنهم يحجون فيه .

---

(١) فى الكلام حذف تقديره : كيف تقول فى طلبى رجالا الى آخره حتى تصح رواية البيت . أو أن فعل القـول هنا مضمور معـــنى الذكر ويجوز أن — يكون هو البيت المخبر عنه طلبى لم يذكـــر راجع هامش كتاب الأيام ص ١٤ .

(٢) الأوشال : جمع وشـل وهو الماء القليل يتحلب من صخرة أو جبل يقطر قليلا قليلا ولا يتصل قطره .

قال : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة (١) عن شبابة (٢) ، عن ورقاء (٣) عن ابن أبى نجيح (٤) ، عن مجاهد (٥) : (فلا رفث) (٦) قال : جماع النساء (ولا فسوق) : المعاصى . (ولا جدال فى الحج) قال : لا شهر ينسأ . ولا شك فى الحج . قد تبين .

قال : كانوا يسقطون " المحرم " يقولون : صفرين لصفر ، وشهر ربيع الأول ، ثم يقولون : شهرى ربيع لشهر ربيع الآخر ولجمادى الأولى . ثم يقولون لرمضان : شعبان ، ويقولون لشوال : رمضان — ويقولون لذى القعدة : شواله . ويقولون لذى الحجة : ذا القعدة ثم يقولون " للمحرم : ذا الحجة فيحجون فى المحرم ثم يأتنفون فيعدون على ذلك سنة مستقبلة على وجه ما ابتدأوا . فيقولون : المحرم فيحجون فى المحرم فى شهر مرتين ثم يسقطون شهرا آخر ، يعدون على العدة الأولى ثم يقولون : صفر ، وشهر ربيع الأول على نحو عدتهم فى أول ما أسقطوا " انتهى .

(١) هو أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى شيبة امام حافظ كوفى توفى سنة ٢٥٠ هـ .
(٢) امام محدث واسمه : أبو عمرو شبابة بن سوار الفزارى توفى سنة ٢٥٦ هـ .
(٣) هو أبو بشر ورماء بن كليب الشكرى امام محدث أيضا .
(٤) هو عبد الله بن ابى نجيح يسار الثقفى . توفى سنة ١٣١هـ .
(٥) هو مجاهد بن جبر المكى أبو الحجاج مات سنة ١٠٢ هـ .
(٦) سورة البقرة من الآية ١٩٧ .

ترجمة المبرد

أبو العباس المبرد

نسبه :

هو محمد بن يزيد بن عبد الاكبر بن عمير بن حسان بن سعد بن عبد الله بن يزيد بن مالك بن الحارث ابن عامر بن عبد الله بن بلال بن عوف بن أسلم — وهو ثمالة — بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث وثمالة منزلهم قريب من الطائف وهو أهل روية وعقول " (١).

أسرته :

كان المبرد من السورجيين بالبصرة ممن يكسر الأرضين ، وكان يقال له : حيان السورجيّ وانتمى إلى اليمن ، ولقد تزوج ابنة الحفصي ، والحفصي شريف من اليمن " (٢).

ولادته ووفاته :

أكثر المؤرخين على أنه ولد سنة ٢١٠ هـ وقيل

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ص ١٠١ ، ومقدمة المقتضب ص ٦ ومراتب النحويين ص ١٢٥ ، والعقد الفريد ج ٣ ص ٢٨٦ واخبار النحويين والبصريين ص ١٠٤ — ١١٣ .

(٢) الفهرست ص ٨٨ .

٢٠٧ هـ ، وتوفى سنة ٢٨٥ هـ وقيل سنة ٢٨٦ هـ وقال في مراتب النحويين توفى في سنة ٢٨٢ هـ .
وعلى ذلك لم يدرك الخليل الذي توفى سنة ١٧٠ هـ [1] ، وكانت ولادته بعد وفاته بأربعين سنة تقريبا .

اسمه والنطق بـه .

يروى ابن خلكان ضبطه بضم الميم وفتح الباء والراء المشددة والدال المهملة ، لأنه اختفى في المزمَّلة في منزله بنصيحة أبى حاتم السجستاني الذي نادى على المزمَّلة المبرد وتسامع الناس بذلك فلهجوا بـه .
وقيل : إن الذي لقبه بهذا اللقب شيخه أبو عثمان المازني
وقيل : غير ذلك .
وابن هشام المصحفي يضبط الراء بالفتح أيضا ، ولقب المبرد بذلك لحسن وجهه يقال رجل مُبَرَّد ومبتسم ومحسن اذا كان حسن الوجه .

وابن عبد ربه يعلل فتح رائه لسوء اختيار المبرد للشعر البارد في كتابه الروضة " [2]

والسيرافى يضبطه بكسر الراء بمعنى المثبت للحق ، ولكن

---

(١) طبقات النحويين ص ٥١ .
(٢) العقد الفريد ص ٧٧ .

الكوفيين غيروا ذلك وفتحوا الراء " (١).

ولقد أراد المبرد أن يهون على نفسه مثل هذه الألقاب التي تشعر بالذم فقال :

لا تكرهنّ لقبا شُهرتَ به

فلربَّ محظوظٍ من اللقب

قد كان لقب مرة رجل

بالوائلي فعُدَّ في العَرَب

واشتمال لقبه على حروف (ب ر د) كانت مثار فكاهات سمعها المبرد فتقبلها وأحيانا ضاق صدره بها .

ولقد ظهر هذا الخلاف في المحدثين (١) حيث تشدّد الشنقيطي في كسر الراء ، وأنشد في ذم فتحها فقال :

والكسر في راء المبرد واجب .:. وبغير هذا نطق الجهلاء

فالنطق السليم بكسر الراء ، وفتحها استخفاف وتهكم بعالم جليل . (٢)

---

(١) المزهر ٢/٢٦٧ .

(٢) مجلة الرسالة العدد ٢٠٥ .

(٣) مقدمة المقتضب ص ١٠ ، ١١ .

نشـأته وحياته :

نشأ بالبصرة وعاش بها ، ثم طلب الى سُرّ من رأى من الخليفة المتوكل ، وحضر مجلسه ونال عطاياه، ولما قتل المتوكل سنة ٢٤٧ هـ رحل المبرد الى بغداد ، وصار له بعد ذلك حلقة عظيمة وحدث بينه بين ثعلب نوع من الغيرة ، لظهور أمره في بغداد وانتشار ذكره في الآفاق وأصبح علما يشار إليه بالبنان .

صفاتـه :

كان وسيم المنظر ، ظريف الطبع ، خفيف الروح ، مليح الأخبار ، كثير النوادر ، غزير العلم كثير الحفظ ، حسن الاشارة غزير الأدب ، فصيح اللسان ، رائع البيان ، كريم العشرة ، بليغ المكاتبة ، حلو الخطاب ، جيد الخط ، حاضر القريحة واضح الشرح ، عذب المنطق ، كثير الأمالى والطرائف جلساته ذات أبرق ووقار تليق بكرم العلم وعظمته .

قوة حجتـه فى النقاش :

تحدث الزجاج عن أول لقاء له مع المبرد حيث سأله بسؤال ، فأجاب بجواب أقنعه ، ثم أوهن جواب المسألة وأفسده ، والزجاج مندهش لا ينطق ، ثم صحح الجواب الأول

وأوهن ما كان أفسده ، فبقى الزجاج مبهوتا ، ثم قال الزجاج في نفسه قد يكون حافظا لهذه المسألة مستعدا للقول فيها فسأله عن مسألة ثانية ففعل المبرد ما فعله في المسألة الأولى حتى سأله أربع عشرة مسألة يجيب عن كل واحدة منها بما يقنع ثم يفسد الجواب ثم يعود الى تصحيح القول الأول .

وكان المبرد لا يُعَلِّم مجانا ، ولا يعلم بأجره الا على قدرها ، فكان يأخذ من الزجاج درهما على كل يوم ويعلمه من أول النهار الى آخره .

قال القفطي " وكان المبرد ممسكا بخيلا (١) ، وقال ابن عبد الملك (٢) : كان المبرد من أبخل الناس بكل شئ ، وكان مقتصدا في زيه وملبسه .

توثيقه :

المبرد عالم ثقة ، وثقه العلماء ، وأصحاب الجرح والتعديل فكان ثقة ثبتا فيما ينقله حافظا للغة ، في سعة وقوة ، ولذلك روى عنه قوله : ربما رأيت في الحرف سنة لتصح لى حقيقته ويقول أيضا : لا أتقلد مقالة متى لزمتني الحجة .

---

(١) مقدمة المقتضب ص ١٦ .

(٢) الزبيدى ص ١١٤ .

وقد ذكر الانبارى (١) وغيره هذه القصة العجيبة فقال :

" قال أبو عبد الله المفجع : كان المبرد لعظم حفظه اللغة واتساعه بينهم ، فتواضعنا على مسألة لا أصل لها نسأله عنها لننظر كيف يجيب ؟ وكنا قبل ذلك تمارينا في عروض بيت الشاعر :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا

حنانيك بعض الشعر أهون من بعض

فقال قوم : هو من البحر الفلاني ، وقال آخرون هو من البحر الفلاني فقطعناه وتردد في أفواهنا من تقطيعه (ق بعضنا) فقلت له أيدك الله تعالى . (ما القبعض) عند العرب ؟ فقال : القطن يصدق من ذلك قول الشاعر :

كأن سنامها حشى القبعضا

قال : فقلت لأصحابي : ترون الجواب والشاهد ، ان كان صحيحا فهو عجب ، وإن كان اختلق الجواب في الحال فهو أعجب .

وهذه القصة يبدو فيها الوضع والانتحال ، فضلا عن أن المفجع من أصحاب ثعلب ، وكان شيعيا وشاعرا ماجنا ، فاحشا ، فلا عبرة بكلامه ، لظهور الكذب منه .

(١) معجم الأدباء جـ ١٩ ص ١١٣ .

شعره :

المبرد فيه قريحة الشعراء ، فكان ينظم الشعر في المناسبات المختلفة ويبدو على شعره السهولة وحسن الصياغة وجمال العبارة من ذلك ما حكاه المرزباني في معجم الشعراء (١) أنه دخل على الخليفة المتوكل فقال له يا بصرى : رأيت أحسن وجها منى ؟ فقلت ولا أسمح راحة ثم تجاسرت فقلت .

جهرت بحلفة لا أتقيها
لشك في اليمين ولا ارتياب
بأنك أحسن الخلفاء وجها
وأسمح راحتين ولا أحابي
وأن مطيعك الأعلى جدودا
ومن عاصاك يهوي في تباب

فقال لى : أحسنت وأجملت في حسن طبعك وبديهتك .

ومثال ذلك أيضا كما جاء في العقد الفريد (٢)

يا عليلا أفديك من ألم العلة هل لى في اللقاء سبيل
ان يحل دونك الحجاب فما يحجب عني بك الضنى والعويل

(١) ص ٤٤٩ .
(٢) ٤٥١/٢ .

فشعره نقي الديباجة ، ناصع الأسلوب ، يبدو عليه التأثر من كتب اللغة وهو شعر في المناسبات .

شيوخه :

تلقى العلم عن أشياخ عصره ، فبدأ بقراءة كتاب سيبويه على الجرمي وختمه على المازني ويقول عن الجرمي كان أغوص على الاستخراج من المازني وكان المازني أحد منه ويقول : لو لم يكن بعد سيبويه أعلم من أبي عثمان بالنحو ، وتردد اسم المازني ما يزيد على عشرين موضعا في المقتضب .

وكان من شيوخه أبو حاتم السجستاني قال عنه المبرد[1] جئت السجستاني وأنا حدث فرأيت بعض ما ينبغي أن تهجر له فتركته مدة ، ثم حدث اليه .

والتَوَّزي الذي قال عنه[2] : ما رأيت أحدا أعلم بالشعر من أبي محمد التَوَّزي ، وقد تضمنت كتب الأدب روايات كثيرة للمبرد عن التَوَّزي .

وكذلك الرياشي قال عنه[3] : أول ما سمعت الرياشي ينشد شعرا لمالك بن أسماء بن خارجه .

(١) أخبار البصريين ص ٧٠ . (٢) المصدر نفسه ص ٦٥ .
(٣) وص ٦٩ .

يا ليت لي خُصًّا بداركم ... بدلا بداري في بني أسد
الخصّ فيه تقرّ أعيننا ... خير من الآجُرّ والكمد

وقال أيضا : سمعت المازني يقول : قرأ الرياشي على كتاب سيبويه فاستفدت منه أكثر مما استفاد مني " .

وكذلك الجاحظ فقد ظل المبرد على صاحبه الى آخر أيام حياته .

وكان دائم القراءة للشيوخ السابقين مثل كتابي عيسى بن عمر ، وأثر كتاب سيبويه فيه لا يحتاج الى برهان ، وكانت له نسخة نفيسة من الكتاب خاصة به ، كما كان له سماع عن العرب ظهر في كتابه الكامل [1] بقوله : سمعنا العرب . كما كان له صلاته القوية بشعراء عصره ، يروى عنهم شعرهم . فقد روى عن البحتري شعره ، وكان بينهما صداقة وثيقة وكان كثيرا ما يقول أنشدني البحتري أو أنشدني عبد الصمد ابن المعذل ، وأنشدتني أم الهيثم ، وأنشدني أبو دهمان لنفسه فأستفاد المبرد من معاصريه استفادة كبيرة .

(١) جـ ٥ ص ٩٤ .

المنافسة بين المبرد وثعلب

امتاز المبرد - كما ذكرنا - بحسن العبارة ، وحلاوة الاشارة وفصاحة اللسان ، وقوة البيان ، وثعلب كان أسلوبه يسير على طريق المعلمين ، غير متأنق في عبارته ، فاذا اجتمع مع المبرد في محفل حكم للمبرد بالتقدم والتفوق .

وكان بعض الناس يحب أن يذكي روح المنافسة بينهما ، ويشعل نار العداوة حتى لا تخمد ، وظهرت الوشايات بين الرجلين فقد جاء رجل الى ثعلب يقول له : يا أبا العباس قد هجاك المبرد فقال : بماذا فأنشده .

أقسم بالمبتسم العذب ∴ ومشتكى الصب الى الصب
لو أخذ النحو عن الرب ∴ ما زاده الا عمى القلب

فقال أنشدني من أنشده أبو عمرو بن العلاء

يشتمني عبد بني مسمع
فصنت عنه النفس والعرضا
ولم أجبه لاحتقاري له
من ذا يعض الكلب ان عضا (١)

فأصبح لكل من الرجلين الكبيرين أعوان وأنصار ،

(١) الامالي جـ ١ / ص ٤ ومعجم الأدباء ٥ / ١٣٦ .

حتى اشتدت المنافسة بينهما فكان ثعلب يرسل تلاميذه ليفضوا حلقة المبرد في المسجد أول قدومه بغداد ، لانه لفصاحته وعلو كعبه في البيان أقبل تلاميذ ثعلب على المبرد ، وبعضهم ترك ملازمته كالزجاج حتى أن زوج ابنته أحمد بن جعفر النحوي كان يخرج من منزله ويتخطى دار ثعلب ويمضي الى المبرد ليقرأ عليه كتاب سيبويه ، فيعاتبه على ذلك قائلا : اذا رآك الناس تمضي الى هذا الرجل وتقرأ عليه وتتركني يقولون ماذا ؟ ومع ذلك استمر على ذلك ولم يلتفت الى كلامه" (١) .

ولقد ألفت كتب لنصر كل من الرجلين فهذا ابن دروستوية يؤلف كتابا للرد على ثعلب " (٢)

وللزجاج رد على ثعلب ، وألف أحمد بن فارس لثعلب وكذلك فعل أبو بكر بن الأنباري ، كما كثرت المنافسات والاجتماعات بينهما في المسائل النحوية وغيرها في دار محمد بن طاهر ومن انتصر من الشعراء للمبرد أحمد بن عبد السلام حيث قال :

وكان الشعر قد أودى فأحيا
أبو العباس داثر كل شعر
وقالوا ثعلب رجل عليم
وأين النجم من شمس وبدر

(١) معجم الأدباء ٥/١٢٠ ، وج ٢ ص ٢٣٩ .
(٢) الفهرست ص ٩٤ .

وقالوا ثعلبٌ يفتى ومملى

وأين الثعلبان من الهزبر

وهذا فى مقالك مستحيل

تشبه جدولا وشلابحر

ولقد روى أن ثعلب نال من المبرد بكلام قبيح فبلغ ذلك المبرد فأنشد .

رب من يعنيه خالى .·. وهو لا يجرى ببالى

قلبه ملآن منى .·. وفؤادى منه خالى

فلم يرد عليه ثعلب ، ويظهر أن المنافسة بينهما هدأت وفترت وكل منهما بعيد عن صاحبه لا تزاور ولا لقاء .

علم المبرد :

شهد العلماء الأكفاء والمعاصرون للمبرد على ثعلب بالتمكن فى النحو والأدب حتى قال ختنه محمد بن يزيد أعلم بكتاب سيبويه من ثعلب ، لأنه قرأه على العلماء وأما ثعلب فقرأه على نفسه [1] ، وابن السراج يقول فيهما ما أقول فى رجلين العالم بينهما [2] وقال الصولى [3]

---

(١) الزبيدى ص ١٥٦ .
(٢) معجم الأدباء ١٣٨/٥ .
(٣) من أخبار أبى تمام ص ٨ .

ومن جليل من رأينـاه وأكثـر ناعتـة ممـن بعد صيتـه ووقـع الاجماع عليـه اثنان : أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدى وأبو العباس بن يحيى الشيبانى رحمهما الله .

وقال أبو بكر بن أبى الأزهر : (١)

أيا طالب العلـم لا تجهلـن
وعذ بالمبرد أو ثعلـب
تجد عند هذين علم الـورى
فلا تـك كالجمـل الأجـرب
علـوم الخلائق مقرونـة
هذين فى الشـرق والمغـرب

وأثـنى المبرد على ثعلب فقال : أعـلم الكوفيين ثعلب فذكر له الفراء فقال : ولا يعشـره " (٢)

وقد أخذ عن المبرد وثعلب كثير من الأدباء ، وكثير مـن العلماء منهم على بن سليمان الأخفش ، وابن كيسـان ونفطويـه ، ومحمد بن ولاد ، ومحمد بن يحيى الصولى ، وابن اسحاق الوشاء ، وعبد الله بن المعتز .

رحم الله المبرد فقد كان علما يشار اليـه بالبنـان .

---

(١) وفيات الأعيان ٣/٤٤١ .
(٢) نزهـة الألباب ص ٢٩٥ .

تلامذة المبرد :

أبرز تلامذته الزجاج ، واليه انتهت رياسة النحو البصرى بعد المبرد ، واسند اليه شرح بعض الكتب ورجا أنه يغنى بذلك .

والأخفش على بن سليمان ، وله أثره فى شرح الكامل ، وله روايات كثيرة عن أستاذه المبرد .

وأبو بكر بن السراج . قرأ كتاب سيبويه عليه ، وهو أحدث أصحاب المبرد .

ومحمد بن جعفر وهو ختن ثعلب ، الذى آثره على صهره وأخذ عنه ولازم حلقته .

وأبو بكر بن أبى الأزهر ، وهو مستملى المبرد .

وابو كيسان وأخذ عنه وعن ثعلب ، وخلط بين المذهبين البصرى والكوفى .

وأبو الحسن عبد الله بن سعفان النحوى وذكر انه انتفع بكثير من علمه . (١)

وأبو بكر بن شقير ، وأبو بكر بن الخياط ، وأبو بكر محمد بن على المعروف بمبرمان . (٢)

(١) انظر فى ذلك معجم الأدباء ١٤٩/١ وجـ١٨ صـ ١٩٧ والامالى جـ ١ صـ ٣١ والفاجبى ٥٧ .
(٢) أخبار البصريين صـ ١٠٥ .

وكان عالما ثقة نقل عنه تلامذ ، أصبحوا مضرب الأمثال فى كل مكان فى حرية علمية ، وبعد عن العصبية ، فكان علمه فيه اعتزاز وشموخ لا تكبر وعصبية .

تقدير أهل العلم له :

قال السيرافى انتهى علم النحو بعد طبقة الجرمى والمازنى إلى أبى العباس بن يزيد الأزدى (١) وهو من ثمالة قبيلة من الأزد ، وقال أيضا : سمعت أبا بكر بن مجاهد أحسن جوابا من المبرد فى معانى القرآن فيما ليس فيه قول لمتقدم ولقد فاتنى منه علم كثير لقضاء ذمام ثعلب (٢) .

وقال عنه نفطويه : ما رأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيد منه .

وقال عنه ابن جنى : (يعد جبلا فى العلم ، واليه أفضت مقالات أصحابنا ، وهو الذى نقلها وقررها ، وأجرى الفروع والمقاييس عليها " (٣) .

وقال الأزهرى فى مقدمة التهذيب : وكان محمد بن يزيد أعذب الرجلين بيانا ، وأحفظهما للشعر المحدث ، والنادرة الطريفة والأخبار الفصيحة ، وكان أعلم الناس بمذهب البصريين فى النحو ومقاييسه وقال البحترى فى مدح المبرد .

(١) أخبار البصريين ص ١٠٥ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٠٨ .
(٣) سر الصناعة ١/ ١٣٠ .

ما نال ما نال الأمير محمـــد
الا بيمـن محمد بن زيـــد

ومنو ثالة أنجـم مســـعورة
فعليك ضوء الكوكـب المسعود

وقد مدحه ابن الرومى بقصيدة طويلة ومطلعها ٠

طرقت أسماء والركـب هجـــود
والمطايا صـح الأذواد رقود

كما مدحـه شعراء آخرون مثـــل أبو بكر الأزهرى وكتاب أخبار النحويين والبصريين فيـه كثير من ذلك ٠

* * *

المبرد والشعر

كان لامبرد حاسته الأدبية وكان يعرض الشعر ويتذوقه ، والنقد دائما يأتى بعد الابداع ، فكان نقادة للشعر يعرف جيده من سقيمه ، ونقده شامل المعنى ، واللفظ والاعراب ونحو فقد عاب على الفرزدق قوله " (١) .

يا أخت ناجيه بن سان اننى
أخشى عليك بنى ان طلبوا دمى

فقد قال : ما للمتغزل وذكر الأولاد ، والاحتجاج بطلب التارات ، هلا قال كما قال جرير .

قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

وهذا نقد عال لا يصلح اليه الا من تمكن من الأدب ، وزوق الشعر .

كما عاب على شعر أبى نواس وذمه قوله فى الرشيد " (٢)

لقد اتقيت الله حق تقاته
وجهدت نفسك فوق جهد المتقى

وقوله :

وأخفت أهل الشرك حتى انه
لتخافك النطف التى لم تخلق

---

(١) الوشح ١١٥ وديوانه ٧٧٨ . (٢) الديوان ١٤٥ .

ففى البيتين مبالغة مذمومة ، وكل منهما بادى للعوار حسيرا .

كما أنكر عليه قوله :

يا أحمد المرتجى فى كل نائبة
قم سيدى نعص جبار السموات (١)

فهذا البيت أعظم جرأة ، وأقبح مجاهرة ، وأشد بغضا الى العزيز الجبار بالدعوة الى عصيانه سبحانه .

كما نقد قول محمد بن يسير نقدا لغويا ، ووسمه بالخطأ حيث قال .

ولو قنعت أتانى الرزق فى دعة
ان القنوع الغنى لا كثرة المال (٢)

لأن القنوع انما هو السؤال ، والقانع السائل ، قال الله تبارك وتعالى " فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر " فالمعتر الذى يتعرض ولا يسأل ، يقال قنع يقنع قنوعا اذا سأل فهو قانع لا غير ، واذا رضى قيل : قنع قناعة فهو قنع وقانع جميعا .

ونقد من جهة النحو قول سليمان بن عبد الله بن طاهر لنفسه .

(١) الديوان ٢٥٠ - (٢) الموشح ٢٩٩ .

وقد مضت لي عشرونان ثنتان [1]

فقال هذا لحنٌ ، لأن الاعراب لايدخل على الاعراب .

وقد أفرد كتاب (الروضة) للشعراء المحدثين ، مستحسنا معانيهم ذاكرا حلاوة كلامهم ، لأن المعاصرة عنده مع الاجادة ، لا تهجن العمل ، وانما ترفعه وتعليه ، ومدح أبي تمام والبحتري وأشاد بهما ، وكثيرا ما نقل أبياتهما مستعرضا ما فيهما من ابداع ومعان جيدة ، كما وضح رأيه في الشواعر ، وحكم للخنساء وليلى بالتقدم على كثير الفحول من الشعراء ، فالمبرد كانت مقدرته الأدبية ، والعلمية واضحة ، وعطاؤه كثير .

(١) الموشح ٢٦٢.

(المبرد وفقه اللغة)

قد أكثر المبرد في الكامل من التعرض لاشتقاق كثير من الكلمات اللغوية ، كما عني بدوران المادة حول معنى واحد ، سابقا ابن جني في ذلك مثل ، الجنين وهو مالم يظهر بعد يقال للقبر جن والجنين الذي في بطن أمه ، والمجن الترس لأنه مشترك ، والمجنون المغطى العقل ، ويسمى الجن جنا لاختفائهم وتسمى الدروع الجن ، لأنها تستر من كان فيها " (١)

وأيضا : وإياك والغلق والضجر " الغلق : ضيق الصدر وقلة الصبر ، يقال في سوء الخلق رجل غلق ، وأصل ذلك من قولهم : أغلق عليه أمره اذا لم يتضح ، ولم ينفتح ، ومن ذلك قولهم : غلق الرهن : أي لم يوجد له تخلص ، وأغلقت الباب من هذا " (٢).

وعني بهذه الظاهرة أبو الفتح في الخصائص ، وألف أحمد بن فارس كتابه (مقاييس اللغة) لتطبيق هذه الظاهرة في مواد اللغة .

وكتابه (ما اتفق لفظه واختلف معناه) له صلة بمباحثه فقه اللغة .

---

(١) الكامل ٣/٢٣ .
(٢) الكامل ١/٨٩ .

كتب المبرد :

ترك المبرد كتباً كثيرة تناولت فروع المعرفة ، وقد ذهب الكثير من هذه الكتب وبقى بعضها ، وهو نفيس مفيد منه :

١ — الكامل :

حقا إنه خير معبر عن ثقافة المبرد ومعارفه اللغوية والنحوية والأدبية ونحو ذلك وهو مشهور لدى أهل المعرفة العربية واشتغلوا به شرحا ودرسا ونقدا وتحقيقا وهو جم الفوائد عظيم المنافع ، فى كل فروع العربية نقده على بن حمزة واستدرك عليه ، فالكمال لله وحده .

ظهر الكامل فى جزئين طبع المطبعة الأميرية ثم جاء بعد ذلك الشيخ سيد بن على المرصفى علق عليه تعليقات واسعة ، وسمى ذلك " رغبة الآمل من كتاب الكامل " ، وكان للمرصفى نقد على الكتاب من النواحى اللغوية والرواية ، وشرح الشعر والتاريخ ونسبة الشعر وأورد مؤاخذتين نحويتين ج ٢ ص ٢٨ ، ولكنهما غير دقيقتين .

والكامل شامل للنحو ، والأدب والبلاغة ، وفيه قصص وتاريخ وعبر ومواعظ فهو موسوعة زاخرة بألوان المعرفة .

٢ — ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد .

رسالة نشرها الأستاذ عبد العزيز الميمنى بالمطبعة السلفية

سنة ١٣٥٠ هـ ، صدرها المبرد بقوله :
هذه حروف ألفناها من كتاب الله عز وجل مختلفة المعاني متناوبة في القول ، مختلفة الخبر ثم يقسم اللفظ الى مشترك ومترادف ، ومتباين ونحو ذلك .
والكتاب صورة جيدة لمقصود مؤلفه .

٣ — نسب عدنان وقحطان .

وقد نشره بمطبعة التأليف والنشر والترجمة بتحقيق الأستاذ الميمنى أيضا سنة ١٩٣٦ م .

٤ — أعجاز أبيات .

رسالة صغيرة بمكتبة الأزهر تشمل ٨٤ عجزا ، ونشرت هذه الرسالة بمطبعة لجنة التأليف بتحقيق عبد السلام هارون سنة ١٩٥١ في المجموعة الثانية من نوادر المخطوطات .

٥ — شرح لامية العرب .

شرح للقصيدة اللامية للشنفرى ، وطبعت بمطبعة الجوائب .

٦ — المقتضب .

ألفه المبرد فى زمن شيخوخته بعد اكتمال نضجه العقلى ولذلك كان أنفس مؤلفاته وقد حققه العلامة الشيخ محمد عبد الخالق عظيمة ونشر سنة ١٩٦٣ م لجنة احياء التراث الاسلامى بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

وهناك كتب للنبرد لم تنشر مثل المذكر والمؤنث ، والتعازى والمراثى والروضة ، وكتب أشارت اليها المراجع وهى غير موجود ، مثل الشافى ، الفتن والمحن ، الاشتقاق ، الأزمنة ، الاختيار ، شرح ما أغفله سيبويه وقد ورد ذكره فى
الاعراب ، أدب الجليس ، التصريف ، ضرورة الشعر ، قواعد الشعر ، المدخل الى سيبويه ، وله كتاب فى غريب الحديث معانى القرآن ، ويعرف بالكتاب التام ٠

* * *

(مسائلُ الغلط أو رَدُّ المبردِ على سيبويه)

نقد المبرد كتاب سيبويه نقدا يرد على النواحي الاعرابيه وفي الرواية والاستشهاد وفي التأويل وفي التعبير ، وأحيانا يصرح بأن هذا النقد هو رأي الأخفش أو الجرمي أو المازني وقد بلغت مسائل نقده لكتابه مائة وثلاثا وثلاثين مسألة ، وليس كل نقده مصيبا فيه ففيه الخطأ ، وقد رَدَّ ابن ولاد على المبرد كثيرا من نقده ، وأعاد الحق الى نصابه ونصر سيبويه من كثير من هذا النقد ، كما رد عليه ابن جني والسيرافي وغيرهم .

اتجاهات المبرد .

كان لا يفاضل بين لغات العرب أحيانا وأحيانا أخرى يرجح لغة على أخرى .

قال عن اللغة الحجازية في موتعد واتعد انها قبيحة ونسب الى بعض العرب الغلط .

قال : وناس من بكر بن وائل يجرون الكاف مجرى الهاء اذا كانت مهموسة مثلها وذلك غلط منهم فاحش ، لأنها لم تشبهها في الخفاء الذي من أجله جاز ذلك وينشدون هذا البيت .

وان قال مولاهم على جُلِّ حادثٍ
من الدهر رُدّوا فضل أحلامكم رُدّوا

وهذا خطأ عند أهل النظر مردود .

ووقع في كتاب سيبويه نسبة الغلط الى العرب ج ١ ص ٢١٧، ٢٩٠ وجـ ٢ ص ١٢٧، ٢٧٨ ، كما جاء ذلك في تعريف المازني .

المبرد بين القياس والسماع .

طغت موجة الخلاف بين النحويين على كثير من مسائل القياس ،وأصبح عند النحاة مشهورا انما يقاس على الكثير لا على القليل ،ولكن كثير من النحويين يتخطى حدود هذا الأصل والأمثلة كثيرة في ذلك وقد يقيسون على الشاذ .

وقد نادى المبرد وطالب بعدم الالتفات الى الشواذ والنوادر ، وطرد المبرد القياس ولم يلجأ المبرد الى التأويل فيما يأتي .

فقد أجاز دخول الفاء في الخبر في نحو والسارق والسارقة فاقطعوا .

وقد سمع النسب الى شتاء شتوى فجعله النحاة من شواذ النسب ولكنه يرى أن شتوى قياس لأنه جمع شتوة .

قال الفرزدق :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم

إذ هم قريش وإذ ما مثلهم بشر

ليس من تقديم خبر (ما) عند المبرد ، وإنما مثلهم حال ، وخبر (ما) محذوف .

كما أنكر بعض الروايات التى تخالف القياس العام ، واستكثر من ذلك حتى عرض ... اعترضه على بن حمزه فى كتاب (التنبيهات على أغاليط الرواة) ولو تشاغل أبو العباس بملح الأشعار ، وسقط الاخبار ، وما يعرفه من النحو لكان خيرا له من القطع على كلام العرب ، وأن يقول ليس كذا من كلامهم ، فلهذا رجال غيره ياليتهم أيضا يسلمون .

وقال عنه أبو الفتح بن جنى فى المحتسب بعد رد رواية سيبويه للبيت .

فاليوم أشربْ غير مستحقِب

إثما من الله ولا واغل

وأما اعتراض أبى العباس هنا على الكتاب ، فانما هو على العرب لا على صاحب الكتاب لأنه حكاه كما سمع ، ولا يمكن الوزن أيضا غيره ، وقول أبى العباس : انما الرواية فاليوم فأشرب فكأنه قال : لسيبويه : كذبت على العرب ولم تسمع

ما حكيته ، واذا بلغ الأمر هذا الحد من السرف فقد سقطت كلمة القول منه) (١) .

وقال عنه ابن ولاد في الانتصار : فهذا رجل يجعل كلامه في النحو أصلا ، وكلام العرب فرعا فاستجاز أن نخطئها اذا تكلمت بفرع يخالف أصله " .

وقد أورد كثيرا من إنكار المبرد على سيبويه وغيره بعض الروايات .

بين المبرد والفراء .

حمل نحاة البصرة على القراء حملة ظالمة بتلحينهم ورد قراءتهم اعتمادا على قواعدهم ثم اقتدى بهم نحاة الكوفة كالفراء الذي نسب اليهم الوهم ، وشاركه في ذلك الكسائي كما كان للمازني نصيب موفور في قيادة هذه الحملة ، وهو استاذ المبرد ، فقد ختم كتابه التصريف بالطعن عليهم والسخرية منهم ، وعدهم من الجهلاء الذين يتعلقون بالألفاظ ويجهلون المعاني ، ونقل تلميذه المبرد هذا الطعن في كتابه المقتضب " (٢) ونسوق بعض الأمثلة في ذلك .

(١) الخزانة ٢/٢٧٩ . (٢) جـ ٢ ص ٤١٦ .

قال : "وأما قراءة من قرأ ثم (ليقطع فلينظر) فان الاسكان في لام فلينظر جيد ، وفي لا (ليقطع) لحن ، لأن (ثم) منفصلة من الكلمة ، وقد قرأ بذلك يعقوب ابن اسحاق الحضرمي ، وقراءة تسكين اللام قراءة أربعة من السبعة " (١).

في القرطبي (٢) قال أبو العباس المبرد : لو صليت خلف امام يقرأ (وما أنتم بمصرخيِّ) واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامِ) لأخذت نعلي ومضيت ، والقراءتان سبعيتان قرأ بهم حمزة ، قراءة بمصرخيِّ بكسر الياء المشددة هي لغة من لغات العرب ولقد دافع عنها بقوة أبو حيان في البحر المحيط (٣) ونحو ذلك كثير .

كما كان من المبرد تفضيل لقراءة سبعة على أخرى سبعة نذكر مثالا منها فقد قال في الكامل : (٤) والقراءة الجيدة ((ما فعلوه الا قليلٌ منهم)) وقد قرئ الا قليلا منهم وقراءة النصب سبعة أيضا قرأ بها ابن عامر .

---

(١) شرح الشاطبية ص ٢١٥ .
(٢) جـ ٢ صـ ٢ .
(٣) ٥/٤١٩ — ٤٢٠ .
(٤) ٤/٢٤٤ .

ذكر في المقتضب [1] عن قوله تعالى : ((أو جاءوكم حصرت صدورهم)) فأما القراءة الصحيحة فإنما هي ((أو جاءوكم حصرةً صدورهم)) وهذه القراءة التي جعلها المبرد هي الصحيحة قراءة يعقوب من العشرة أما السبعة فعلى ((حَصِرَتْ صدورهم))

(1) جـ ٤ / ص ٤٤١ .

(موقف المبرد من الكوفيين)

المبرد زعيم من زعماء البصرة ، حمل لواء النحو البصري في وقفة ، ودافع عنه يعبر عن الكوفيين بقوله (قوم أو بعض النحويين من غير البصريين ، ولم يصرح باسم الكوفيين الا مرة واحدة ، في اعراب الأسماء الستة في المقتضب ، ثم يأخذ بعد ذلك في (دحض اقوالهم وتضعيفها) .

موقفه من الحديث الشريف .

لا يستدل بالحديث الشريف ولم يصرح به الا في موضع واحد [1] كما ذكره على أنه مثال يستأنس به ، لا أنه مصدر يعتمد عليه .

وفاته : - توفي رحمه الله سنة ٢٨٥هـ وقيل سنة ٢٨٢هـ وفي مراتب النحويين في سنة ٢٨٢ هـ . وذلك بعد حياة حافلة بالعلم والمعرفة ، ووصل الى درجات عالية جزاه الله خير الجزاء .

---

(١) المقتضب ٤٩١/٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

إن دراسة علماء اللغة الأفذاذ للقضايا اللغوية التي تكون موضع خلاف ، عمل يفيد طلاب العربية ، ليعرفوا كيف يناقشون القضايا بالدليل حتى يكون للقضية ترجيح على أخرى بالحجة وبعد النظر .

وأبو القاسم الحريري رحمه الله ألف كتابا لدراسة الصحيح والسقيم في التعبير اللغوي ، وسماه (درة الغواص) وهو يظن أنه بذلك قد حسم القضية اللغوية في الكتاب ، وحكم عليها بالصحة أو بالفساد والحريري ليس من النحاة المتمكنين في علم النحو ، والله يقول : ((وفوق كل ذي علم عليم)) فقيض الله له من العلماء الأفذاذ الذين يناقشون قضاياه ويبينون الحق من الباطل ، منهم ابن بري والعلامة الشهاب الخفاجي الذي ألف كتابا للرد على الحريري وأثبت في كثير من القضايا زيف آرائه ، وفساد ما ذهب اليه فأعاد الحق الى نصابه بالدليل والحجة التي لا ترد وذلك بايراد الأساليب العربية التي تؤيد كلامه .

والأسلوب العربي هو الحكومة التي نحتكم إليها عند أي خلاف وهذا ما حدث ، ولذلك أحببت أن أورد للطلاب بعض

هذه القضايـــا وكيف دارت معـــارك النقاش ، ولمن يكون الغلب؟

كما أوردت بعض القضايا اللغويـة المعاصـــرة التى تمس الحاجة اليها من كتاب لغويـات الشيخ العلامـة محمد على النجـــار حـتى يتم النفـع وتحسـن الاســـتفادة .

والله من وراء القصـد .

* * * * *

دراسة بعض القضايا اللغويـــة
عنـــد العلمـــــاء

أولا : — وقد عيب على أبى الطيب قوله أحـادٌ أم سداسٌ فى أحادْ • لُيَيْلَتُنَا المنوطـةُ بالتنادِ •

ونسب الى أنـه وهـم فيه فى أربعة مواضع • هذا مطلع قصيدة للمتنبى والمواضع الأربعة أولها أنـه اقام أحاد مقام واحـدة وسداس مقام ست لأنـه أراد أليلتنـا هذه واحدة أم واحدة فى ســت وفى شرح المغنى قد يقال: إنه قصد التقسيم فالمعـنى الاخبار عن ليلة فراقه انها منقسمة الى واحدة واحـدة أى أن كل جزء من أجزائها بمثابة ليلة واحدة ثم رأى أنهـا أطول من ذلك فاضرب واستفهم هل • هى باعتبار الأجزاء منقسمة الى ســت ست فى كل واحد واحد من أجزاء الليلة •

هذا إنْ جعلت أم منقطعة فان جعلت متصلة فالمعنى اطلب التعيين لأحد هذين الأمرين فلم يخرج العدد عن استعماله فى معناه وقد قال ابن برى إنّ أحاد ورد فى كلام العرب بمعـنى واحـد كقوله

هنت لك أن تلاقينا المنايـــا
أحا احاد فى الشهر الحـــلال

الموضع الثانى : ـ أنه عدل بلفظ ست سداس وهو مردود عند أكثر أهل اللغة العربية ، وقد علمت أن من النحاة من أثبته مع أن المتنبى أيضا يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه .

والموضع الثالث : ـ أنه صغر ليلة على لُيَيْلَة والمسموع فى تصغيرها لُيَيْلِيَة . وما نطق به هو القياس ومثله مما رآه بعض النحاة جائز على أن منهم من ذهب أن هذا التصغير صحيح وجمعه على ليالٍ بناء على أن له مفردا مقدرا وهو ليلاة .

والرابع : ـ أنه ناقض نفسه فى كلامه حيث وصف الليلة بالامتداد الى يوم التناد ثم صغرها تصغيرا يدل على قلتها .

هذا أيضا ليس بشىء لأن التصغير قد جاء للتكثير والتعظيم .

ثانيا : - يقولون هو ذا يفعل وهو ذا يصنع وهو خطأ فاحش

ولحن شنيع والصواب أن يقال فيه ها هو ذا يفعل وكان أصل القول هو هذا . هو ما تبع فيه ابن الأنبارى فى كتابه الزاهر وهو سفاف من القول وضرب من الهذيان والفضول فان هو مبتدأ وذا مبتدأ ثان خبره الجملة بعده ، ويصح أن يكون ذا اسما ، موصولا واعرابه ظاهر وصحته كذلك ونحوه قول العجاج .

فهو ذا فقد رجا الناس الغير

من أمرهم على يديك والثور

وفى الحديث الشريف هو ذاكم وفى شرح التسهيل اذا اجتمع اسم الاشارة وغيره يجعل اسم الاشارة مبتدأ وغيره خبر فيقال هذا القائم ، وهذا زيد لأن العرب اعتنت بمكان التنبيه فقدمته ولا يجوز أن يجعل خبرا الا مع المضمر فان الأفصح فيه أن يقدم فيقال ها انا ذا ويجوز أيضا هذا أنا وفى كتاب الزاهر انما يجعلون المكنى بين ها وذا اذا قربوا الخبر فيقولون ها انا ذا القى فلانا أى قد قرب لقائى اياه وقد سماه الكوفيون تقريبا وفى أصول ابن السراج لا يجوز هذا هو وهذا أنت وهذا انا لأنك لا تشير لانسان غيرك

ولا الى نفسك الا اذا قصد التمثيل أى هذا يقوم مقامك ويغنى عنك فعلى هذا يجوز هذا أنت وهذا أنا أى هذا مثلك وهذا مثلى فان هذا هو بمنزلة قولك هذا عبد الله وما أشبهه لانك قد تكون فى حديث انسان فيسالك المخاطب عن صاحب القصة من هو فتقول هذا هو وقال قوم ان كلام العرب ان يجعلوا هذه الأسماء المكنية بين ها وذا وينصبون أخبارها فيقولون ها هو ذا قائما وها أنا ذا جالسا .

وهذا يسمى التقريب . وهذا هو منشأ ما قاله ابن الأنبارى والمصنف لم يقف على المراد منه فليحرر فان ما قاله ليس بشىء ينبغى أن يذكر .

* * *

ثالثا :ـ ويقولون في التعجب من الألوان ، والعاهات ،
ما أبيض هذا الثوب ٠ وما أعور هذا الفرس ٠ هـذا
مما اختلفوا فيه فأجاز الكوفيون التعجب من البياض
والسواد لأنهما أصول الألوان كما ورد في حديث
الحوض الذي قال أهل الحديث إنه متواتر ماؤه
أبيض من الورق بكسر الراء وهو الفضة وفي بعض
شروحه أنه لغة قليلة وأنشدوا ٠

اذا الرجال شتوا واشتد أكلهم
فأنت أبيض سربال طباخ

وقوله :ـ
جارية في درعها الفضفاض
أبيض من أخت بني يباض

فلما جاء منهما أفعل التفضيل جازبناء صيغتي التعجب منه لاستوائهما في أكثر الأحكام فقول المصنف إنه لحن مجمع عليه ليس بصحيح وقد تنوزعوا في الدليل فانه مع انه ليس بمقيس أبيض في الأول محتمل للوصفية ٠ وفي الثاني محتمل لأن يكون من البيض وهو كناية عن أن اولادها لغير رشده هم كالبيض الذي لا يدري مم من تلك فان كان من البياض وان كان

البيض جاز وهذا أسود من هذا فمن السواد لا يجوز ومن السيادة يجوز وله نظائر كبيرة . وقد عيب على أبى الطيب قوله فى الشيب .

إِبْعَدْ بَعُدْتَ بياضاً لابياض له
لأنت أسودُ فى عَيْنِى من الظُلَمِ

هو من قصيدة أولها .

ضيف ألم برأسى غير محتشم
والسيف أحسن فعلا منه باللمم

قال فى شرح شواهد المغنى امتناع هذا مذهب البصريين .

وذهب السكاكى وابن هشام الى جواز بناء اسم التفضيل من الألوان مطلقا وتقدم المذهب الثالث قبيل هذا وأنه مذهب الكوفيين والمتنبى كوفى فلا اعتراض عليه ، وقوله ابعَد بفتح العين أمر من بَعِد بكسر العين يَبْعَد بفتحها اذا هلك وبياضا تمييز محول عن الفاعل والعرب تكنى بالبياض عن الحسن ومنه لفلان اليد البيضاء اى أهلك الله من بياض لا يسر والظلم جمع ظلمة وتكون اسما لثلاث ليال من آخر الشهر وقد قيل أنه المراد هنا والمحتشم المستحى وفيه كلام من شرح أدب الكاتب والمعنى أن شيبه ظهر دفعة

بغير تراخ كما قاله الواحدى ومعنى المطلع من قول البحترى ·

وددتُ بياضَ السيف يوم لَقيتُني
مكان بياض الشيب حلَّ بِمَفْرِقي

وقد أجاد صاحب البردة فى تضمينه بقوله ·

ولا اعتدت من الفعل الجميل قرى
ضيف ألم برأسى غير محتشم

وقد غير اعرابه ومثله جائز فى التضمين وهو فى الاقتباس أحسن ·

* * *

رابعا : — ثم قال انهم لا يفرقون بين معنى نَعَمْ وبَلَى فيقيمون

احداهما مقام الأخرى وليس كذلك لأن نعم :

تقع فى جواب الاستخبار المجرد من النفى فترد الكلام الذى بعد حرف الاستفهام ·

قال ابن برى اعلم ان نعم صدقة للجملة التى قبلها فيقدر اعادتها بعد نعم من غير استفهام فاذا قال أزيد قائم فقلت نعم فتقديره نعم زيد قائم فإنْ قال أزيد ليس قائما فقلت نعم ليس زيد قائما فهى ابدا داخلة على الجملة التى قبلها تقديرا من غير استفهام موجبة كانت أو سالبة وأما بلى فلا تقع الا بعد النفى موجبة للجملة فاذا قال أليس زيد قائما فقلت بلى فتقديره بلى زيد قائم بتقدير جملة موجبة لأنك تسقط أداة النفى مع حرف الاستفهام وتبقى الجملة بحالها فإن قال أليس زيد لا يملك دينارا فقلت بلى فتقديره لا يملك دينارا فيسقط النفى الأول المصاحب لألف الاستفهام لا غير ويبقى النفى الثانى لا بغيره ولو أتيت بنعم فى هذا الموضع لصار تقديره نعم ليس زيد لا يملك دينارا فتوجب له ملك الدينار وبلى تنفيه · ولهذا قال ابن عباس · الخ قال ابن عادل فيه نظر إنْ صح عنه وذلك أن هذا النفى صار مقررا فكيف

يكفرون بتصديق التقرير وانما المانع من جهة اللغة وهو أن النفى مطلقا اذا قصد ايجابه اجيب ببلى وان كان مقررا بسبب دخول الاستفهام عليه وانما كان كذلك تغليبا لجانب اللفظ ولا يجوز مراعاة جانب المعنى الا فى ضرورة شعر كقوله .

أليس الليل يجمع أم عمرو
وإيانا وذاك بنا تدانى
نعم وأرى الهلال كما تراه
ويعلوها النهار كما علانى

وفيه بحث لابن مالك قال فى التسهيل بلى لاثبات نفى مجرد أو مقرون باستفهام وقد يوافقها بعض المقرون ولم يقيده بضرورة الشعر وكيف يصح أن يكون ضرورة وقال المرادى إن منه قول الانصار للنبى صلى الله عليه وسلم وقد قال لهم ألستم ترون ذلك قالوا نعم وانما ساغ هذا لأمن اللبس وقد تؤول بيت جحدر بأنه جواب لمقدر فى نفسه من أن الليل يجمعه وام عمرو وأجاز بعضهم أن يكون جوابا لما بعده فقدم وقال أبو حيان الأولى ان يكون جوابا لقوله فذاك بنا تدانى .

وقال الكرمانى إنه كذلك فى أصل اللغة وأما العرف فلا يفرق بينهما ومنه يعلم الجواب عما حكاه عن ابن الانبارى

وفى المغنى بلى لا يجاب بها الايجاب وذلك متفق عليه لكن وقع فى عدة أحاديث ما يقتضى خلافه كحديث البخارى انه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه أترضون أن تكونوا رُبع أهل الجنة قالوا بلى، لكنه قليل لا يقاس عليه • حتى قال بعضهم أن أصلها بل وانما زيدت الألف ليحسن السكوت عليها •

قال ابن فارس فى فقه اللغة الصاحبى انها بل وصلت بها الف لتكون دليلا على كلام يقول القائل أما خرج زيد فتقول بلى فبلى رجوع عن جحد والألف فيها دلالة على كلام كأنك قلت بل خرج زيد يعنى أنها مَدَّةٌ كمدة التذكر وفيما أنشده من قول الشاعر • فيا لك من داع دعانى نعم نعم • جمع بين اللغتين ليتغاير لفظاهما ولو فتحت عينهما كان تأكيدا ومما يحسن ايراده هنا قولى •

وقائله فى فتية وعظوا وما
لهم عظة تجدى لدى سائر الأمم
أهم نعم للماء يحمل ظهرها
وقد ظمئت فى السير قلت نعم نعم

خامساً : (حكم كان ماذا ؟)

فقال له اذا كان ماذا . فان قلت كيف قدم الفعل على اسم الاستفهام مع أن صدر الكلام قلت ها أنا ابين لك ذلك بما لا مزيد عليه فانه من الفوائد النفيسة وقد خفى على كثير من فحول السلف المصنفين .

قال سيبويه زمانه أبو حيان افاض الله على مثواه شآبيب الرحمة والغفران مذهب البصريين أن المفعول اذا كان اسم استفهام يجب تقديمه وحكى غيرهم أن العرب قد تقدم العامل على اسم الاستفهام شذوذا نحو اضرب من وما واذا كان استفهاما عن شئ جرى ذكره نحو قولك فى ضربت رجلا ضربت من جاز وقد خص بمن وما وحكى فى أين فى الاستثبات أيضا وهذا لا تعرفه البصريون وقد سمع من العرب كان ماذا ووقع فى شعر لابن المرجل شيخ ابى حيان فانكره ابن ابى الربيع فلما بلغه ذلك صنف فى الرد عليه مصنفا أنشد فيه لنفسه .

عاب قوم كان ماذا
ليت شعرى لم هذا
واذا عابوه جهلا
دون علم كان ماذا

كذا نقلته من خط ابن أبي سبع تلميذ أبي حيان رحمه الله تعالى وقد رأيته مصرحا به في كثير من كتب العربية وقالوا انه سمع في ماذا كثيرا ووقع في عبارة للزمخشري في كشافه من سورة آل عمران فيقولون ماذا وكذا في المفتاح في قوله يشبه ماذا ومن الشراح من لم يقف على ما قدمناه لك فقال ما في كلام الثقات من قولهم يكون ماذا وصنع ماذا وفعل ماذا الوجه فيه أن يكون ماذا معمولا لمحذوف مدلول عليه بالعامل المذكور أي ماذا يكون على طريقة التفسير بعد الابهام وهو تكلف لا حاجة اليه لأن تقدم المفسر لا نظير له في العربية والمعروف تأخره كما في نحو وان احد من المشركين استجارك وقد صرحوا بانه اذا خرج عن حقيقته من الاستفهام جاز تقدم العامل عليه كما في قولهم انظر الى كيف يصنع أي الى صنعه فاحفظه فإنه من معالي الأمور ٠

* * *

سادسا : ـ وسئل بعض أهل اللغة عن قوله تعالى ((وما ربك بظلام للعبيد)) لم ورد على وزن فعّال الذى صيغ للتكثير و هو سبحانه منزه عن الظلم اليسير فاجاب بأن أقل القليل من الظلم لو ورد منه وقد جل سبحانه عنه

لكان كثيرا لاستغنائه عن فعله وتنزهه عن قبحه وهذا كما يقال زلة العالم كبيرة . فى هذه الآية وجوه (منها) هذا وهو كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين (ومنها) أن العدول صيغة المبالغة للتنبيه على شانه تعالى يقتضى ان كل وصف يثبت له يبلغ حد الكمال واختاره بعض المتأخرين قيل ولا يرد عليه ان هذا فى صفات الكمال واما صفات النقص السلبية التى تتنزه عنها ساحة جلاله فلا يلزم فيها ما ذكر لأن كل صفة ثبتت له تعالى ولو فرضا تصير كمالية فتأمل واجاب القاضى بان كثرة العبيد تستلزم كثرة الظلم والمبالغة راجعة الى الكم وأورد عليه أن نفى مبالغة الظلم لا يستلزم نفى اصله بل وربما يدل على خلافه بدليل الخطاب ومرجوع النفى الى القيد ورفع الايجاب الكلى لا ينافى الايجاب الجزئى واجيب عنه بانه قصد به نفى الظلم لجنس العبيد وهو يستلزم ان لا يظلم واحد منهم فيفيد عموم النفى قيل الا ان يقصد بنفى المبالغة المبالغة فى النفى وفيه ان المبالغة الأولى فى الكم والثانية فى الكيف

وبينهما مباينة ظاهرة وايضا نفى القيد الذى لم يعبر عنه بلفظ مستقل وان صرح به بعض المحققين فى حواشى الكشاف لا يصفو من الكدر وقيل فعّال هنا للنسبة كعطار وقال ولذا قيل انه لم يقصد به المبالغة وقيل نفى الظلام لازم لنفى الظالم لانه اذا انتفى أصل الظلم انتفى كماله فنفى المبالغة كناية عن نفى الأصل وقيل هو لنفى أنواع الظلم وقيل اذا انتفى الظلم الكثير انتفى الظلم القليل لان الذى يظلم انما يظلم لانتفاعه بالظلم فاذا ترك الكثير مع زيادة نفعه فالقليل بالطريق الأولى .

والى هذا أشار المخزومى الشاعر بقوله .

العيب فى الخامل المغمور مغمور ⁂ وعيب ذى الشرف المذكور مذكور
كفوفة الظفر تخفى من حقارتها ⁂ ومثلها فى سواد العين مشهور

هذا الشعر كما فى اليتيمة لأبى محمد طاهر بن الحسين بن يحيى المخزومى وهو بصرى المولد والمنشأ رازى الوطن حسن التصرف فى فنون الشعر موف على أكثر شعراء العصر يعادل من أهل العراق ابن نباته أورد له غررًا من نظمه الذى هو روح الشعر وذوب التبر كهذه القطعة التى أنشدها له المصنف وفى معناها قول الآخر .

لا تحقر الرجـل الرفيع دقيقـــــة
في السهو فيها للوضيع معاذر

فكبائر الرجـل الصغير صغائـــر
وصغائر الرجـل الكبير كبـــائر

(قلـــت)

كم من عيوب لفـتى عدهـــــــا

سواء زينـا حسن الصنــــــع

فنكتة الياقـــوت مذمومـــــة
وهـي التي تحمد فـي الجـــذع

* * *

سابعها : — لم يجيء في كلامهم فَعْلُول بفتح الفاء الا قولهم صعفوق وهو اسم قبيلة باليمامة • هذا مما تبع فيه الجوهري وليس بصحيح عندهم قال في شرح الفصيح ليس لنا فعلول بالفتح الا صعفوق قوم باليمامة وَزَنْتُوق وهو ما يبنى على البئر وبَرْشُوم لنخلة وصَنْدُوق في لغة وحكى ضمه أيضا وزيد قربوس السرج بسكون الراء فانه لغة فيه لا ضرورة كما قيل وعَصْفور في لغة حكاها ابن رشيق والمشهور فيه الضموسحنون علم مشهور وان احتمل فعلول أيضا الا أن الأول اختاره في القاموس واعترض على المصنف بان كلامه يقتضي أن صعفوقا عربي وليس كذلك وقد صرح الجوهري بأنه غير منصرف للعلمية والعجمة وقول الجوهري لم يجيء على فعلول شيء غيره أراد في الكلام مطلقا ولو معربا من العجمية وفيه ما مر وأما خرنوب فالفصيح فيه الضم أو التشديد مع حذف النون وانما يفتحه العامة وقول ابن الحاجب في الشافعية لندور فعلول نوقش فيه واغرب منه قول الشارح لو قال لعدم فعلول كان أولى وبقي فيه اسئلة وأجوبة في شروح الشافعية تركناها خوف الملل

قال : من آل صعفوق واتباع اخر • هو من ارجوزة للعجاج وقبله •

فهو ذا فقد رجا الناس الغير • من امرهم على يديك والثؤر

من آل صعفوق واتباع آخر

يخاطب عمر بن عبيد الله بن معمر أى الأمر هذا الذى ذكرته من مدحى لمعمر والخير تحير الأمور ولهذا أطلقت على نوائب الدهر وحوادثه أى تغيرت الأمور بما رتك من الفساد الى الصلاح والثؤر بضم ففتح جمع ثؤرة وهى الثأر والانتقام من الجانى أى قد أمل الناس أن تثأر بمن قتلت الخوارج من المسلمين ٠

أطروش بفتح الهمزة والصواب ضمها كما يقال اسكوب واسلوب على أن الطرش لم يسمع فى كلام العرب العرباء ٠ قال أهل اللغة الطرش بزنة الصمم ومعناه مولد وليس بعربى محصن ولم يرد فى الكلام الفصيح وقيل أنه أصل الصمم وقيل أقدم وتصريف الصيغ منه لكنه عامية قبيحة وقيل انه معرب ونقل الانصارى عن بعض أهل اللغة انه عربى محض وفى المغرب الطرش الصمم وقد طرش من باب لبس ورجل أطروش به ذلك ورجال طرش أه وأسكوب بمعنى مسكوب أو منسكب والأسلوب بالضم طريق ممتد واساليب الكلام طرقه استعارة منه ٠ ونقيض هذه الاوهام قولهم لما يعلق لعوق ولما يستف سفوف ولما يمص مصوص فيضمون أوائل هذه الأسماء وهى مفتوحة ٠ اشارة الى ما قاله الثعلبى وغيره من أئمة اللغة ان اسماء الأشياء التى

يعالج بها ويتداوى قد بنتها العرب على فعلول بالفتح والضم فيها خطأ والبرود بفتح الباء وراء مضمومة مد وآخره دال مهملة الكحل وتمثيلة لفعيل بمنديل بناء على أصالة الميم خلاف الصحيح .

* * *

ثامنا : وأما ادخال اللام على كل فنقل المعرى في رسالة الغفران ان أبا على الفارسى كان يجيزه وينقله عن سيبويه وليس بشائع في قديم كلام العرب وأنشد لسحيم شاهدا عليه وهو قوله .

رأيت الغنى والفقير كليهما

الى الموت يأتى الموت للكل معمدا

وأما ادخالها على بعض فاجازه في شرح الهادى وأنشد عليه لمجنون عامر .

لا تنكر البعض من دينى فتجحده

ولا تحدثنى ان سوف تقضينى

ونظير هذا الوهم قولهم حضرت الكافة فيوهمون فيه أيضا على ما حكاه ثعلب فيما فسره من معانى القرآن . يعنى أنه لابد من تنكيره ونصبه على الحال وذو الحال من العقلاء وهذا مما اشتهر وان لم يصف من الكدر وتحريره بعد ذكر كلام النحاة واهل اللغة فيه انه قال في شرح اللباب من الأسماء ما يلزم النصب على الحال استعمالا نحو طرا وكافة وقاطبة واستهجنوا اضافتها في كلام الزمخشرى والحريرى كقوله في خطبة المفصل محيطا بكافة الأبواب وهو مما خطئ فيه ومخطئه هو المخطئ لانا اذا علمنا وضع لفظ عام بنقل من السلف وتتبع لموارد استعماله

فى كلام من يعتد به ويستشهد بكلامه ورأيناهم استعملوه على حالة مخصوصة من الاعراب والتعريف والتنكير ونحوه فهل يمتنع استعماله على خلاف ما ورد به مع صدق معناه الوضعى عليه أم لا وعلى تقدير جوازه فهل نقول انه حقيقة أو مجاز ومثاله ما نحن فيه فان كافة ورد عن العرب بمعنى الجميع لكنهم استعملوه منكرا منصوبا وفى الناس خاصة ومقتضى الوضع ان لا يلزمه ما ذكر فيستعمل كما استعمل جميعا معرفا ومنكرا بوجوه الاعراب فى الناس وغيرهم والظاهر الجواز لانا لو اقتصرنا فى الألفاظ على ما استعملته العاربة والمستعربة حجرنا الواسع وعسر التكلم بالعربية على من بعدهم ولما لم يخرج عما وضع له فهو حقيقة والذى يشهد له العقل السليم انه لا محيد عما قلناه الا لمكابر ومعاند على أنه قد ورد فى كلام البلغاء على خلاف ما ادعوه كما فى كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه لآل بنى كاكلة فان فيه قد جعلت هكذا لآل بنى كاكلة على كافة بيت مال المسلمين لكل عام مئتى مثقال عينا ذهبا ابريزا كتبه عمر بن الخطاب وختمه كفى بالموت واعظا يا عمر قال الفاضل المحقق سعد ألمة والدين فى شرح المقاصد وهذا مما صح عنه والخط موجود فى آل بنى كاكلة الى الآن ولما آلت الخلافة الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه عرض عليه هذا الكتاب فنفذ ما فيه لهم وكتب عليه بخطه لله الأمر من قبل

ومن بعد يومئذ يفرح المؤمنون أنا أول من اتبع أمر من أعز الاسلام ونصر الدين والأحكام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ورسمت بمثل ما رسم لآل بنى كاكلة فى كل عام مائتى دينار ذهبا ابريزا واتبعت أثره وجعلت لهم مثل ما رسم عمر اذ وجب على وعلى جميع المسلمين اتباع ذلك كتبه على بن أبى طالب أ ٠ هـ ٠

وهذا مع ما قبله موجود الى الآن بديار العراق فقد استعملها معرفة غير منصوبة لغير العقلاء وهو فى الفصاحة بمكان وقد سمعه مثل على ولم ينكره وهو واحد الاحدين فاى انكار واستهجان وقوله فى المغنى كافة تختص بمن يعقل وهم الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس اذ قدر كافة نعتا لمصدر محذوف أى ارسالة كافة لانه اضافة الى استعماله فيما لا يعقل واخرجه عما التزم فيه من الحالية كوهمة فى خطبة المفصل الذى مر ذكره مما لا يلتفت اليه واذا جاز تعريفه بالاضافة جاز بالألف واللام أيضا ولا عبرة بمن خطأهم فيه كصاحب القاموس وابن الخشاب فى قوله اخطأ الحريرى فى قوله فى مقاماته بقاطبة الكتاب فان قاطبة وطرا ومعا مثل كافة عندهم وادعاء الغلط والشذوذ هنا غير مسموع وفى المصباح المنير جاء الناس كافة قيل منصوب على الحال نصبا لازما

ولا يستعمل الا كذلك وعليه قوله تعالى ((وما أرسلناك الا كافة للناس)) أى الا للناس جميعا وقال الفراء فى كتاب معانى القرآن نصبت لأنها فى مذهب المصدر ولذلك لا تدخل العرب فيها الألف واللام كقاموا معا وجميعا وقال الأزهرى كافة منصوبة على الحال وهو مصدر على فاعلة كالعاقبة والعافية ولا يثنى ولا يجمع كما لو قلت قاتلوا المشركين عامة أو خاصة لا يثنى ذلك ولا يجمع ٠ أ ٠ هـ ٠

وقال الجوهرى والكافة الجمع من الناس يقال لقيتهم كافة أى كلهم وقيل كافة اسم فاعل والتاء فيه للمبالغة واليه ذهب الامام الراغب فقال فى قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس " أى كافا لهم عن المعاصى والهاء فيه للمبالغة كـراوية وعلامة وقوله تعالى قاتلوا المشركين كافة قيل معناه كافين لهم كما يقاتلونكم كافين لكم وقيل معناه جماعة وذلك أن الجماعة يقال لهم الكافة كما يقال لهم الوزعة لقوتهم باجتماعهم ا هـ ٠

والحاصل أنهم رواية ودراية لم يصيبوا فيما التزموه من تنكيره ونصبه واختصاصه بالعقلاء وانهم اختلفوا فى أصله هل هو مصدر أو اسم فاعل من الكف وان تاءه هى للمبالغة أو للتأنيث كتاء جماعة ثم انهم تصرفوا فيه واستعملوه للتعميم بمعنى جميعا فلا يغرنك القيل والقال

فماذا بعد الحق إلا الضلال ٠

كما وهم القاضى أبو بكر بن قريعة حين استثبت عن شىء حكاه فقال هذا يرويه الكافة عن الكافة والحاقة عن الحاقة والصافة عن الصافة ٠

قريعة مصغر قرعة قاض مشهور ذكر الثعالبى فى اليتيمة وصاحب نثر الدرر وحكوا عنه فى المجون وسرعة البديهة أمورا كثيرة شهيرة بين الادباء واستثبت بمعنى طلب منه ثبوت وتحقيق شىء ذكره والظاهر أن الحافة والصافة اتباع للكافة والاتباع قد يعطف كما سيأتى بيانه ٠ مما يدخل عليه التعريف والوجه تنكيره قولهم فعل ذلك من الرأس لان العرب تقول فعله من رأس من غير أن يلحق الألف واللام فيه ٠ وفى نسخة بدل فيه ومعناه أوله وما ذكر ليس بمسلم قال ابن برى عن أبى الحسن كراع يقال اعد على كلامك من رأس ومن الرأس فقد علمت أنهم جوزوا فيه الحاق الألف واللام وعدمه وقد نقل مثله عن ابى حاتم امام اللغة فهو فى جواز التعريف مثل بته فى قولهم لا أفعله بته والبتة لكل أمر لا رجعة فيه كما قاله الجوهرى فان قلت ألف البتة أهى ألف وصل أم قطع قلت هى ألف وصل قطعا وقيل ألف قطع وبه جزم الكرمانى فى شرح البخارى فقال

همزتها همزة قطع على خلاف القياس وقال ابن حجر لم أر ما قاله في كلام أحد من أهل اللغة وفي شرح توضيح ابن هشام ال في البتة لازمة الذكر فلا يجوز تنكيره سماعا وفي حواشيه لعبد القاهر المكي يقال لا أفعله بتة والبتة أي ابتة والبتة وفي اللباب لم يسمع في البتة الا قطع الهمزة . والقياس وصلها ومن هنا عرفت أن ما قاله ابن حجر غفلة عما ذكرناه .

ويقولون هذه كبرى وصغرى فيستعملونها نكرتين وهما من قبيل ما لم تنكره العرب بحال .

ما انكره صحيح فصحيح لانه مخرج عن استعمال افعل التفضيل مجردا عن المفاضلة فيكون مطابقا مع تجرده عن ال والاضافة كما جوزه علماء العربية وما توهمه انما هو اذا بقي على أصل معناه وعليه خرج بيت أبي نواس وقول العروضيين فاصلة صغرى وكبرى وعليه قول الفرزدق .

اذا غاب عنكم اسود العين كنتم
كراما وأنتم ما أقام ألائم

والكثير أن لا يطابق كقوله :
ان الذي سمك السماء بنا لنا
بيتا دعائمه أعز وأطول

على وجه فيه .

والوجه الآخر أنه على أصله والمراد أعز وأطول من دعائم غيره وقابلة الالائم بالكرام تدل على أنه لم يرد المفاضلة .

ومن هذا القسم قوله تعالى : ((قسمة ضيزى)) لأن الأصل فيها ضوزى . وفى نسخة ضيزى بالضم وباليا . وقال ابن برى على النسخة الأولى صوابه ضيزى فلهذا كسرت الضاد

يقال ضازة بضيزة اذا نقصه ومن قال ضازة بضوزة فانه يقول ضوزى بضم الضاد لا غير أ هـ . وفى مفردات الراغب ضيزى ناقصة واصله فعلى فكسرت الضاد لليا . قيل وليس فى كلامهم فعلى يعنى بكسر الفاء صفة فانه من ابنية الأسماء كذكرى واجاز بعضهم فيه أن يكون فعلى كبشرى وعوملت الهمزة معاملة الحرف الذى تؤول اليه فى التخفيف ويحتمل هذا أيضا أن يكون من ضازة بضوزة ثم همز كما قالوا فى موسى مؤسى لتحقيق حرف العلة ومعناه قسمة ذات ظلم ووجه اليا عند أبى عبيد ، أنه صفة على فعلى بالضم من ضازة بضيزة اذا نقصه أى قسمه جائز وكسرت الفاء لتسلم العين كبيض على قياس عين فعلى هذا ليست فعلى بالكسر اذ لم تأت صفة وانما جاءت مفتوحة أو مضمومة الا ما حكى ثعلب من مشية حيكى وغيرها من

امرأة عِزْهَى و سِعْلى وكيصى والحمل على الأكثر أولى وقال على قياسه ضوزى لبعدها عن الطرف الرابع بخلاف عين لكنه عدل عنه تخفيفا مع أمن اللبس وحكى أبو عبيدة أيضا ضازه بضوزه فيحتمل التخفيف السابق ويجوز أن يكون مخففا من المهموز . وقال الجعبرى فيه لغات ضئزى وضيزى واذا كانت تأنيث أفعل . يريد مؤنث هذا البناء مطلقا مع قطع النظر عن تعريفه وتنكيره فلا يرد قول المحشى الصواب الأفعل . ولم يشذ من ذلك شئ الا دنيا وأخرى فانهما لكثرة مجالهما فى الكلام ومدارهما فيه استعملا نكرتين .

قال ابن برى انما لزمت الألف واللام فى الأفضل والفضلى لتكون عوضا من لزوم منك فى النكرة اذا قلت أفضل منك ولما كانت منك غير لازمة فى آخر اذا قلت مررت برجل آخر لم تلزم الألف واللام فى قولك اخرى واما دنيا فانها استعملت استعمال الأسماء فلذلك جاز تنكيرها .

حرقة . بحاء وراء مهملتين وقاف بزنة همزة وسيأتى هذا الشعر بتمامه . وقول لمثل .

وان دعوت الى جُلَّى ومكرمة ∴ يوما سراة كرام الناس فادعينا

هذا من قصيدة لبعض بني قيس بن ثعلبة وقيل انها لبشامة ابن حرب وقيل للمرقش واولها ٠

أنا مُحَيُّوك يا سلمى فحيينا
وان سقيت كرام الناس فاسقينا

وان دعوت البيت ٠ وقد عيب على أبي نواس قوله ٠

كأن كبرى وصغرى من فواقعها
حصباء در على أرض من الذهب

ومن تأول له فيه قال جعل من في البيت زائدة على ما أجازه أبو الحسن الأخفش ٠ وفي المغني قول بعضهم ان من زائدة في الموضعين وانهما مضافان على حد قوله بين ذراعي وجبهة الأسد ∴ يرده ان من لا يقحم في الايجاب ولا مع تعريف المجرور والبيت من قصيدة لأبي نواس أولها ٠

ساع بكأس على ناس على طرب
كلاهما عجب في منظر عجب
قامت تريني وذيل الليل منسدل
صبحا تولد بين الماء والعنب
كأن كبرى وصغرى من فواقعها
حصباء در على أرض من الذهب

ماادعاه من عدم دخول أل على غير وان اشتهر فلا مانع منه قياسا وانما المهم فيه اثبات السماع من العرب وفى تهذيب الأزهرى قال ابن أبى الحسن فى شامله منع قوم دخول الألف واللام على غير وكل وبعض لأنها لا تتعرف بالإضافة فلا تتعرف باللام قال وعندي أنه لا مانع من ذلك لأن اللام ليست فيها للتعرف ولكنها اللام المعاقبة للاضافة نحو قوله :

* كان بين كفها والفلك * أى وفكها وقوله تعالى فإن الجنة هى المأوى أى مأواه على أن غير قد تتعرف بالإضافة فى بعض المواضع وقد يحمل الغير على الضد والكل على الجملة والبعض على الجزء فيصح دخول اللام بهذا المعنى .

فيصح بطريق الحمل على النظير وهو شائع فى كلامهم وقال صاحب الهادى لا يجوز ادخال اللام عليه لأنه لا بد له من الاضافة والمضاف اليه اما مذكور أو منوى ولا يجوز تثنيته ولا جمعه كما ذكره سيبويه وفى بعض الحواشى صرحوا بان غيرا وان لم يتعرف لا يجوز ادخال اللام عليه لرعاية صورة الاضافة المعنوية الا أن المصنفين كثيرا ما يدخلونها عليه فكأنهم جعلوه بمعنى المغاير لكنه لم يوجد فى كلام العرب وفى ضرام السقط أن لغير ثلاثة مواضع :

أحدها : أن تقع موقعها لا تكون فيه الا نكرة وذلك اذا أريد بها النفى الساذج كما فى مررت برجل غير زيد .

الثاني : أن تقع موقعا لا تكون فيه الا معرفة وذلك اذا أريد بها شيء قد عرف بمضادة المضاف اليه في معنى لا يضاده فيه الا هو كما اذا قلت مررت بغيرك أي المعروف بمضادتك الا أنها في هذه لا تجرى صفة فتذكر غير جارية على الموصوف .

الثالث : أن تقع موقعا تكون فيه نكرة تارة ومعرفة أخرى كما اذا قلت مررت برجل كريم غير لئيم .

وقد قيل انه اذا جاز أن تتعرف بالاضافة فلا مانع من تعريفها باللام أيضا وكما لا يدخل عليه الألف واللام لا يثنى ولا يجمع فلا يقال غيران واغيار الا في كلام المولدين كما صرح به ابن هشام . ولهذا السبب لم يدخل الألف واللام على المشاهير من المعارف مثل : دجلة وعرفة وذكاء ونحوه لوضوح اشتهارها والاكتفاء عن تعريفها بعرفان ذواتها . ولا يخفى ما فيه فانه قياس مع الفارق لأن ما ذكره اعلام والأعلام جنسية أو شخصية لا تدخلها اللام كما ذكره ليس مما نحن فيه .

* * * *

تاسعًا: أحيط علما بكذا ٠ أحاطه بالعناية والتعظيم

يكثر هذا الاستعمال وترى فيه أحاط متعدية بنفسها ، وانما نقع على هذه المادة في الفصيح متعدية بالحرف ٠ ففي الكتاب العزيز : ((أحاط بكل شيء علما ، ولا يحيطون بشيء من علمه)) وفي سورة الفتح : ((وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها)) ٠

قال الزمخشري يجوز في أخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد أحاط الله بها ، تقديره : وقضى الله أخرى قد أحاط بها وأما لم تقدروا عليها فصفة أخرى ، والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا ، وقد أحاط الله بها خبر المبتدأ " فترى كيف جعل فيها الأمر فيها كالأمر في نحو محمدا مررت به ، وترى ثلاثي هذا الفعل متعديا بنفسه من غير نكير يقال : حاطه الله برعايته ، وكلاءه بعنايته ٠ وفي حديث العباس رضي الله عنه : قلت يا رسول الله ما أغنيت عن عمك - يعني أبا طالب - فانه كان يحوطك ويغضب لك قال ابن الاثير : حاطه حوطا وحياطة اذا حفظه وصانه وذب عنه وتوفر على مصالحه ٠ ومن الثلاثي جاء الحائط للجدار ، لأنه يحوط ما فيه ٠

ويقود البحث في هذه المادة الى ما قد يستأنس به في تسويغ

استعمالها متعدية بنفسها .

١ ـ ففى اللسان : " وحوّط حائطا : عمله . وقال زيد : حطت قومى ، وأحيط الحائط " . وأخذ منه صاحب التاج انه يقال : احاط الحائط : عمله . ذكر ذلك فى مستدرك المادة . وهل هى الهمزة على هذا لتعدية الثلاثى ؟ اوكان الأمر كذلك لكان الفعل متعديا لاثنين ، فكان يقال : أحاط السور الحديقة أى جعل السور يحوطها . ولم نر هذا الاستعمال . واذا صح هذا فالأصل أن يقال أحاط عناية بفلان أى جعل عنايته كالحائط لفلان والمستعمل : احاط فلانا بعناية .

٢ ـ وورد فى نهج البلاغة فى الحديث عن نعم الله تعالى : " ألبسكم الرياش ، وأرفع لكم المعاش ، وأحاط بكم الاحصاء " وقد استند الى هذه العبارة صاحب شفاء الغليل فى اثبات أحاطه ، فقال : " أى جعل الاخصاء حائطا حولكم يعنى احصى أعمالكم " ويلاحظ أن العبارة فى النسخة التى هى مذيلة بشرح الأستاذ الشيخ محمد عبده تحت عنوان : من خطبة له عجيبة : وأحاطكم بالاحصاء . وقال الشيخ : " أى جعل اخصاء أعمالكم والعلم بها علا كالسور

لا تنفذون منه ، ولا تتعدونه ، ولا تشذ عنه شاذة " . وفي شرح نهج البلاغة ص ٨٧ من المجلد الثاني : " قوله : وأحاط بكم الاحصاء يمكن أن ينصب الاحصاء على أنه مصدر فيه الألف واللام وزه والعامل فيه غير لفظه ، كقوله " (١)

يعجبه السخون والبسرود . ثم قال : حبا ... ويجوز أن ينصب بانه مفعول به ، ويكون ذلك على وجهين :

أحدهما أن يكون من حائط ثلاثيا ، تقول : حاط فلان كرمه أي جعل عليه حائطا ، فكأنه جعل الاحصاء والعد كالحائط المدار عليهم ، لأنهم لا يتعدونه ولا يخرجون عنه ..

والثاني لمن يكون من حاط الحمار عانته يحوطها بالواو أي جمعها فأدخل الهمزة ، فعلى ذلك كأنه عليه السلام جعل الاحصاء ذا تحيط عليهم بالاعتبار الأول ، أو جعله ذا جمع بالاعتبار الثاني . ويمكن فيه وجه آخر وهو أن يكون الاحصاء مفعولا له . فدخل اللام في المفعول له كثيرا كقوله (٢) : " والهول من تهول الهبور " . فترى أن ما ورد في النهج لا يتعين حمله على التعدية اذ يصح أن يكون الاحصاء مفعولا مطلقا أو مفعولا له . على أن ما في النهج لا يقطع بأنه كلام الامام ، حتى تقوم به الحجة .

---

(١) من بغية الوعاة ٣٩٥ .
(٢) ج ١ ص ٢٧١ طبعة ١٣٢٤ .

٣ — جاء أحاط متعديا فى بعض الشعر والنثر غير ما سبق ، فقد سمع أعرابى أبا مكنون النحوى يقول فى دعائه :

" اللهم ومن أرادنا بسوء فأحط ذلك السوء بـه كاحاطـة القلائد على ترائب الولائد (١) .

وفى الأمالى (٢) عن الأخفش سعيد بن مسعدة أن بعض العرب اعتذر الى بعض ملوكهم ، وكان من قوله له :

إنّى اليك — سلمت — كانت رحلتى
أرجو الاله وصفحك المبـذولا

ان كان ذنبى قد أحاط بحرمتى
فأحط بذنبى عفوك المأمـولا

(١) من بغية الوعاة ٣٩٥ .

(٢) ج ١ / ص ٢٧١ طبعـة ١٣٢٤ .

استدراك

ذكرت فيما نقلته عن الأمالي : أن الأخفش سعيد بن مسعدة — وهو الأخفش الأوسط صاحب سيبويه ، وكانت وفاته سنة ٢١٠ — روى أن بعض العرب قال اعتذارا له الى بعض ملوكهم :

ان كان ذنبي قد أحاط بحرمتي
فأحط بذنبي عفوك المأمولا

هبني ظلمت وما ظلمت — ظلم
تأقركي يزداد مجدك ظور

وقد وقف على البيت الثاني الذي فيه الشاهد في أبيات اخر في الأغاني ج ١١ ص ٧ من طبعة بولاق . فقد ذكر أبو الفرج في أخبار بن سيابة الشاعر أن الفضل ابن الربيع سخط عليه ، فسأله أن يرضى عنه ، فامتنع فكتب اليه :

ان كان جرمي قد أحاط بحرمتي
فأحط بذنبي عفوك المأمولا

فكم ارتجيتك في التي لا يرتجى
في مثلها أحد ، فتلت السولا
و ضللت عنك فلم أجد لي مذهبا
ووجدت حلمك لي عليك دليلا

هبني أسأت — وما أسأت — أقركي
يزداد عفوك بعد طولك طولا
فالعفو أجمل والتفضل بامرئ
لم يعدم الراجون منه جميلا

ونرى في خبر أبي الفرج تفصيلا وبيانا لما أجمل في خبر الأخفش . فبعض العرب هو ابن سيابة ، وبعض ملوك العرب هو الفضل بن الربيع . وهو — وان كان وزيرا للأمين ومن قبله الرشيد — ذو سلطان وملك ، وكانت العرب تطلق على أمثاله ومن دونه من عمال السلطان الملك . غير أن هذا البيان قد يقف دونه أشياء . ففي خبر الأخفش التعبير ببعض العرب و (بعض ملوك العرب) قد ينفي الفضل وابن سيابة وهما من الموالي لا من العرب . وفي خبر الأخفش البيت الأول يصف أن الشاعر رحل الى من يعتذر اليه وقطع المهامه والقفار ، وكان سيابة والفضل بغداديين مقامهما بلد واحد . والباحث بهذا يفرض فرضين :

الأول : أن خبر الأخفش يعود الى بعض العرب الأقحاح ، وأنه سبق الى البيت الثاني فأخذه ابراهيم بن سيابه ، وهذا كثير الشعراء غير بدع فيهم .

والثاني : أن خبر الأخفش لم تتوخ فيه الدقة في التعبير ، وهو في جملة خبر أبي الفرج في تفصيله . فأما حديث الرحلة فقد جرى من ابن سيابة على سنة الشعراء . وعلى الفرض الأول يستقيم الاحتجاج بالبيت الثاني الذي فيه تعدية أحاط بنفسه ، اذا من عربي .

وعلى الفرض الثاني يتوقف في الاحتجاج به ، اذ كان ابن سيابة من المولدين .

وقد وقف في كتاب الوزراء للجهشياري على رواية للخبر توافق في جملتها ما في الأغاني . وهاك هذا الخبر : " عتب الفضل بن الربيع على ابراهيم بن شيابة في شيء ، فكتب اليه :

ان كان جرمي قد أحاط بحرمتي ... فالحظ بجرمي عفوك المأمولا

هبني ظلمت وما ظلمت بل ظلمت ... أتركني يزداد مجدك طولا

وترى في هذه الرواية " فالحظ بجرمي عفوك " بدل " فأحط بجرمي عفوك " وعلى ذلك يسقط الاستشهاد الذي سيق البيت لأجله في كتابي الأول . ويلاحظ الشاعر في الأغاني يسمى ابراهيم بن شيابة ، وفي كتاب الوزراء ابراهيم بن سيابة . ويبدو أن ما في الأغاني هو الصحيح ، وان ما في الوزراء

تحريف ذهب على مصححه ، مع الاحتفال بتصحيحه .

وأعود بعد هذا الى الموازنة بين الروايتين : (فأحط ، فالحظ) من جهة المعنى ، فأما الرواية الأولى فهي مستساغة لا غبار عليها . وأما الرواية الثانية فانما يستقيم أمرها على تقدير القلب في القصة ، أى فالحظ جرى بعين العفو والمغفرة ، وجنبنى السخط والموجدة . على أنه لا يبعد تحريف " فالحظ " عن " فأحط " للتقارب بين رسم الكلمتين . والتناسب بين الصدر والعجز يقرب : فأحط .

على أن تعدية الاحاطة فى هذه الشواهد لا تصحح تعديتها فى مثل :

أحيطكم علما ، اذ جرى الأسلوب العربى فى مثل هذا على اسناد الاحاطة الى العالم بالشىء لا من يعلم به غيره .

* * *

عاشرا : قد لا يتيسر حضوري غـــدا

هذا الأسلوب على اشتهاره ، وكثرته كتب الكاتبون في انكاره وتهجينه ومرد هذا الى أن (قد) لا تدخل في العربية على المنفي وانما تدخل على المثبت فليس يصح أن يقال : قد لا أعلم هذا الأمر ، وانما تقول : قد أجهله ، أو ربما لا أعلمه .

والحجة في هذا الانكار قول ابن هشام في المغني في مبحث قد ، " وأما الحرفية فمختصة بالفعل المتصرف الخبري المثبت المجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس " فتراه ذكر اختصاصها بالفعل المثبت . وقد تبع السيوطي في الهمع ٢/١٧٢ ابن هشام اذ يقول : " قد حرف يختص بالفعل المتصرف الخبري المثبت المجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس . فلا يدخل على الجامد ، كعسى وليس ، ولا الانشائي ، كنعم وبئس ، ولا المنفي ، ولا المقترن بما ذكره " .

والتقييد بالاثبات في المضارع اذا كان بعد قد لم أره لغير ابن هشام ومن استقفاه . وانما يذكر فيه التجرد من الناصب والجازم وحرف التنفيس . يقول ابن مالك في التسهيل : " وتكون حرفا ، فتدخل على فعل ماض متوقع لا يشبه الحرف لتقريبه من الحال ، وعلى مضارع مجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس

لتقليل معناه ، وهو عليهما للتحقيق " .

ويقول الدماميني في شرحه : " فهي ثلاثة شروط . وان شئت فشرطان : الرفع والتجرد من حرف التنفيس " ويقول الرضي في شرح الكافية ٢/٣٨٨ : " وتدخل أيضا على المضارع المجرد من ناصب وجازم وحرف تنفيس " .

ويذكر في أحكام قد " حكم قد يكون مبحث ما اشترط ابن هشام من الاثبات . وهو ألا يفصل بينها وبين فعلها بغير القسم .

ويقول ابن مالك في التسهيل : " ولا يفصل بين أحدهما بغير قسم " ويقول أبو حيان في شرحه في تعليل هذا الحكم " وذلك أن الحرف المختص بما دخل عليه اذا لم يكن عاملا فانه يتنزل مما دخل عليه منزلة جزئيه ، فكما لا يفصل بين جزء الشيء وجزئه الآخر فكذلك هذا ، ألا ترى أنهم لا يفصلون بين أل والاسم بشيء فكذلك هذا " .

وترى أنه يسوغ الفصل بالقسم ، وهذا أمر لا مرية فيه ، واذا فليست (قد) مطردة القياس على (أل) . وذلك أن أل لا يفصل بينها وبين مدخولها بالقسم ، وبذلك تراخى الاتصال بين قد والفعل عن مكانة الاتصال بين جزء الشيء وجزئه الآخر ، وهم يعللون استثناء القسم بأنه يؤتى به لتوكيد الخبر

فساغ الفصل لذلك ، وقد يقال : ان أداة النفى شديدة الامتزاج بالخبر فالفصل بها لا يثلم الاتصال ولا يحل عقد المؤرب .

ونرى فى أبى حيان وابن يعيش فى التمثيل للفاصل ذكر الاسم واهمال أداة النفى ، فيقول أبو حيان : " فاذا قلت : قد ضربت زيدا ، أو قد أضرب زيدا فلا يجوز قد زيدا ضربت ، ولا قد زيدا أضرب " ويقول ابن يعيش فى شرح المفصل ١٤٨/٨ : " اعلم أن (قد) من الحروف المتصلة بالأفعال ، ولا يحسن ايلاء الاسم اياه " .

واذا عرضت للفصل بالقسم أذكر هنا أنه استشهد عليه بقول الشاعر :

أخالد قد والله أوطئت عشوة
وما العاشق المسكين فينا بسارق
أقر بما لم يأته المرء انه
لا رأى القطع خيرا من فضيحة عاشق
ولولا الذى خفت من قطع كفه
لألفيت فى أمر الهوى غير ناطق

ولهذا الشعر قصة طريفة . وذلك أن فتى أخذ فى دار قوم ورفع الى السلطان بتهمة السرقة ، وأقر الفتى ، فأمر خالد

ابن عبد الله القسرى أحد ولاة بنى أمية بقطع يده حدا .

ولم يكن الفتى من همه سرق المال ، وانما غشى الدار لهوى له فيها . وآثر أن تناله العقوبة ، سترا لمن يحبها ، وحفاظا على عرض أهلها . ولكن أخا الفتى لم يذهب مذهبه ، فكتب بهذا الشعر الى خالد . فكان أن تبين الأمر ورفع العقوبة عن الفتى ، وحمل أهل الفتاة على أن زوجوها من الفتى وقوله : "أوطئت عشوة" أى خدعت ولم يصدقك الفتى الخبر .

وتراه ببناء الفعل للمفعول . وهذا ما رضيه البغدادى فى شرحه لشواهد المغنى ٩٦٣/١ وقد رسم فى الكتب :

"أوطئت عشوة" وفى الأساس : "أوطأة عشوة" : حمل على أمر غير رشيد" . وقد يكون المراد : أوطأت يا خالد أعوانك اذ أمرتهم بقطع يد الفتى عشوة ، وحملتهم على خطة فائلة فالمفعول محذوف والفعل مبنى للفاعل .

وأعود الى دخول قد على المنفى فأقول : إنّ الظاهر أنه لا أساس به . وترى سيبويه فى الكتاب ٣٠٧/٢ يقول : " وأما قد فجواب لقوله : لما يفعل فتقول قد فعل .

وزعم الخليل أن هذا الكلام لقوم ينتظرون الخبر . وتكون

قد بمنزلة ربما ، قال الهذلي :

قد أَتْرُكُ القِرْنَ مُصْفَرًّا أناملُــه
كأن أثوابــه مُجَّتْ بِفِرْصَــاد

كأنــه قال : "ربما" وقولــه : " مصــفرا أنامله " كنايــة عن موتــه ، والفرصاد : التوت . يريد أن أثــوابه لطخت بالدم حين قتلــه .

وترى سيبويــه يقرر أنها تستعمل بمنزلة ربمــا ، ولم نر من اشــترط في (ربما) دخولها على المثبت ، وحظر دخولها على المنفى .

وقد ورد دخــول قد على المنفى في قــول قيس الحنـــان الجهني :

وكنتُ مُسَوَّدًا فينــا حميدا
وقد لا تَعْــدَمُ الحسناءُ ذامــا

وقد ورد هذا البيت بهذه النسبة في المؤتلف والمختلف للآمـــدى ٨٩ ، وفي طـراز المجالس ١٤٣ .

وجاء في اللسان (ذ ى م) منسوبا الى أنس بن نـــواس المحاربي . وفي معجـم البلدان في ترجـمة (رذام) نسبته الى قيس بن الحنان الجهـني . وأياما كـان الأمـر فهو شعـر قديم يحتج به .

وورد في كلام ابن جني اذ يقول في الخصائص ١/ ٢٠ : " كما أن القول قد لا يتم معناه الا بغيره " .

حادى عشر : — علل لما تقول

يجرى هذا الاستعمال كثيرا فى الأسئلة التى توضع لاختبار الطلاب فى مراحل التعليم ، فيقال : أجب عن كذا وعلل لما تقول ، أى اذكر علته ووجهه . والمعلل فى مصطلح آداب البحث هو المدعى الذى وظيفته أن يقيم الدليل على دعواه ويستدل ويذكر علته ، ويقابله المانع أو السائل وهو الذى يطلب الدليل ، ويبحث فى العلة التى ينظبها المعلل . وقد تحدث بعض المعنيين بالعربية فى عربية هذا الأسلوب فردت أن أذكر نبذة تتعلق به .

فيقال : علل الشارب اذا سقاه مرة بعد أخرى . والأصل فى هذا العلل ، وهو الشرب للمرة الثانية وهو ضد النهل ، وهو الشرب للمرة الأولى ، يقال سقيته عللا بعد نهل ، ويقال : علل الصبى اذ ألهاه عن البكاء بما يقدم اليه من حلوى وغيرها ، وكذلك يقال فى كل تسلية ، قال جرير :

تعلل — وهى ساغبة — بنيها
بأنفاس من الشبم القراح

وقال خداش بن زهير .

كذبت عليكم أوعدونــي وعللــوا
بي الأرض والأقوام قردان موظبـا

يقول : هددونى واهجونى بهجائكم اياى الأرض والأقـــوام يا قردان الموطــن المسمى موظــب ، وهو مكان يكثر فيــــــه القردان ، والقردان واحدها قراد ، وهو دويبة يلصق بالبعـير ويعضــه ٠

ويقول الشاعر :

خليلى هيا عللانــى وانظــروا
الى البرق ما يفرى سنا وتبســما

يقول : عللانى أى حدثانى وألهيانى بالحديث ٠

وقد يعرض للباحث أن يسأل عن صلة العلة للسبب أو الدليل بالعلل ٠ وبيان ذلك أن العلــة تأتى فى معـــنى المرض ،وكأن ذلك فى الأصــل للحمى تعتاد الانسان بعرقها ورحضائها ،فكأنمـا تسـقيه ذلك ،ثــم أطلق على كــل مــرض ٠ واستعملت العلـــة فى الحديث يشغل صاحبـه عن حاجته كأنما هــو مرض يكف صاحبه عــن مزاولة أعماله ومعالجـة أسباب عيشــه ٠ واستعملت العلة أيضا فى العذر يعتذر بــه الانسان عن لوم يوجــه اليه فــى التقصير فى بعــض الأمر ، والأصــل فيه المرض ،فان المريـــــض

يسقط عنه اللوم والمعتبة ، والله تعالى يقول : ((ليس على الأعمى حرج ، ولا على الأعرج حرج ، ولا على المريض حرج)) .

ولما كان العذر سببا يلتمسك به المعتذر أطلق العلة على السبب ، وتقول عائشة رضى الله عنها فى حديث لها عن أخيها عبد الرحمن : كان عبد الرحمن يضرب رجلى بعلة الراحلة أى بسببها : يظهر أنه يضرب رجل الراحلة وانما يضرب رجل عائشة رضى الله عنها . وأطلق العلة من هذا على الدليل يستدل به المدعى اذ كان سببا فى تمكين ما يقول ويدعى .

وبعد هذا أقول : ان ذكر التعليل فى معنى ذكر العلة لا نراه فى المعاجم باديا سافرا ، فالذى فيها هو المعنى السابق وما يمت اليه ومن ثم أنكر بعض الباحثين هذا الاستعمال الذى صدرت به البحث . غير أن صاحب اللسان أورد فى المادة هذا النص ـ وهو عن المحكم ـ : " المعلل : دافع جابى الخراج بالعلل " فترى أن المعلل من يذكر العلل ، وعلى ذلك يقال : علل أى ذكر العلة أو العلل ، وهو ما نريد . فان قال قائل : ان الوارد هو الوصف ، فأما الفعل فلا نراه فى عبارة ابن سيده . قلت : ان الوصف اذا ورد كان مؤذنا بقيام الفعل . ويقول ابن جنى : " قال : (1) لى

(1) الخصائص ص ١٣٧ .

أبو على - بالشام - اذا صحت الصفة فالفعل فى الكف" .

ومما يؤنس لما نحن فيه أنه ورد الاعتدال فى معنى ذكر العلة ، ويقول الفارابى - على ما فى الصباح - : اعتل اذا تمسك بحجته .

وقال [1] أبو قيس بن الأسلت : -

وتكرمها جارتها فيزرنها
وتعتل عن اتيانهن فتعذر

وليس بها أن تستهين بجارة
ولكنها منهن تحيا وتخفر

(1) انظر الأغانى ص١٦٦ ج ١٥ .

ثاني عشر: ابن جني ، ابن ماجه

وقع السؤال عن هذه الأعلام واعرابها . ذلك أنها تلزم السكون في الوصل والوقف ،، ولا يفعل بها ما فعل بنحو سقر وخوارزم ومصر وطبرستان وخراسان ، مما دخل في العربية من الأعلام ، فان هذه الكلمات تجرى بها حركات الاعراب، وان كانت تمنع التنوين . وقد عهدنا التزام السكون وتجنب ظهور الحركات فيما كان مختوما من هذا الضرب بالياء الخفيفة أو الهاء . فمما ختم بالياء : ابن جني — ويراعى سكون الياء وألا تشدد كياء النسب — وابن جني أشهر من يعرف فهو العالم الذي يعد بحق فيلسوف اللغة وحبرها ، ومن ذلك : على بن أحمد بن جني ، وأحمد بن محمد بن جني ، من المحدثين — ذكرها صاحب القاموس — ومما ورد مختوما بالهاء : ابن سيده اللغوي الأندلسي الضليع صاحب المحكم والمخصص ، وابن منده ، وهو زكريا يحيى من الحفاظ المشهورين ، وأحد أصحاب الحديث المبرزين . ومن ذلك ابن راهويه ، من جلة المحدثين . وقد حركوا الهاء إذا كان قبلها ساكن ، نحو بويه جد البويهيين أصحاب الدولة في بعض عهود الخلفاء العباسيين ، وزاه ، لقرب نيسابور ، على أنا نراهم يقولون : أشنه لقرية قرب أصفهان ، ويحركون الهاء — وهذه

القريــة ينسب اليها الأشنانى اللغوى .

ويبحث المرء عن الداعى لتسكين أواخر هذه الكلمــات .

ويبدو فيما كان مختومـا باليا كجـنى أنه لو أجريت مجــرى غيرها من المنقوص لقيــل فى المجرور : نظرت الى جن بحــذف اليا ، وهنا يلتبس بالجــن ، فكان ينبغى دفعا للبس ابقــاء اليا فى حالــة الجر ، وحــمل سائر الحالات عليها ، وهكـــذا القــول فى حتى ويضـاف إلى هذا أن الكلمة الأعجمية يراعــى الابقاء على كــل حروفها ، فهذا ما بعث على بقاء اليا ساكنة

وأما المختوم بالهاء فكأن الداعى الى تسكينها أنها لو حركـت لتوهـم أنها تاء تأنيث فأبقيت على السكون .

وبعد هذا أقول : ان هذه الكلمات معربة : اذ لا موجب لبنائها ، واعرابها بحركـات مقدرة على أواخرها منــع مـــن ظهورها سكون الحكايـة ، أى حوكــى أصلها الأعجــمى . ويراعى فى حالة الجــر أن اعرابها بفتحــة نيابــة عن الكســرة ، لأنهـــا من الأســماء التى منعــت الصرف للعلمية والعجمة .

* * *

ثالث عشر : سرعان ذا إهالة

ورد هذا المثل فى شرح الأشمونى على الألفية ، فى بحث التميز . وقد شرحه الصبان فقال : " سرعان — بتثليث السين والبناء على الفتح — اسم فعل ماض ، أى سرع ، وذا فاعل واهالة تميز محول عن الفاعل ، أى اخفافه وافزاعة ، ويجوز جعله بمعنى اسم الفاعل حالا ، قال فى القاموس : واصله (أى أصل هذا المثل) أن رجلا كانت له نعجه عجفاء ، ورغامها — وهو مخاط الأنف فى الخيل والشاء . وتراه بالغين المعجمة . وهو لغة فى : الرعام بالعين المهملة ، وقد أنكر بعض اللغويين فى هذا : الرغام ، وأوجب الرعام — يسيل من منخريها لهزالها ، فقيل له : ما هذا ؟ فقال : ودكها فقال السائل : ذلك . ونصب اهالة على الحال ، اى سرع هذا الرغام حال كونه اهالة أو التميز كقولهم : تصبب زيد عرقا . وهو مثل يضرب لمن يخبر بكينونة الشئ قبل وقته " ويقول الانبارى فى تقريره : (قوله : حال كونه اهالة ، أى حال كونه مهيلا أى مخيفا لصاحبها ، لأن نزول الرغام دليل على موتها ، فكأنه يخبر بحصول الموت . وذلك الاخبار حاصل قبل موتها بالفعل .

فظهر قوله : هو مثل الخ كذا سمعته من بعض مشايخنا " .

ونرى أن الصبان والانبارى اتفقا على تفسير الاهالة بالاخافة والافزاع ، ولم نر هذا فى اللغة ولا يقال : شىء مهيل وانما يقال : هائل أو مهول .

والذى غر الشيخين هو سبق المعنى الى الذهن وغلبته ولو ألقيا بالا الى المحاورة لفهما أن الاهالة هى : الودك أى الشحم . فان صاحب الشاء يقول عن الرعام انه ودك فيقول الآخر متهكما به : ما أسرع أن يكون هذا اهالة وودكا ؟ وبين الرعام والودك ما لا يسوغ هذا الانقلاب السريع ، فان الرعام أمارة الهزال وآيته ، والودك آيه السمن والخصب .

والاهالة فعالة فى وزنها ، ويقول اللغويون فى تفسيرها : هى ما أذيب من الشحم أو هى الشحم والزيت ، أو هى كل ما يؤتدم به . ويقال لما علا القدر من اللحم السمين : اهالة .

رابع العشر : أنا شَغُوفٌ بهذا الأمـــــر

هذه الصيغـة مما يتكرر على ألسـنة الكتاب والمنشـئين .
والوجـه أن يقال : مشغوف أو شـغف ، يقال شغفنى الشـىء فأنا مشغوف ، وشغفت بـه فأنا شـغف . وقد كان خطر لـى
فى تخريج هذه الصيغـة الشائعـة أن يكون شـغوف فى معـنى مفعـول ، كركـوب وركوبـة وحلوبـة ، يقال : ماله ركوبة ولا حمولة ولا حلوبـة ، أى ما يركبـه ويحـمل عليـه ويحلبه ، ولكن ثنانـى على هـذا أن ورود فعـول بمعنى مفعـول فى غاية النـــدرة فلا ينبغـى المصير اليـه ما وجـد الى غيره سبيل ، ورأيت خـيرا من هـذا الوجـه أن يجعـل شغوف مبالغـة فى شغف ، كغضـوب فى غـضب . يقـال رجـل غضب ، وغضـوب وغضب وغضبـة وغضبة وغضبـان أى يغضـب سـريعا أو شديد الغضب . ومن غرائـب هذا الباب وسـكر فى سـكر ، وقد ورد فى شـعر يعـزى الـــى عـمرو بن حسان أو عـمرو بن الأيـم التغلبى وهو هذا :

ما بال قـوم أعزـوا حلمهـــم
أن قيل يوما ان عمرا سكـــور

وروايـة البيت فى اللسـان هكذا - والبيت نفيـه منسوب الى عمرو بن قميئـة : -

يارب من أسفاه أحلامــه
أن قيل يوما أن عمرا سكورا

وأسفاه أحلامه أى أطاشه حلمه وجراء . ويقال : أسفاه الأمر : حمله على الطيش والخفة .

أنا مشغول طيلة هذا الشهر

يستعمل المعاصرون هذا الحرف كثيرا فى مكان طول وطوال بفتح الطاء والواو ، قال أبو السعود .

يقول الأرذلون بنو قشير
طوال الدهر لا تنسى عليا

وقد أنكر هذا الاستعمال بعض المعاصرين ، وقد يمكن تخريجه فقد ورد فى اللغة الطيلة للعمر ، يقال : أطال الله طيلته فى هذا المعنى . وروى بيت القطامى : ـ

انا محيوك فاسلم أيها الطلل
وان بليت وان طالت بك الطيل

بروايتين : الطيل والطول . فالطيل جمع الطيلة ، والياء

أصلها الواو ، وقد اعلت في الجمع لأعتلالها في الواحد كحيلة وحيل . والطيل واحدها طولة كعنب وعنبه ، وكلاهما معناهما العمر . ومن السهل اليسور التوسع في العمر واطلاقه على المدة في معناها العام . ولا بعد في استعمال العمر ظرفا ، فقد ورد قول الشاعر :

أقيموا على الوادى ولو عمر ساعة
كلوث ازار أو كحل عقال [1]

---

(١) يقال : لاث الازار على جسده : أداره وعصبه .

خامس عشر : احتجاج محمدٌ كتاباً

يشيع هذا الاستعمال ، ولا يرى مستعملوه ضيقا ولا حرجا ، ولا يخالج بعضهم شك في صحته في العربية . وهو مجانب لما درج عليه الاستعمال العربي منابذ له . فقد جرى العرب على أن يعدى ما يصيغ من الحاجة بالحرف ، فيقال :

احتاج محمد الى كتاب ، وبي حاجة الى كتاب . وفي الأساس " لا أحوجني الله الى فلان . وهذه حاجتي أي ما أحتاج اليه وأطلبه " .

وهذا الخطأ قديم ، فقد قال (١) ابن عنين ، وهو من شعراء الدولة الأيوبية ، وقد توفي سنة ٦٣٠ .

انظر الى بعين مولى لم يزل
يولي الندى ، وتلاف قبل تلافي
أنا كالذي : أحتاج ما يحتاجه
فاغنم ثوابي والثناء الوافي

وقوله : " ثوابي " أي الثواب من الله الذي يلحقك باغاثتي . وفي بعض روايات الديوان :

(١) انظر ديوانه ٩٢ ، ووفيات ابن خلكان في ترجمة الملك المعظم عيسى في أواخر حرف العين .

فاغتنم ثنائى والدعاء الوافى .

وقوله : (تلافى) يريد تلفى ،ولم أقف على التلاف فـــى التلف فيما رأيت من المعاجم ،وكأنما مد ابن عنين لام التلـــف وأشبع حركتها ، فجاء التلاف : ويشفع له فى ذلك موقف الشعر ورغبتـه فى التجنيس الذى كان غيره من البديـــع يصبـوا اليـــه كل شاعر وكاتب فى ذلـك العصر . ولـم يأت ابن عنين فى ذلك بدعا مـن الأمر ،فقد قال ابن هرمـة من قبله .

وأنت من الغوائـل حين ترمـى
ومن ذم الرجـال بمتـــراح

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

إنَّ إعراب الجملة العربية ، ومعرفة أوضاع مفرداتها ، وما تستحقه من حركات إعرابية تبعا للمعاني التي تتعلق بها ، فالاعراب فرع المعنى ، وهذه قضية دقيقة تحتاج من الطالب إلى امعان بحث وادمان نظر حتى يعرف أسرار التراكيب ، ويضع الحركة الاعرابية المناسبة للمعنى وقد أحببت أن أورد بعض الآيات القرآنية التي تحمل قراءات مختلفة ، لتوجيهها نحويا وصرفيا ، تبعا للمعنى المقصود ، فيتعلم الطالب البحث الجدي في سر اختيار حركة الاعراب ، وأنها لم توضع اعتباطا ، وانما بناء على معنى يستلزمه التركيب ، كما ذكرت بعض التراكيب التي تحتاج الى دقة في اعرابها وسر اختيار الحركة فيه وهذا يعطي للطالب ثروة فكرية نحوية ليقيس على ما مر عليه وبالتالي ينطق الأسلوب العربي صحيحا فصيحا دقيقا فاذا دخل في التراث ـ وما أكثره وأجله ـ دخله على معرفة ومقدرة في نطق الكلمات سليمة فصيحة ، فيخدم لغته ويثري محفوظه ، وينطق نطقا قويا بعيدا عن اللحن والخطأ فتظهر على لسانه لغة القرآن جيدة قوية ، فضلا أن هذه رياضة ذهنية تعود الطالب وتمرنه على سر اختيار الحركة الاعرابية ليصبح ذا لسان عربي مبين .

والله الموفق وعليه التكلان .

دراسة آيات من القرآن ورد فيها أكثر من قراءة
وتوجيهها نحويا

قال الله تعالى : ـ

١ ـ ((وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا والله بما يعملون محيط)) آل عمران ٠

قرئ لا يضركم بتشديد الراء مضمومة ومفتوحة ٠ والوجه على القراءتين أن الفعل مجزوم لوقوعه جوابا لان الشرطية والأصل قبل الادغام يضرركم وادغام لام سكن أول المثالين فوجب تحريك ثانيهما للتخلص من التقاء الساكنين وكانت الحركة ضمة اتباعا لضمة الضاد أو فتحة لانها أخف الحركات ولا يناسب تخريج قراءة الضم على أن الفعل مرفوع لان رفع الجواب اذا كان الشرط مضارعا ضعيف فلا يصار اليه ما أمكن التخريج على وجه قوى ٠

وقرئ لا يضركم بكسر الضاد وسكون الراء ٠

والفعل مجزوم أيضا وماضيه ضار بمعنى ضر وقد حذفت عين المضارع لالتقاء الساكنين ووزنه يفعل ٠

(١) من كتاب محاضرات في النحو والصرف للشيخ أحمد غنيم ود/ عبد اللطيف سرحان

٢ — ((أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل))
" الشعراء " .

قرئ تكن بالياء وآية بالنصب . والفعل مضارع كان الناقصة وآية خبرها والمصدر المنسبك من أن والفعل اسمها مؤخر ولهم جار ومجرور حال من آية لأنه في الأصل وصف تقدم على الموصوف فيعرب حالا .

وقرئ تكن . آية بالتاء ورفع آية . والفعل على هذه القراءة يصح كونه مضارعا . لكان التامة أو الناقصة . فأن قدرتاما فلهم متعلق به وآية فاعل والمصدر المنسبك بدل من آية أوخبر لمحذوف أي هي أن يعلمه . وان قدر ناقصا جاز أن يكون لهم خبره وآية اسمه والمصدر المنسبك بدل من آية أو خبر لمحذوف كما تقدم . وجاز أن يكون اسمه ضمير القصة . وحينئذ فلهم آية جملة اسمية في موضع الخبر فمحلها النصب وأن يعلمه بدل من آية وجاز أن يكون المصدر المؤول مبتدأ وآية خبره والجملة خبر تكن ولهم حال من آية . وجوز الزجاج أن تكون آية الاسم وأن يعلمه الخبر .

ورد عليه بأن جعل النكرة اسما والمعرفة خبرا لايجوز الا في الضرورة اذ الواجب العكس وآية نكرة والمصدر المنسبك معرفة لأنه في حكم المضاف الى معرفة .
وقد اعتذر بعضهم للزجاج بأن النكرة قد تخصصت بلهم وفيه نظر .

٣ـ ((يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السماء أو فى الأرض يأت بها الله)) .
"لقمان" .

قرئ مثقال بالنصب وبالرفع . وقرئ فتكن بضم الكاف وكسرها .

ونصب مثقال على كونه خبر التاء مضارع كان الناقصة والاسم ضمير يعود إلى مفهوم من السياق .

والمعنى : ان تك الهنة من الاساءة مثقال حبة ، والرفع على الفاعلية لتك مضارع كان التامة .

والفعل تكن بضم الكاف مضارع كان فالماضى أجوف وقد حذفت عين مضارعه لالتقاء الساكنين . وبكسر الكاف مضارع وكن فالماضى مثال وقد حذفت الفاء من المضارع لوقوعها بين الياء المفتوحة والكسرة والوزن على الأول تفل وعلى الثانى تعل .

* * *

٤ ـ ((قلن حاش لله)) يوسف .

قرئ حاش لله بحذف ألف حاش وادخال اللام على لفظ الجلاله . وقرئ باضافة حاش إلى لفظ الجلالة . وقرئ حاش لله بالتنوين واثبات اللام . وحاش فى الأساليب الثلاثة تنزيهية . وذلك أنهم اذا أرادوا تنزيه شخص عن أمر قدموا عليه تنزيه المولى سبحانه فكأنهم يقولون تنزه الله عن ألا يكون قادرا على عصمة المذكور وحفظه مما اتهم به ، وفى هذا الصنيع من المبالغة مالا يخفى .

وذكر الرضى أن حاش مشعرة بالتنزيه دائما وأنه لا يستغنى بها الا عند ارادة تنزيه المستثنى عما يشين . وأوجه الآراء فى حاش التنزيهية انها اسم ينصب مفعولا مطلقا بفعل مقدر من معناه ، وهى معربة عند التنوين أو الاضافة على الأصل ، ومبنية اذا لم تكن منونة ولا مضافة لشبهها بحاشا الحرفية .

ويرى المبرد وابن جنى والكوفيون أنها فى نحو حاش لله فعل للتصرف فيها بالحذف ولادخالها على الحرف . وهذان الدليلان ينفيان الحرفية ولا يثبتان الفعلية ويؤيد القول باسميتها ورودها منونة تارة ومضافة تارة أخرى .

والفعل لا ينون ولا يضاف . والمعنى عند المبرد

وموافقيه فى الآية الكريمة جانب يوسف المعصية لأجل الله ٠

وهذا التخريج ان استقام فى قوله تعالى : ((قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء)) لا يستقيم هنا لأن سياق الآية يبعد ان يكون هذا مرادا فان النسوة أردن تنزيهه عن أن يكون بشرا ولم يردن تنزيهه عن المعصية ٠ زعم بعضهم أنها اسم فعل اعتمادا على بنائها فى حاش لله ويرده اعرابها فى لغتى التنوين والاضافة ٠ فان قيل انها فى لغة التنوين مبنية والتنوين للتنكير أجيب بأن تنوين أسماء الأفعال سماعى لا قياسى ٠ على أن اعرابها فى لغته الاضافة على اتفاق وهو كاف فى الرد على اعرابها اسم فعل ٠

وزعم ابن عطية أنها فى لغة حاش الله جارة فهى حرف ٠ ويرده أنها لا تجر الا فى الاستثناء ويرده أيضا تنوينها ودخولها على حرف الجر فى اللغتين الأخريين ٠

* * *

من ذلك قوله تعالى :

٥ - ((قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا)) الآيـة .

(ما) يحتمل أن تكون موصولة وأن تكون استفهامية .
و (عليكم) يحتمل ان يكون جارا ومجرورا تنازعه كل من أتل وحرم أن يكون اسم فعل بمعنى الزموا . وأن المدغمة فى لا يحتمل أن تكون مصدرية وأن تكون مفسرة بمعنى أى .
ولا يحتمل أن تكون نافيـة وأن تكون زائدة وأن تكون ناهية .

وعلى ضوء هذه الاحتمالات يمكن تخريج الآيـة على الأوجـه الآتيـه .

الأول : أن تكون ما موصولة منصوبة بـأتل ، وحرم ربكم صلتها ، وعليكم متعلقة بحرم أو باتل ، وان مصدرية والمصدر المؤول منصوب بدل من ما ولا زائدة وبما أن التلاوة انما تكون للألفاظ فالحرم عينه لا يكون متلوا فالكلام على تقدير مضاف . وحاصل المعنى تعالوا أتل مفيد ما حرم ربكم عليكم مفيد الاشراك بـه . والبدل من قبيل بدل البعض وقدر الرابط أى مفيد الاشراك منه .

الثاني : أن يكون المصدر مرفوعا خبرا لها محذوفا . والتقدير تعالوا أتل مفيد المحرم هو مفيد الاشراك .

الثالث : أن تكون ما استفهامية منصوبة بحرم والجملة محكية بأتل لأنه بمعنى أقول .

ويتعين في المصدر حينئذ أن يكون مرفوعا خبرا لمحذوف ولا يصح بدلا اذ لم يقترن بالهمزة الاستفهامية ولا زائد كما مر في الوجهين قبله . والتقدير تعالوا أتل جواب ماذا حرم ربكم هو الاشراك .

الرابع : أن يكون الأصل أبين لكم ذلك لئلا تشركوا . فحذف الجملة وما تعلق بها وذلك لأنهم اذا حرم عليهم رؤساؤهم ما أحله الله فأطاعوهم فقد أشركوا لأنهم جعلوا غير الله بمنزلته .

الخامس : أن الأصل أوصيكم بألا تشركوا فحذفت الجملة والجار كما في الوجه الذي قبله .

السادس : أن التقدير أتل عليكم ألا تشركوا . فحذفت الجملة لدلالة ما تقدم عليها . ولا في هذه الأوجه الثلاثة الأخيرة نافية وما موصولة أو استفهامية أو مصدرية .

السابع : أن الكلام تم عند حرم ربكم ، وعليكم اسم فعل وأن مصدرية ولا نافية والمصدر المؤول منصوب بعليكم .

الثامن : أن أن مفسرة ولا ناهية والفعل مجزوم لأن التلاوة فيها معنى القول دون حرفه . وفي هذين الوجهين الأخيرين يمكن اعتبار ما موصولة استفهامية .

* * *

٦ — قال لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله " .

يحتمل أن يكون الاستثناء متصلا وأن يكون منقطعا وأن يكون مفرغا وأن تكون الا الاستدراك بمعنى لكن .

وعلى الأول يكون (من) يعلم والجار والمجرور صلة من ويقدر المتعلق خاصا أي من يذكر في السموات والأرض ، والغيب ، ولفظ الجلالة من من كما هو المختار عند الجمهور .

وعلى الثاني يكون الاعراب كما سبق لكن يقدر عاما وجاء الابدال فيه على لغة تميم .

وعلى الثالث يكون من مفعولا مقدما والغيب بدلا اشتمال منه ولفظ الجلالة فاعل يعلم .

وعلى الرابع يكون من فاعلا والمتعلق عاما والا بمعنى لكن للاستدراك ولفظ الجلالة مبتدأ والخبر محذوف أي لكن الله يعلمه والجملة في محل نصب على الاستثناء المنقطع .

ومنه قوله تعالى :

ـ " وما أرسلناك الا كافة للناس " .

لفظ كافة يحتمل وجوها .

الأول : أن يكون حالا من الناس المجرور باللام على رأى من يجيز تقدم الحال على صاحبها المجرور بالحرف لأن الشواهد الكثيرة تؤيده ، والمعنى وما أرسلناك الا للناس حال كونهم جميعا كافين أن يخرج عنهم أحد منهم . وعلى هذا يستفاد عموم رسالته صلى الله عليه وسلم من الآية الكريمة .

الثاني : أن يكون حالا من المفعول وهو الكاف والتاء للمبالغة والمعنى وما ارسلناك الا شديد الكف للناس عن الشرك وعلى هذا لا تفيد الآية عموم الرسالة وانما يستفاد ذلك من أدلة أخرى .

الثالث : أن يكون مفعولا مطلقا . والأصل وما أرسلناك الا ارسالة كافة .

وضعف هذا الوجه استعمال كافة وصفا في المعنى لغير العاقل واستعماله منصوبا على غير الحالية وكلاهما ممنوع ، فقد نصبوا على انه مختص بمن يعقل وملازم للنصب على الحالية وبهذا يعلم لحن من يجره في نحو مررت بكافة القوم واللهم اغفر لكافة المسلمين وهو على هذا الوجه أيضا لايفيد عموم الرسالة .

تراكيب تحتاج الى توجيهات خاصـــــة
في اعرابهـــــا (٢)

ومنه قول القائل : ـ

فإنْ تَرْفَقي يا هنـدُ فالرفق أيمـنُ
وان تَخْرَقي يا هندُ فالخُرْقُ أشـأمُ

فأنت طـلاقٌ والطلاق عزيمـــــةٌ
ثلاثٌ ومن يَخْرق أعقُّ وأظلـــم

روى ثلاث بالرفع ، والنصـب ، ومن يخرق ، من موصولة وتسكين يخرق للتخفيف دفعـا لتوالى الى أربـع متحركات أو ضرورة ، أو شرطيـة والأصـل فهو أعق فحـذف المبتدأ والفاء ضرورة .

واعراب البيت الثانى يحتمل أكثر من وجـه رفعت أو نصبت . ويختلف الحـكم بوقـــوع الطلاق واحـدة أو ثلاثا تبعا لاختلاف الاعراب ، أما على الرفـع فيحتمـل وجهين .

الأول : أن تكون أل في قولـه والطلاق عزيمـة للعهد الذكـرى وثـلاث خـبر بعد خبر والمعنى فأنت طلاق أى طالق والطلاق المذكور عزيمـة ثلاث أى مقطـوع بـه تام العـدد وعلى هذا يقع الثلاث .

الثاني : أن تكون أل لمجاز الجنس أى أريد بها الفرد الكامل

(٢) المصدر السابق

كما في نحو زيدٌ الرجلُ علما .

والاعراب كما تقدم والمعنى فأنت طلاق والطلاق التام عزيمة ثلاث . وعلى هذا تقع طلقة واحدة لأن الكلام تم عند قوله فأنت طلاق ثم استأنف الكلام وأخبر أن الطلاق التام ثلاث .

وأما على النصب فيحتمل ثلاثة أوجه .

الأول : أن يكون قوله ثلاثا مفعولا مطلقا مبينا للعدد أى فأنت طالق ثلاث طلقات أو طلقات ثلاثا ، وجملة الطلاق عزيمة اعتراضية وعلى هذا يقع الثلاث .

الثانى : أن يكون قوله ثلاثا حالا من الضمير المرفوع المستتر فى عزيمة وأل للعهد الذكرى أى والطلاق المذكور مقطوع به حال كونه ثلاثا . وعلى هذا يقع الثلاث أيضا .

الثالث : أن يكون قوله ثلاثا حالا كما سبق وأل الفرد الكامل أى والطلاق التام عزيمة هو حال كونه ثلاثا والجملة مستأنفة وعلى هذا تقع طلقة واحدة .

وهذا كله اذا نظرنا الى ما يفهم من هذين البيتين بقطع النظر عن البيت الذى يليهما وهو قوله .

فبينى بها إن كنت غير رفيقة ∴ وما لامرىء بعد الثلاث مقدم

وإلا فقد صرح بمراده ، وأنه أوقع الثلاث رفع أو نصب على ما ذكرنا . ولهذه الأبيات قصة طريفة يراجعها في المغني من شاء .

ومنه قول جرير :

وكائن بالأباطح من صديق
يراني لو أصبت هو المصابا

هو يحتمل أن يكون ضمير فصل وألا يكون :

وعلى الثاني فهو توكيد للضمير الفاعل المستتر في يراني والمصاب هو المفعول الثاني .

والمعنى يراني هو المصاب لا غيري ، والمصاب على هذا اسم مفعول .

وعلى الأول يحتمل وجهين .

أولهما : أن يكون هو ضمير فصل والكلام على تقدير مضاف أي يرى مصابي هو المصاب . والمصاب على هذا مصدر ميمي ولابد من تقدير صفة أي يرى مصابي هو المصاب العظيم لئلا يخلو الكلام من الفائدة .

والثاني : هو ضمير فصل ولما كان شرطه أن يطابق ما قبله قيل في توجيه المطابقة ان الشاعر لما كان عند صديقه

بمنزلة نفسه حيث كان إذا أصيب هو كأن صديقه نفسه هو المصاب جعل ضمير نفسه بمنزلة ضمير صديقه لأن نفس صديقه في المعنى بحسب اعتقاده .

والمصاب على هذا اسم مفعول . وهذا توجيه وجيه ويؤيده أن البيت روى بروايتين آخريين كالآتي :

الأولى : وكأن بالأباطح من صديق — يراه لو أصبت هو المصابا

الثانية : وكائن بالأباطح من صديق — تراه لو أصبت هو المصابا

وهما لا يخرجان في المعنى عن التوجيه السابق فقرر ذلك في المعنى مع اختلاف في التعبير يقتضيه المقام .

ح ـ ومنه قوله تعالى :

((ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس)) .

كان بعض الناس يحلف ألا يفعل بعض الخيرات من صلة رحم أو عبادة أو إصلاح ذات البين ويصر على التمسك بيمينه مخافة الحنث فنزلت .

العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة . وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الاناء فيعترض دونه

فيصير حاجزا ومانعا منه . والعرضة أيضا المعرض للأمر يقال هم ضعفاء عرضة لكل متازل اذا كانوا نهزة لكل من أرادهم .

ومنه قول القائل :

فدعونى أنج وجدا لنوح الحمائم
ولا تجعلونى عرضة للوائم

والعرضة على الأول بمعنى المعترض وعلى الثانى بمعنى المنصوب كالغرض الذى هو عرضة للرماة — والايمان جمع يمين وهو الحلف وقد يراد بها المحلوف عليه لتلبسه باليمين كما فى الحديث " اذا حلفت عن يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفر عن يمينك " اذا تقرر أمكن أن يجىء الاعراب على الوجوه الآتية .

الأول — أن يراد بالعرضة معنى المعترض والأيمان الأمور المحلوف عليها وحينئذ فعرضة مفعول به والجار والمجرور متعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض وأن تبروا مصدر مجرور عطف بيان لأيمانكم ، والمعنى لا تجعل لها الله معترضا حاجزا لما حلفتم عليه البر والتقوى والاصلاح .

الثانى — أن يجعل المصدر منصوبا مفعولا لأجله والأصل

مخافة أن تبروا فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه والمعنى لا تجعلوا الله مانعا لما حلفتم عليه مخافة أن تبروا .

الثالث : أن يكون الأصل لئلا تبروا فحذف الجار وحرف النفي والمصدر بعد حذف الجار محله النصب أو الجر على الخلاف ، والجار المحذوف ومجروره متعلق بالفعل المنهي عنه . والمعنى لا تجعلوا الله لأجل ترك البر والتقوى والاصلاح معترضا لما حلفتم عليه ومانعا منه .

الرابع : أن يكون الكلام قد تم عن قوله لأيمانكم وأن تبروا المصدر مبتدأ حذف خبره والمعنى لا تجعلوا الله مانعا لما حلفتم عليه أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس خير لكم .

الخامس : أن يراد بالعرضة المعرض وبالايمان الحلف وأن تبروا علة النهي أي ارادة أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس لأن الحلاف مجترئ على الله غير قائم بما ينبغي له من التعظيم والتقدير فلا يكون برا ولا متقيا ولا أهلا للاصلاح بين الناس ، والمعنى أنهاكم أن تجعلوا الله معرضا لأيمانكم ارادة أن تكونوا بررة اتقيا .

أهلا للاصلاح بين الناس • وهذا الوجه قاله صاحب الكشاف والمعنى عليه غير مناسب لسبب النزول •

السادس : أن يراد بالعرضة المعترض والايمان الحلف واللام الداخلة عليها للتعليل وأن تبروا مجرور بفى مقدرة والمعنى لا تجعلوا الله معترضا لاجل حلفكم به فى أن تبروا وفى الآية احتمالات أخرى وفيما ذكرناه كفاية •

٣ـ ومنه قولهم • زيدٌ وعمرٌو كلاهما قائمان •

كلاهما يحتمل وجهين •

الأول : أن يكون توكيدا وقائمان خبر زيد وعمرو • وفى هذه الحالة لا يصح افراد الخبر لأنه خبر عن مثنى •

الثانى : أن يكون مبتدأ ثانيا وقائمان خبره والجملة خبر عن الأول • وفى هذه الحالة الأكثر الافراد مراعاة للفظ كلا فيقال كلاهما قائم •

وعلى ضوء هذا نقول ان الزيدين كليهما قائمان بالتثنية ليس غير وان الزيدين كلاهما قائم أو قائمان وفى نحو كلاهما محب لصاحبه يتعين مراعاة اللفظ لأن معناه

كل منهما أى فهو مفرد في اللفظ والمعنى • ومثله قوله :

كلانا غنى عن أخيه حياته
ونحن اذا متنا أشد تغانيا

وعلى هذا تقول ان زيدا وعمرا كلاهما مبغض للآخر ، ويمتنع أن تقول كليهما وتثنى الخبر ، فاذا أردت التوكيد قلت ان زيدا وعمرا كليهما كلاهما مبغض للآخر •

٤ـ ومنه قول القائل :

" ان أكلت ان شربت فأنت طالق " •

يحتمل وجهين : ـ

الأول : أن يكون الجواب للأول ، وجواب الثانى محذوف مدلول عليه بالشرط الأول وجوابه كما في اجتماع الشرط والقسم ، والتقدير ان شربت فان أكلت فأنت طالق •

والحكم حينئذ أنها لاتطلق الا اذا فعلت الأمرين مقدمة للمؤخر بأن تشرب ثم تأكل و هو اختيار الشافعية •

الثانى : أن يقدر حرف العطف وهو الواو قبل الشرط الثانى كما في نحو كيف أصبحت كيف أمسيت ، والحكم

حينئذ وقـوع الطلاق بالجمع بين الأكـل والشرب علـى أى ترتيب كان ، وهو اختيار المالكيـة ٠

ولا يقال ان الشرط الثانى وجوابه جواب للأول فيقع الطـلاق بمجموعهمـا مع تقديم الأكـل لأنه لو أراد ذلك لوجب اقتـران ان الثانيـة بالفاء الرابطـة ٠

* * *

٥ - لا جَـرَمَ :

تستعمل هذه الكلمـة فى الأساليب العربيـة على وجهـين ٠

الأول : أن تجـىء متلوة بأن المفتوحـة الهمزة وصلتها وليـس بعدها فعـل ٠ وهذا هـو الاستعمال الغالب فيها ٠ وكـل ما ورد منها فى القرآن الكريـم فهو على هـذا الأسـلوب ٠ وقد جاءت فيـه فى خمسـة مواضع ٠

الأول : " لا جـرم أنهم فى الآخرة هـم الخاسرون " فى سورة هـود الآيـة رقم ٢٢ ٠

الثانى : " لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين ، سورة النحل الآية رقم ٢٣ ٠

الثالث : " وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار أنهم مفرطون " " سورة النحل الآية رقم ٦٣ ٠

الرابع : " لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون " سورة النحل الآية رقم ١٠٩ ٠

الخامس : " لا جرم أن ما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار " فى سورة غافر الآية رقم ٤٣ ٠

الثانى : أن تجىء متلوة بما يصلح جوابا للقسم فيقال لا جرم لآتينك ولا جرم لقد فعلت ولا جرم إنك قائم بكسر الهمزة ٠

واعرابها : فى الاستعمال الأول يكون على وجهين ٠

الأول : وهو اختيار البصريين — أن لا اما نافية للرد على كلام سابق واما صلة كما فى لا أقسم لأن فى جرم معنى القسم ٠

وجرم فعل ماض ومعناه عند سيبويه حق وان وصلتها فاعلة واستشهد بقوله ٠

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة ٠٠ جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا

برفع فزارة وأن يغضبوا بدل اشتمال منها أى حق غضب فزارة بعدها . وأنكر الفراء الكوفى مجىء جرم بمعنى حق وقال بل معناها كسب وروى البيت بنصب فزارة أى كسبت الطعنة فزارة الغضب وبهذا المعنى جاء قوله تعالى : ((ولا يجرمنكم شنآن قوم)) وعلى هذا فان وصلتها مفعول جرم وفاعلها ضمير مستتر يعود على ما فيفهم من الكلام السابق ففى الآية الأولى مثلا يكون التقدير كسبهم هو اى كفرهم أنهم هم الأخسرون .

الثانى : وهو اختيار غير البصريين أن لا نافية للجنس وجرم اسمها والمصدر مجرور بمن محذوفة والجار والمجرور خبرها . وجرم على هذا مصدر من جرم بمعنى قطع . ويقال فى المصدر ايضا جرم بضم فسكون كالرشد والرشد . والبخل والبخل . والعدم والعدم . وقد حكى عن العرب لا جرم أنه يفعل . ولا جرم حينئذ بمنزلة لابد . وهو فعل من التبديد وهو التفريق فاذ قلت لابد لك أن تفعل كذا فمعناه لا مفارقة لك من فعله _ وكذلك اذا قيل مثلا لا جرم أن لهم النار فمعناه لا قطع لاستحقاقهم النار أى هم مستحقون لها أبدا بدون انقطاع .

واعرابها : على الاستعمال الثانى —

قال الفراء : لما جرت لا جرم فى كلامهم بمنزلة لابد ولا محالة تحولت الى معنى القسم وصارت بمنزلة حقا ولذا تجاب بما يجاب به القسم . وهذا حل معنى لا حل اعراب .

والذى يظهر فى اعرابها حينئذ أن لا جرم لا واسمها والخبر محذوف لسد جواب لا جرم مسده .

فاذا قلت لا جرم لآتينك فتقديره لابد من اتيانك .

٦ — لا سيّما .

هذه الكلمة تفيد أن ما بعدها أولى بالحكم المنسوب لما قبلها وهى نظير مثل وزنا ومعنى وعينها ولو قلبت ياء لاجتماعها ساكنة مع الياء . وتقع بعدها النكرة مجرورة ومرفوعة ومنصوبة والمعرفة مجرورة ومرفوعة لا منصوبة . فان جرما بعدها فاضافة سى اليه وما زائدة . أو ما نكرة تامة فى محل جر باضافة سى اليها والاسم بعدها بدل منها أو عطف بيان ان كان نكرة ويتعين كونه بدلا ان كان معرفة لأن عطف البيان يوافق متبوعه بخلاف البدل وان رفع ما بعدها فهو خبر مبتدأ محذوف وجوبا لأن لا سيما بمنزلة الا وهى لا تقع

بعدها الجملة غالبا . وما بمعنى الذى أو نكرة موصوفة والجملة بعدها صلة أو صفة . والرفع أقل من الجر لما يلزم عليه نحو لا سيما زيد من اطلاق ما على العاقل وحذف العائد المرفوع مع عدم الطول .

وقد أجيب عن هذا بأن لا سيما مستثناء من شرط الطول كأى . وسى فى كل ما تقدم اسم لا النافية للجنس وفتحته اعراب لأنه مضاف والخبر محذوف .

وان نصب ما بعدها ولا يكون الا نكرة فعلى أنه تمييز لسى وما كافة وفتحة سى حينئذ بناء . وقيل ما نكرة تامة فى محل جر بالاضافة والمنصوب بعدها تمييز لها أو منصوب بتقدير أعنى .

والجمهور يمنعون نصب المعرفة بعدها لعدم سماعه . وجوزه بعضهم على أن ما نكرة تامة والمعرفة مفعول بتقدير أعنى . وقد روى بالأوجه الثلاثة قول امرىء القيس .

ألا رب يوم صالح لك منهمو
ولا سيما يوم بدارة جلجل

والواو الداخلة على سيما للعطف أو للحال . واختار الرضى أنها اعتراضية . ومراده بالاعتراضية ما يشمل المذكور آخر الكلام وهى الاستئنائية .

وقد تصرفوا في هذه الكلمة تصرفات كثيرة فجاءت بدون الواو . وبتخفيف ياء سى . وبدون ما بعدها . وأما حذف لا فقد حكاه الرضى والظاهر خلافه لأنه لم يعهد حذف لا التبرئة الا في العطف نحو لا رجل وامرأة . ومن شواهد حذف الواو والتخفيف قوله .

فِهْ بالعقود وبالأيمان لا سِيَمَا
عقدٌ وفاءٌ به من أعظم القُرَبِ

واذا كانت لاسيما مجردة من الواو فاعرابها لا يتغير عند الجمهور وجملتها مستأنفة أو حال .

وقال الفارسى : لا حينئذ مهملة وسى نصب على الحال فمعنى قاموا لا سيما زيد قاموا غير مماثلين لزيد في القيام . ولم تكرر لا مع اهمالها اكتفاء بالتكرير المعنوى اذ المعنى قاموا مساوين لزيد في القيام ولا أولى منه .

ومن تصرفاتهم فيها أنهم يقيمونها مقام المصدر فتكون بمعنى خصوصا أو اختصاصا وتقع بعدها حينئذ (الجملة الشرطية مفردة مفردة وجملة) تقول أحب زيدا ولا سيما ان ركب أو راكبا أو هو راكب . والمعنى وأخصه بزيادة المحبة ان ركب أو في هذه الحال . ولا خبر للا في هذا

الاستعمال اكتفاء بجملة الشرط أو الحال وما كافة وكلمة لا سيما بمعنى خصوصا أو اختصاصا في محل نصب مفعول مطلق بالنيابة عن المصدر لأنها بمعناه ودالة عليه والواو ان كانت مذكورة فهى اعتراضية أو للعطف ولا تكون للحال لأن ناصب المفعول المطلق يقدر مضارعا مثبتا •

٧ ـ عَمْرُكَ اللَّهَ •

يقال عمر الرجل من باب عمرا بالفتح وعمرا أيضا بالضم أى عاش زمانا طويلا •

ولم يستعمل فى القسم الا المفتوح • قال تعالى " لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون " وقال الشاعر •

لعمرى وما عمرى على بهين
لبئس الفتى المدعو بالليل حاتم

وتقول لعمر الله لأفعلن • فيستعمل مضافا لضمير المخاطب ولضمير المتكلم وللاسم الظاهر • واللام الداخلة عليه للتوكيد الابتداء وهو مبتدأ والخبر محذوف وجوبا لسد جواب القسم مسده • فان لم تدخل عليه اللام كان منصوبا • وأكثر ما يستعمل حينئذ فى قسم السؤال فيجاب بما فيه الطلب كالأمر والنهى ومنه قول عمر بن أبى ربيعة •

أيها المنكح الثريــا ســهيلا
عمرك اللــه كيف يلتقيــــان

هى شاميــة اذا ما اســـتقلت
وسهيل اذا استقل يمانـــى

قال الجوهرى : وقد يستعمل فى قسم لا سؤال فيـــه ٠
تقــول عمر اللـه ما فعلت كـذا وعــمرك اللــه ما فعلت كـذا ٠

وفى نصبـه حينئـذ ثلاثـة وجـوه ٠

الأول : وهو مذهب سيبويـه أنه منصـوب نصب المصادر بفعــل محذوف وجـوبا يقدر من لفظـه والأصل عمرتك اللـــه تعميرا فحـذف الزوائد من المصدر وأقيم مقام الفعل مضافـا الى المفعـول بـه الأول ولفظ الجلالـــة هو المفعــول الثانى ٠ ومعنى عمرتك الله أعطيتـك عمرا بأن سألت اللـه أن يعمرك ولما ضمن عمـر معنى السؤال تعـدى الى تعدي الى المفعـــول الثانـى وهــو لفظ الجلالـة ٠ وأجاز الأخـــفش رفـع لفظ الجلالـة فيكون المصدر وهــو عمر مضافـــا الى مفعول له ولفظ الجلالة فاعله ٠ والأصل عمرك اللـه تعميرا فحـذفت زوائد المصدر وأقيم مقـــام الفعل مضافا الى مفعوله ٠

الثانى : - ألا يكون عمر منصوبا على المصدرية بل على أنه مفعول ثان مقدم وناصبه محذوف تقديره أسأل .

وأسأل متعد الى مفعولين ولفظ الجلالة هو مفعوله الأول وعمر مصدر حذفت زوائده ، وأضيف الى مفعوله . والمعنى أسأل الله عمرك أى تعميرك . ومعنى القسم ليس ظاهرا فى هذا التقدير وكذا فى التقدير الأول . وقد تقدم أنه لا يستعمل الا فى القسم اللهم الا أن يقال لما كان للدعاء للمخاطب جرى مجرى قسم السؤال لأنه قد يبتدأ السؤال بالدعاء للمسئول كأنه قيل طول الله عمرك أفعل لى كذا وكذا .

الثالث : - أن يكون عمر منصوبا على التوسع بحذف حرف القسم كما فى نحو الله لأفعلن .

والمعنى أسأل بتعميرك الله أى اعتقادك بقاءه وأبديته فحذف الفعل والجار وانتصب المصدر على التوسع وأضيف الى الفاعل والله مفعول ومعنى القسم فى هذا التقدير الثالث واضح .

٨ ـ عَذِيرَكَ من فُلانٍ .

العذير : اما بمعنى العاذر كالسميع . واما بمعنى المعذر كالأليم . وعذر وأعذر بمعنى .
ويجوز أن يكون العذير بمعنى العذر الا أن الفعيل في مصدر غير الأصوات قليل كالنكير .

والعذير أيضا الحال التى يقدر المرء عليها ولا يلام قال الشاعر .

جارى لا تستنكرى عذرى
سيرى واشفاقى على بعيرى

بين بقوله سيرى واشفاقى الحال التى ينبغى أن يعذر فيها ولا يلام عليها .

وهذا الكلام يقال اذا أساء شخص الصنيع الى المخاطب .

واعرابه كالآتى :

عذير مفعول به منصوب بفعل واجب الحذف سماعا والتقدير أحضر عاذرك أو عذرك أو الحال التى تعذر فيها ولا تلام أى لك العذر فيما تجازيه لسوء صنيعه اليك ومن فلان متعلق بعذير ومعناه من أجل الاساءة اليه وايذائه . وحاصل المعنى أنت ذو عذر فيما تعامله به من المكروه قال الشاعر

أريد حياته ويريد قتلي

عذيرك من خليلك من مراد

ومن قوله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر " أعذرني من عائشة " أي من جهة تأديبها .

ويقال من يعذرني من فلان أي من أجل ايذائي اياه . وفي الخبر " لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم ، أي يقيموا العذر لمعذبهم من أنفسهم بكثرة ذنوبهم .

٩ – أرأيت بمعنى أخبرني :

أرأيت في الأصل معناه الاستفهام عن الرؤية والرؤية هنا بمعنى الابصار أو المعرفة فاستعملت الهمزة الموضوعة لطلب الفهم في مطلق طلب والرؤية في الاخبار لأن من شأن من ر أى أن يخبر فصار معناه طلب الاخبار أي أخبرني .

ولا يستعمل هذا الأسلوب الا في الاستخبار عن حالة عجيبة لشئ وقد يذكر معه المفعول نحو قوله تعالى " قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض " . وقد يترك نحو " قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به " .

ولابد أن يأتى بعده باستفهام ظاهر أو مقدر يكون متعلق الاستخبار . فالظاهر نحو ما تقدم فى الآيتين . والمقدر نحو " أرأيتك هذا الذى كرمت على " أى لم كرمته ؟
وقد تكون جملة الاستفهام جوابا للشرط نحو " قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم " الآية .

ولما كان أرأيتم بمعنى الأمر وهو أخبر صار كاسم الفعل المنقول الى الأمر نحو رويد زيدا فانه منقول من مصدر أرود المصغر تصغير الترخيم فجاز أن تلحقه كاف الخطاب وتتصرف بحسب أحوال المخاطب كما تلحق اسم الفعل المذكور ومن ذلك قوله تعالى " أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون " . ويستغنى بتصريف هذه الكاف عن تصريف التاء فتبقى فى جميع الأحوال مفردة مفتوحة فاذا لم توجد الكاف تصرف فى التاء نحو " قل أرأيتم ما تدعون الله " الآية .

ولزيادة الايضاح نعرب آية ليقاس عليها . ولتكن قوله تعالى " أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتنى " الآية .

الهمزة للاستفهام ورأيت فعل وفاعل والكاف حرف خطاب واسم الاشارة مفعول رأى والموصول صفته والجملة بعده صلته

والمعنى أخبرنى عن هذا الكرم وعن حاله العجيبة . ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره لم كرمته ؟ . وليست جملة الاستفهام المقدرة مفعولا ثانيا بل لا محل لها لأنها مستأنفة لبيان الحال المستخبر عنها كأنه قال المخاطب عن أى شئ من حاله تسأل ؟ فقال لم كرمته على ؟ . وهذا هو اعراب الجمهور .

وقال الفراء ان الكاف هى الفاعل وقد أزيل الاسناد عن التاء . وهو مبنى على مذهبه فى رويدك أن الكاف مرفوع المحل . وضعف قوله أن الكاف ليست ضمير رفع . ووضع بعض للضمائر موضع بعض خلاف الأصل .

١٠- نَشَدْتُكَ اللهَ إلّا أو لما فعلت كذا .

يقال نشدتك بالله أو نشدتك الله أو أقسم عليك مثلا الا فعلت أو لما فعلت كذا .

وهذه الأساليب يستعملها المتكلم اذا أراد الزام المخاطب والتضييق عليه فى فعل مطلوبه .

ولا تدخل حينئذ الا أو لما التى بمعناها الا على ماض لفظا ولابد أن يكون ذلك بعد ما يدل على القسم .

ونشد اما أن يكون من نشدته كذا فنشده أى ذكرته فتذكره .

واما أن يكون من نشدت بمعنى طلبت . والمعنى على الأول ذكرتك الله بأن أقسمت عليك به وقلت بالله لتفعلن .

وعلى الثاني طلبت لك الله من بين ما يقسم به الناس لا قسم به سبحانه عليك .

ومعنى الا فعلت أو لما فعلت الا فعلك ففعلت بمعنى المصدر وانما جيء به فعلا ماضيا لقصد المبالغة في الطلب حتى كأن المخاطب سارع وفعل ما تطلبه صار ماضيا .

ونشدتك وكل ما هو بمعناه متضمن لمعنى النفي ولذا صح التفريغ بعده . أي ما أسألك الا فعلك كذا وبعضهم يقدر في الكلام نفيا محذوفا أي نشدتك الله لا تفعل الا فعلك كذا ومثلى نشدتك عزمت عليك ومعناه أوجبت عليك وهو من قسم الملوك ومنه قول عمر رضى الله عنه في كتابه لابى موسى الأشعرى " عزمت عليك لما ضربت كاتبك سوطا " كتبه اليه لما لحن كاتبه في كتابه عمر وكتب " من أبو موسى الأشعرى " ، ويتبين مما تقدم أن المصدر الذى هو معنى فعلت مفعول به والعامل فيه فعل القسم .

١١ – لا أبا لك .

الكثير في مثل هذا التركيب أن يقال لا أب لك فيكون جاريا على القياس . وقد جاء على قلة لكن لا الى حد الشذوذ اثبات الألف في الأب والأخ من بين الأسماء الستة اذا وليها لام الجر وكان المجرور معرفة .

قال الشاعر :

يا تيم تيم عدي لا أبا لكم
لا يلقينكم في سوءة عمر

وقال آخر :

وذي اخوة قطعت أقران بينهم
كما تركوني واحدا لا أخا ليا

أراد قطعت حبال مودتهم . وللنحاة في مثل هذا ثلاثة أوجه :

الأول : وهو مذهب سيبويه والجمهور – أن الاسم المذكور مضاف حقيقة باعتبار المعنى الى ما بعد اللام مقحمة بين المتضايفين على حد اقحامها في قوله :

يا بؤس للحرب التي وضعت أراهط فاستراحوا

والذي يظهر في اعرابه حينئذ أن يقال . لا نافية للجنس وأبا

اسمها منصوب بالألف لأنه مضاف واللام حرف جر زائد والكاف ضمير مبنى على الفتح فى محل جر باللام وهو أيضا فى محل جر بالاضافة على حد اعراب الضمير فى أنعم بك فلو كان المضاف اليه اسما ظاهرا نحو لا ابا لزيد يكون أبا مضافا، وزيد مضاف اليه مجرور بالكسرة مقدرة منع من ظهورها حركة حرف الجر الزائد فالكسرة الظاهرة أثر اللام والمقدرة أثر الاضافة . هكذا ينبغى أن يكون الاعراب خلافا لما ذهب اليه صاحب المغنى حيث يقول :

* وهل انجرار ما بعد اللام بها أو بالمضاف قولان : أرجحهما الأول لأن اللام أقرب ولأن الجار لا يتعلق " .

وخبر لا محذوف . وورود على هذا الاعراب أن اسم لا حيث كان مضافا الى معرفة فهو معرفة وكان الواجب حينئذ رفعه وتكرار لا . والجواب أنه لم يرفع ولم تكرر له لأنه فى صورة النكرة .

الثانى : هو مذهب ابن الحاجب ـ أن الاسم المذكور ليس مضافا ولكنه مشابه المضاف فأعرب اعرابه وحذف منه التنوين . وليس مراده أنه مضارع للمضاف بالمعنى المعروف اذ لو كان كذلك لوجب تنوينه .

وانما مراده أنه يشبهه لمشاركته له فى أصل معناه · وبيان ذلك أن أباك كان فى الأصل أبا لك واللام لافادة تخصيص الأب بالمخاطب · ثم لما حذفت اللام وأضيف صار معرفة ففى أباك تخصيص أصلى وتعريف حادث · واذا فنحو أبا لك يشارك أباك فى التخصيص الذى هو أصل معناه · ومن ثم لم يجز لا أبا فيها لأن المضاف قبل الاضافة لم يكن بمعنى فى · والذى يظهر فى اعرابه حينئذ أن يقال أبا اسم منصوب بالألف تشبيها له بالمضاف ولك خبر لا أو صفة لاسمها والخبر محذوف ·

الثالث : أن أبا اسم مفرد مبنى على فتح مقدر على الألف على لغة من يقصر الأسماء الستة والجار والمجرور خبر لا أو صفة اسمها والخبر محذوف كما فى سابقه ·

١٢ — أَجِدَّكَ لا تَفْعَلُ ·

الجد بالكسر ضد الهزل تقول منه جد يجد بكسر الجيم وضمها فى المضارع · وقولهم أجدك لا يستعمل الا مع النفى ·

قال الشاعر :

خليلى هباطا لما قد رقدتما ·:· أجدكما لا تقضيان كراكما

وفى اعرابه ثلاثة أوجه :

الأول : أن يكون منصوبا على التوسع بنزع الخافض أى أبجد منك لا تفعل . ومثله قول القائل :

"أحقا أن جيرتنا استقلوا " .

أحقا أن جيرتنا استقلوا . أى أفى حق . ومعنيا حقا وجدك متقاربان .

الثانى : أن يكون منصوبا على الحالية وهو حينئذ مؤول باسم فاعل نكرة أى أجادا لا تفعل . كما فى نحو افعله جهدك أى مجتهدا . والعامل فيه فى هذا الوجه والوجه الذى قبله هو الفعل المنفى المذكور بعده اذا لم يكن النفى بما والا قدر العامل لان ما النافية لها الصدارة .

الثالث : أن يكون منصوبا على المصدرية وناصبة محذوف وجوبا لأنه من المصادر التى بين فاعلها باضافتها اليه نحو كتاب الله وصبغة الله ووعد الله . والتقدير أتجد جدا والفعل المنفى بعده لبيان ما يسأل عن الجد فيه وانما كان حذف الناصب واجبا لأن حق الفاعل أن يتصل بفعله معمولا له . فلما حذف الفعل لداع من الدواعى وأقيم المصدر مقامه وبين فاعله بالاضافة امتنع أن يظهر الفعل والا رجع الفاعل الى مكانه متصلا بالفعل ومعمولا له .

١٣- قضيةٌ ولا أبَا حَسَنٍ لها .

لا النافية للجنس انما تعمل في النكرات وقد يؤول العلم المشتهر بصفة بنكرة فينتصب بها وتنزع منه حينئذ لام التعريف ان كانت فيه أو فيما أضيف اليه ليكون في صورة النكرة نحو لا حسن في الحسن البصري ونحو لا امرأ قيس ولا ابن زبير في امرئ القيس وابن الزبير ومنه ولا أبا حسن في أبي الحسن .

ولتأويله بالمنكر وجهان .

الأول : أن يقدر مضاف هو مثل فلا يتعرف بالاضافة لتوغله في الابهام . وانما جعل في صورة النكرة ونزعت منه اللام وان كان المنفي في الحقيقة هو المضاف المقدر الذي لا يتعرف بالاضافة الى أي معرف كان لرعاية اللفظ واصلاحه .

ومن ثم قال :

الأخفش يمتنع وصفه على هذا التأويل مطلقا فلا يوصف بمعرفة لأنه في صورة النكرة ولا يوصف بنكرة لأنه معرفة في الحقيقة .

الثاني : أن يجعل العلم لاشتهاره بصفة كأنه اسم جنس موضوع لكل من تتحقق فيه هذه الصفة . وعلى هذا التأويل يمكن وصفه بالمنكر . وهذا مثل قولهم لكل فرعون موسى ، لكل جبار قهار فيصرف فرعون موسى

لتنكيرهما بالمعنى المذكور . وعلى هذا يكون اعراب قولهم قضية ولا أبا الحسن لها كالآتى :

قضية خبر لمبتدأ محذوف أى هذه قضية والواو للعطف ولا نافية للجنس . وأبا الحسن اسمها ولها خبرها وأبا حسن مؤول بنكرة على أحد الوجهين السابقين . والتقدير الأول ولا مثل أبى حسن لها وعلى الثانى ولا فيصل لها .

١٤ ـ ماءٌ ولا كَصَدَّاءَ وَمَرْعًى ولا كالسَّعْدَانَ :

صداء اسم ركية عذبة الماء والسعدان نبت وهو من أفضل مرعى الابل .

والاعراب : ماء خبر لمبتدأ محذوف والواو عاطفة ولا حرف نفى وكصداء متعلق بمحذوف يعرب حالا والعامل محذوف والتقدير ولا يعذب كصداء . والتقدير فى المثل الثانى ولا يفضل كالسعدان . ويجوز أن تكون الكاف اسما بمعنى مثل تعرب مفعولا مطلقا .

والأصل ولا يعذب عذوبة مثل عذوبة صداء ولا يفضل فضلا مثل فضل السعدان .

ويجوز أن تكون لا نافية للجنس والكاف اسم بمعنى مثل اسمها والخبر محذوف .

أى ولا مثل صداء . وجود وكذا الثانى .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

ت . فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

تم بحمد الله